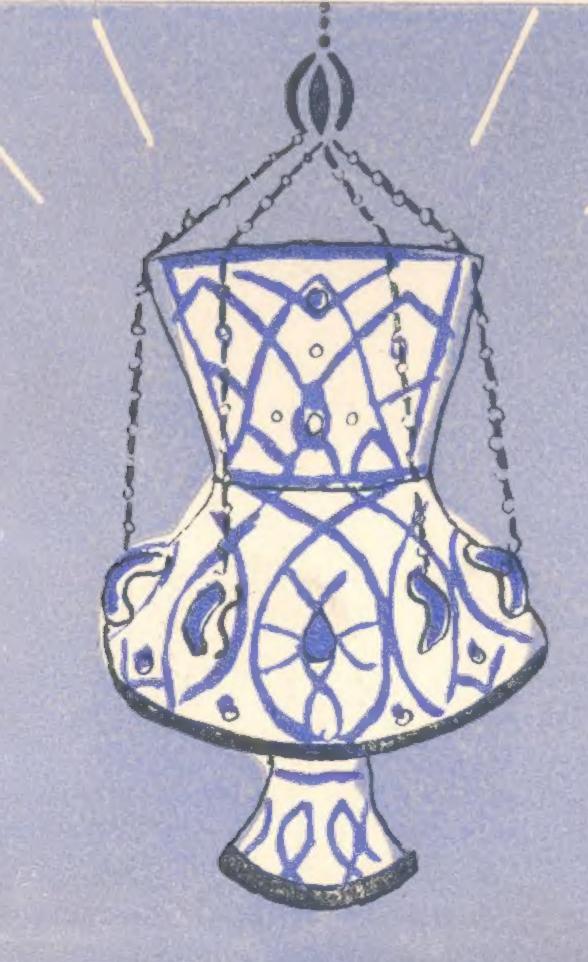
المكت بنالنار كنت را المكت بالناري المكت بالناري المكت بالناري المكت بالناري المراء المكت بالمراء المكت ورائح والمراء والمراء

النوره المحص ربية والمودان وأصول المتياسة البريطانية في السِّودان وأصول المتياسة البريطانية في السِّودان المركورجب إلان يحبى



الناشر امكسة النهضة المصرية

# المكت بذالناريخت عبدالكريم بأشران الدكتور احمد عزت عبدالكريم

التورة المحصف بي المنتي المتياسة البريطانية في السيّودان وأصول المتياسة البريطانية في السيّودان المركورجب كالمتي كالمتي كالمتي كالمتي كالمتي المدين المدين المدين المدين المدين المدين المدينة المدينة المدينة المدينة المامة القامرة

مُلتَ مَاللَّهُمَّ المُلتَّ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّمِ المُلتَّامِرَةُ المُلتَّ المُلتَّ المُلتَّ المُلتَّ المُلتَّامِرَةُ المُلتَّ المُلتَل

الطبعة الأولى ١٩٥٩

القاعرة معتقبة الناليف عالم يَعَتَّعُ النائية عالم يَعَتَّعُ النائية عالم يُعَتَّعُ النائية عالم يُعَتَّعُ النائية ع

#### فهرس الكتاب

صفحة
تقديم الكتاب بقلم الدكتور أحمد عز ت عبد الكريم ز
مقدمة الموالف م تمهيد
عهيد عهيد
الفصل الأول : قيام الثورة المهدية ٢٠
الإمام محمد أحمد ( المهدى ) والثورة ٢٠ الثورة فى عام ١٨٨٢ ٢٩
الثورة في عام ١٨٨٧ ن ٢٩
حصار المهديين الأبيض وعلاقاتهم مع عرابي ٣٤
الفصل الثانى : الثورة المهدية بعد الثورة العرابية ٣٤
إرسال الإمدادات السودان في آخرسنة ١٨٨٢ ٩٤
آخوعملیات عبد القادر حلمی ۷ یا
سقوط الأبيض ٩١
بعثة الكولونيل ستيوارت في السردان ١٥
« نصائح » وزارة الخارجية البريطانية لمصر ٧٠
الفصل الثالث: بعثة أحمد حمدى إلى السودان ٢١
اللديوي و بعثة أحد حدى ١٦
تقرير أحمد حمدى عن الرحلة إلى الخرطوم
وصف حمدی لهیکس وحملته ۲۱
تقارير أحد حدى عن اللوطوم و و المراه عن المراه ع

	صفحة
	الفصل الرابع: إنجلترا وحملة هيكس ن ١٤٠٠٠
	تخلى الحكومة البريطانية عن مسؤر لياتها ٨٤
	تجهیزات الحملة ۹۰ مصیر حملة هیکس ۹۶ ۹۶
	مصیر حمله هیکس ۹۸ ۹۸
	حملة بيكر باشا في سواكن ١٠٤
	الفصل الخامس: النصيحة البريطانية الإجبارية ١٠٨٠٠٠
-	شريف باشا وطلب العون من تركيا ۱۰۸
	الضغط الإنجليزى على مصر ١١٤
	استقالة شريف باشا المتقالة شريف باشا
	الفصل السادس: تنفيذ سياسة الإخلاء ١٢٦
	اختيار غردون اختيار غردون
	غردون فی مصر غردون فی
	رحلة غردون إلى الخرطوم ۱۳۸
	الفصل السابع: غردون في الخرطوم ١٤٥
	حملة جراهام الأولى في سواكن ٥٤١
	تدخل الحكومة العثمانية الحكومة العثمانية
	القتال في السودان الشرقي ١٤٩
	غردرن وطلب الزبير عردرن وطلب الزبير
	طلب الإمدادات ب ۱۵۲ الإمدادات
	حصار الخرطوم الخرطوم
•	سقوط بربر المعاومة

عباباحة											
172	•••	• • • •	• • •	• •••	• • • •	. 3	الإنقاد	حملة ا	ن :	الثامر	الفصل
178											
174	•••	•••	•••	•••	•••		كرية	، العسك	سلطات	قف ال	مو
1 7 7	•••		•••	•••	•••	•••	•••	و لسل	ر ال	لة الما	lr.
177	•=•	•••	•••	•••	•••	طوم	الخرم	لقوط	ح : س	التاس	الفصل
1 7 7		•••	•••	•••	•••	•••	3	عصورة	امية الح	ت الح	ثبا
1.41	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	لمدينة	وط ا	سق
144	•••	•••	•••	•••	•••	•••	1	ر يطانيا	ل فى ب	. الغم	رد
19.	••		•••	نقلة	لا يد	حتفاه	-YI ā	محاوا	: 5	العاش	الفصل
14.											
148											
147											
7 • 1	•••	•••	•••	•••	•••	•••	واكن	م فی س	جراها	ير ال	řΙ
Y•7	•••	•••	•••	•••	لتام	لاء ا	الإخ	شر:	دی ء	山上	الفصل
7 - 7	•••	• ^ •	•••	•••		•••	(	جراها	حلة	سحاب	انہ
717							_				
*17						• • •	•••	•••	:	دكسلا	فة
			•						•	: 1	اشخرائه
277	•••	•••	•••	•••		•••	•••	ن	لسودا	ريطة ا	<b>-</b>
270								_			
***	100	•••	•••	•••	•••	•••	کن	سواك	منطقة	ريطة	
779		•••	•••	•••	•••	•••	٠ ز	لراجع	ن وا	لوثائة	ثبت ا

# بالترازم

#### تقديم الكتاب

## بقلم الدكتور أحمد عنت عبد الكريم

بتاز القرن التاسع عشر بأنه عصر بناء الوحدات القومية الكبرى ، وقد شهد منها أمثلة كثيرة فى أوربا ، وكذلك شهد منها فى أفريقية مثالاً رائماً : هو بناء الوحدة النيلية الكبرى ، أو دولة وادى النيل ، من مصر والسودان وما يكملهما من سواحل البحر الأحمر والحيط الهندى ، ولم تقم هذه الوحدة على القهر والسيطرة ، كما قامت بعض الوحدات الأوربية ، ولم تهدف إلى الاستغلال والتحكم ، وإنما قامت على التماطف وعلى تحقيق الخير لشعوبها المنتظمة فيها جيماً . وعن طريقها دخلت الحضارة الحديثة أقاليم لم تبلغها من قبل : فأنشئت المدارس والساجد والمسانع والفنائر ونظمت الدواوين وشقت الطرق وانتمشت الزراعة والتجارة وارتقت أساليب الحياة وانبسط الأمن والسلام .

ولكن منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأت موجة الاستمار الأوربى تطنى على القارة الإفريقية ، وآنخذت هذه الموجة أحد أهدافها الرئيسية دولة وادى النيل ، مستغلة الارتباك الذى نزل بالحكومة المصرية فهد من قواها وأضعف — بل شل و قدرتها على الحركة والعمل ، وفتح الباب واسعاً للتدخل الأجنبى في شتى صوره ، وأخفقت الثورة المصرية البريطاني لمصر ،

وأخذت انجتراعلى عاتمها منذ وضعت قدمها في مصر تصفية دولة وادى النيل مستغلة رد الفعل الذي أحدثه في السودان اضطراب الأحوال في مصر ثم سقوطها في براثن الاحتلال البربطاني ، والحق أن الحركة التي قامت في السودان ودعيت باسم « الثورة المهدية » لم تكن ثورة على مصر والحكم المصرى بقدر ماكانت ثورة على التدخل الأجنبي في وادى النيل مصره وسودانه ، يتضح هذا من التعاطف الذي كان قاعًا بين الوطنيين في كلا البلدين : فني مصر كان الشيخ محمد عبده وأستاذه في كلا البلدين : فني مصر كان الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني يذهبان إلى أن اشتداد حركة محمد أحمد أحد المهدى » إنما يرجع إلى بقاء الإنجليز في مصر ، فقد « أمالت القاوب إليه نفرتها من السلطة الإنكليزية » ، وكتبا في العروة الوثق يظهران خشيتهما من أن يمتد الاحتلال البريطاني إلى الوثق يظهران خشيتهما من أن يمتد الاحتلال البريطاني إلى

السودان بعد أن أنشب أظفاره في مصر - وهو ما تحقق فعلاً لهذا كانا يأملان أن تكون الثورة السودانية مقدمة لإنقاذ وادى النيل كله من السيطرة البريطانية ، حتى إنهما - فيا يروى تلميذ الإمام ومؤرخه السيد رشيد رضا - فكرا في أن يذهبا إلى السودان خفية ولينظا فيه قوة محمد أحمد توسلا إلى إنقاذ مصر بها وتأسيس دولة قومة يعتز بها الإسلام والشرق »(١).

هذا في مصر ، أما في السودان فقد كان محمد أحمد المهدى وخليفته عبد الله التعايشي ينعيان على الخديو توفيق وقوعه بل قبوله السيطرة البريطانية ، وقد وضع المهدى في رأس برنامجه العمل على إنقاذ مصر من هذه السيطرة ، وحاول التعايشي - كا نعرف - التقدم لتنفيذ هذه الخطة ولكنه عجز ، وقد بلغ من عطف المهدى أعلى بطل الثورة المصرية أحمد عمابي أنه عطف المهدى أعلى بطل الثورة المصرية أحمد عمابي أنه - فيا قيل - أنب رجاله الذين قتلوا غمدون لأنه كان يريده حياليفتدى به أحمد عمابي من أسار الإنجليز .

ولكن انجلترا استطاعت أن تنفذ خطتها ، فأتخذت من احتلالها لمصر وسيطرتها على الحكومة المصرية أداة لإرغام هذه الحكومة على قبول « النصيحة » التي تقدمت بها لسحب قواتها

<sup>(</sup>۱) يمكن الرجوع إلى آراء السيد حمال اللدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في الثورة المهدية وسياسة انجلترا إزاء السودان إلى وتاريخ الأستاذ الإمام والسيد محمد وشيد رضا ج ١ ص ٣٧٠ – ٣٨٢

من السودان . والحق أننا لا نستطيع أن نملك أنفسنا عرف الإعجاب بتلك الجهود الرائمة التي بذلتها الحكومة المصرية في ذلك الوقت للتخلص من الضغط البريطاني حتى تبقي القوات المصرية والموظفون المصريون في السودان ، ولكن الحكومة البريطانية سدّت على مصر كل الطرق ، ولم تترك لها إلا طريقاً واحدة ، ألزمتها باتباعه ، وهي الجلاء عن السودان ، وتم للسياسة الإنجليزية ما أرادت ، وتم انهيار الإمبراطورية المصرية الإفريقية (سنة ١٨٨٥).

وفى خلال السنوات المشر التالية تطورت أحوال السودان ، على نحو لم يكن بوده ولا يتوقعه مؤسس الدعوة وخليفته : قد يفخر التعايشي بأنه قضى بالمنف على خصومه وممارضيه ، ومنهم أهل الإمام وبعض رجال الرعيل الأول ، ولكنه أخفق في محاولته الامتداد نحو مصر في سبيل تنفيذ رسالة « المهدية » ، وأظهر عجزه كل عوامل الضعف الكامنة في مملكته . وأخطر من ذلك أن الأمور كانت نجرى من حول السودان على نحو ينذر باقتراب العاصفة : فقد وضعت الدول الاستمارية الأوربية أقدامها على السواحل الأفريقية ، ثم بدأت تتهيأ للتوغل في داخل القارة مستغلة الفراغ الذي أحدثه انهيار الإمبراطورية المصرية والذي عجزت « المهدية » عن أن تملأه . وكانت كل من هذه الدول الاستمارية تضع نصب أعينها كمائزتها الكبرى : الوصول إلى

وادى النيل ، وبادرت انجلترا إلى العمل ، وبدأت صفحة فى التاريخ الدبلوماسى مليئة بالساومات والانفاقات بين الدول المتنافسة على الجائزة الكبرى ، وتقدمت القوات الإنجليزية فاحتلت السودان ( ١٨٩٦ — ١٨٩٩ ).

\* \* \*

وقد نشرت مؤلفات كثيرة في الثورة المهدية ، ولكن الكتاب الذي يسرنا أن نقدمه اليوم للصديق الدكتور جلال يحيى لا يتناول هذه الثورة كحركة سودانية ، أى أنه لا يتناولها من الناحية الداخلية ، وإنحا هو يصب اهتمامه على ما لابسها من أصول السياسية البريطانية ، فؤلف الدكتور جلال يحيى دراسة في التاريخ الدبلوماسي للملاقات المصرية السودانية الإنجليزية ، فيا بين التاريخ الدبلوماسي للملاقات المصرية السودانية الإنجليزية ، فيا بين التاريخ الدبلوماسي للملاقات المصرية السودانية الإنجليزية ، فيا بين التاريخ الدبلوماسي للملاقات المصرية السودانية الإنجليزية ، فيا بين التاريخ الدبلوماسي للملاقات المصرية السودانية الإنجليزية ، فيا بين من الرمن من الرمن .

وفي رأينا أن كتاب الدكتور جلال يحيي يتمتع بميزة كبيرة: وهي أن مؤلفه مصرى ، وقد مضى علينا زمن تركنا فيه للأجانب مجال التأليف في هذه الموضوعات من تاريخنا ، فجاءت أكثر كتاباتهم مشوبة بروح التعصب الوطني أو الديني ، بعيدة عما ينبغي أن يتوافر للبحث العلمي من نزاهة حتى جاء كتاب الدكتور جلال يحيي فسد الفراغ في

الكتبة العربية . على أن الدكتور جلال لم تدفعه مصريته إلى تشويه أو تلوين الحقائق ، بل إنه عمل على إبراز الحقيقة كاملة ، باحثاً عنها بين ثنايا الوثائق المصرية والأجنبية التى أتيح له الاطلاع عليها ، فأقبل عليها في صبر وأناة ، حتى استوى له منها هذا البحث الأصيل الذى نرحب بصدوره في (المكتبة التاريخية) في وقت نحن في أشد الحاجة إليه ، إذ نشهد طلائع تصفية الاستماد الأوربي في أفريقية وقيام دول أفريقية مستقلة ، ومن الحير لشبابنا والمتصدرين للخدمة العامة أن يدعموا حماستهم الوطنية بشى من الدراسة العلمية .

وهذا الكتاب يقدم دراسة علمية لجانب من تاريخ الحركة الاستمارية الأوربية في أفريقية . ونزجو أن تقدم (المكتبة التاريخية) قريباً دراسات أخرى لجوانب أخرى من تاريخ الاستماد في أفريقية وكفاح شعوبها في سبيل الحرية والاستقلال . وعلى الله قصد السبيل .

أمحد عزت عبد السكرمم

ه ۱ أبريل ۱۹۵۹

#### مقدمة المؤلف

يعتبر موضوع تاريخ السودان الحديث من أصعب الموضوعات. تناولاً ومن أدقها علاجاً ، لأسباب متعددة منها قلة المصادر العربية. وعدم ترتيبها ، خصوصاً وأن كلا من مصر والسودان قد خضع لفترة احتلال لا نستطيع بمدها أن نضمن سلامة وثائقنا وعدم. الساس بها ؛ ومنها صعوبة الحياد في موضوع قل أن توجد أسرة في. أى من القطرين الشقيقين لم تشارك في أحداثه بأحد أبنامها ؟ ومنها اضطرارنا إلى الاعتماد على مماجع أوروبية، ولا عكننا أن نضمن حياد كاتبها سواء كانوا من الإنجلز أو الفرنسيين نظراً لممالح. أنجلتر الواضحة في السودان من ناحية وعمل فرنسا على مناوءة. السياسة الإنجليزية في وادى النيل من ناحية أخرى . ورغماً عن ذلك فإن وسائل النشر الأوروبية وقوة التوزيع قد سمحت. للكتاب الأوروبيين عما لم تسمح به للمؤلف الشرق . هذا إلى. انقسامنا على أنفسنا - حتى وقت قريب - واعتمادنا اعتماداً كبيراً على المصادر والمراجع الإنجليزية ننقل عنها دون تفكير ولا تجرؤ على محاولة نقدها ، ولم تحاول العثور على الموامل المامة التي رسمت خطوط تاريخ السودان الحديث.

ولقد ساعدتني إقامتي في الخارج والبحث في دور المحفوظات الأوروبية والموازنة بين الوثائق الموجودة فيها وتبادل الرأى مع الأسائذة على فهم ودرس هذا الموضوع ثم إخراجه بهذا الشكل وعاولة شرحه بطريقة أقل ابتعاداً عن الواقع من غيرها.

ولا يسعنى فى تقديمى لهذا الكتاب إلا أن أتقدم بالشكر اللاستاذ الدكتور أحمد عن عبد الكريم - المشرف على الكتبة التاريخية - لعظيم توجيه، وللاستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل لمراجعة أسماء القرى والنواحى، وللاستاذ ياسين محمد مراد الذى تكرم برسم خرائط الكتاب.

الدق - أبريل ١٩٥٩

مِيول بحي

## المن المناسبة

ارتبط السودان عصر بروابط متينة مند أقدم العصور ، إذ أن الطبيعة نفسها قد وحدت بينهما بسريان النيل في كل منهما وأصبح النيل والبحر الأحر طريق المواصلات العامة بين سكان الشال والجنوب وسهلا التأثير المتبادل لكل إقليم على الآخر إلى أن جاء الفتح العربي وقوى هذه الروابط بإدخاله الإسلام واللغة العربية فيهما.

ولكن أوروبا ظلت لا تعرف الكثير عن السودان حتى عهد محمد على والى مصر الذى صم فى عام ١٨٢١ على إقامة سلطة الدولة بسكل ما تحمله من معنى سياسى حديث على تلك الأقاليم الواقعة إلى جنوب مصر . وسواء أكانت نية محمد على هى تعقب أمراء الماليك والقضاء عليهم بعد مذبحة القلعة أو العثور على معادن الذهب والزمرد أو استخدام السودانيين فى الجيش المصرى أو العثور على الأخشاب اللازمة لبناء أسطوله فى منطقة سنار ، وسواء أكان السودان أرض خلاء كما يدعى البعض أو لم يكن فالحقيقة هى أن حدود الدولة التى أنشأها محمد على قد اشتمات على السودان ، وأصبح مصير كل من الإقليمين مرتبطاً بمصير الآخر السودان ، وأصبح مصير كل من الإقليمين مرتبطاً بمصير الآخر

بشكل دولى . وكان من المكن السودان أن ينصهر مع مصر فى نفس البوتقة ويستفيد من الإسلاحات التى شهدتها مصر فى تلك الفترة ويشارك فى بناء الشرق الأدنى الحديث . ولقد كان السودان بعيداً عن أوروبا ، ولم يكن عثل هديداً أو إغماء مباشراً لهذه الدول فى تلك الفترة . وهذا هو السبب لعدم إدماجه فى قائمة الأقاليم التى قررت الدول الأوربية الكبرى فى سنة ١٨٤٠ إجلاء الحكم المصرى عنها كالجزيرة العربية وسورية وكريت . وهكذا نجد أن السودان بقى جزءاً من والايات مصر كما حددتها الفرمانات العمانية المحمد على وخلفائه .

ولقد حظى السودان باهتهام ولاة مصر ، فنجد أن محمد على يزوره في عام ١٨٣٩ رغم أنه كان له من العمر في ذلك الوقت سبعون سنة . كانت حروب فتح السودان قد انتهت منذ سنة ١٨٣٦ وبدأت المجهودات تبذل لإخراج السودان من حياة العصور الوسطى التي كان يميش فيها . وفي عام ١٨٥٧ زار محمد سعيد السودان وأصدر أوامي، بتخفيف الضرائب واتخاذ الإجراءات التي تساعد على رفاهية الأهالي .

كان من الطبيى أن يكون مجال مصر هو إفريقية . وقد ازداد وضوح هذه الفكرة إلى أن أصبحت سياسة محددة بعد تدخل الدول الأوروبية ضدمصر وإجبارها إياها على إخلاء الأقاليم التي كانت قد احتلها في الشرق الأدنى . فوجدت مصر مخرجها

الطبيعى فى الأتحاد مع الشعوب الإسلامية الإفريقية ، وكان أقربها إليها هو شعب السودان . عمل إسماعيل على تنفيذ هذه السياسية فى مشروعه الذى رى به إلى توحيد حوض النيل واستند فى ذلك إلى نظرية الحدود الطبيعية للدولة والتى كان من ضروريات تطبيقها إدخال منابع النيل وسواحل البحر الأحمر وخليج عدن داخل نطاق واحد وتوحيدها جميعاً مع مصر فى شكل كتلة متميزة فى شمال شرق إفريقية ، وقد سار إسماعيل فى تنفيذه لهذا المشروع فى نفس الوقت الذى حاول فيه الحصول على استقلاله من الدولة المثمانية و نجح إلى درجة كبيرة فيا هدف إليه .

حصل إسماعيل من السلطان على حكم محافظتى سواكن ومصوع ووحد إدارة كل الساحل الإفريق من السويس حتى رأس جاردافوى تحت سلطة حاكم واحد، ثم حصل على بربرة وحول إدارة زيلم لمصر، وأنشأ محافظة فى تاجوره ومد نفوذ مصر إلى الداخل على هررالتى فتحها فى عام ١٨٧٥. أما فى الغرب وهى أقاليم بحر الغزال وشكا ودارفور فإن مصر قد استفادت من الحرب التى قامت بين الزبير رحمت فى بحر الغزال والسلطان إبراهيم فى دارفور، واستمدت لغزو دارفور عن طريق الخرطوم وكردفان تازكة مهمة فتح البلاد للزبير ليقوم بها من الجنوب المساب مصر. وعين الخديوى الزبير رحمت حاكماً على الأقاليم التى فتحها وهى بحر الغزال وشكا والجزء الجنوبي من دارفور

وكلفه بإكال فتح دارفور في تماون مام مع إسماعيل أيوب حاكم عام السودان . وقد نجحت هذه السياسة وأصبحت دارفور جزءاً من الأراضي السودانية .

وأما في منطقة هضبة البحيرات الاستوائية فإن إسماعيل قد أظهر قصر نظره إذ أنه قد أسند مهمة تنفيذ هذا الجزء من مشروعه إلى أحد الإنجليز واستمع إلى نصيحة ولى عهد انجلترا عند زيارته لمصر عام ١٨٦٩ وعين الستكشف الإنجليزي السير صامويل بيكر قائداً عاماً للحملة المصرية وعهد إليه بإخضاع كل المناطق الواقعة إلى الجنوب من غندوكرو لسلطة مصر وبالقضاء على تجارة الرقيق وبإدخال نظام التجارة المشروعة وبفتح البحيرات الاستوائية للملاحة وبإقامة عدد من الحطات المسكرية والمخازن التجارية في وسط إفريقية على أن يتخذ من غندوكرو قاعدة لعملاته.

لم تكن خدمة السير صامويل بيكر لمصر خالصة أو مخلصة إذ أنه قد فسر مهمته في هضبة البحيرات على أنها تهدف إلى القضاء على تجارة الرقيق قبل أى شيء آخر ، وعلاوة على ذلك فإن هذا المستكشف بل هذا المفاص كان يؤمن بأن خير وسيلة تعاونه على بلوغ هدفه هي استخدام العنف. ولكن تجارة الرقيق كانت مشكلة اجتماعية لها جذور عميقة في المجتمع الشرق بشكل عام

والسودانى بشكل خاص . ولم يكن من المقول تغييرها بمجرد إصدار أمن أو بلاغ عسكرى أو حتى القضاء عليها فى فترة قصيرة دون أن تترتب على ذلك مشاكل أخرى اجتماعية واقتصادية . ولكن السير صامويل بيكر أراد أن يدفع التطور دفعاً ويدخل المدنية الأوروبية فى قلب إفريقية دون أن يسمح لها بالسير فى المراحل الانتقالية الطبيعية . ويعطينا المستكشف الإيطالى رومونو جيسى فى كتابه « سبع سنوات فى السودان المصرى » صورة قاتمة لحكم السير صامويل بيكر فى أعالى بحر الجبل . وعند ما انتهت مهمته وعاد إلى القاهمة ادعى أمام الخديوى أنه فور لغزوه ولهدئته للأقاليم المتدة حتى خط الاستواء . ولكنه لم يكن قد عمل أى شيء أكثر من إقامة ثلاث عطات عسكرية وخلق عدا الأهالى ضد الحكومة .

لم يكن السير صامويل بيكر يختلف فى حقيقة الأم عن غيره من بناة الإمبراطورية البريطانية مثل رودس ولوجارد ، فقد اعترف بذلك صراحة وأكد أنه كان يعمل على تقوية النفوذ البريطاني فى المناطق التى عهدت إليه مصر بإدارتها ، وكان نخوراً بأن يخلف خردون فى هذا العمل وأن تسمح الظروف للنفوذ البريطاني بأن ينساب فى مصر ويتوغل فها وراءها خصوساً وأن قصر نظر الخديو قد حمله على تعيين مالكولم فى سواحل البحر قصر علاوة على تعيين مالكولم فى سواحل البحر الأحر علاوة على تعيينه ما كاوب باشا فى البحرية المصرية فأصبح

هناك أربعة من الباشاوات الإنجليز لهم من السلطات في الأراضي المصرية ما لم يصل إليه أي إنجليزي آخر من قبل . وهكذا نرى إن قصر نظر إسماعيل يتمثل في استخدامه للإنجليز من ناحية وفي إعطائهم سلطات واسمة القضاء على تجارة الرقيق من ناحية أخرى . ولقد عمل هؤلاء الإنجليز على نشر نفوذ دولتهم في الأقاليم التي يحكمونها من ناحية وعملوا على زعزعة كيان المجتمع السوداني بوسائلهم الصارمة التي استخدموها القضاء على تجارة الرقيق من ناحية أخرى .

جاء غردون إلى مديرية خط الاستواء لا كال ما بدأه بيكر .
فنقل عاصمة المديرية من غندوكرو إلى اللادو في عام ١٨٧٤ ، وقام شاييه لونج في ١٩ يوليو من نفس العام بتوقيع معاهدة مع متيسا ملك أوغندا اعترف فيها هبذا الأخير بدخوله في حماية مصر . ولقد أنشأ غوردون عدداً من الحطات العسكرية في منطقة خط الاستواء واقترح على الحديوي إسال بعض الجنود إلى خليج عبسة لإقامة محطة بحرية على الحيط المبندي لتعمل كمخرج طبيعي لإقليم هضبة البحيرات وتساعد على تكوين تلك الكتلة الموحدة في شمال شرق إفريقية . وكانت هذه الفكرة موجودة لدى في شمال منذ عام ١٨٧١ ، وكان فتح همر في عام ١٨٧٥ ، ما ساعد على المندي قيها . فقرر الحديو إرسال حملة الجوبا البحرية بقيادة بقيادة

ما كياوب باشا إلى ساحل إفريقية الشرقى، ورسم خطة مشتركة مم غردون تتلخص في سير حملة برية من المحيط الهندي إلى الداخل بقيادة شاييه لونج لكي تقابل غوردون في سيره متجها صوب الشاطيء . ولسكن غوردون أهمل تمليات الخديو وبتي في إقليم هضبة البحيرات وتدخلت في نفس الوقت وزارة الخارجية البريطانية ضد الحلة المصرية المرسلة إلى شاطىء المحيط المندى . وكانت أنجلترا تعرف إمكانية تنفيـذ هذا المشروع وأمنارت تعلياتها إلى كيرك ، قنصلها المام في زنجبار بأن يعامل غردون عند وصوله إلى الساحل معاملة أخرى ومختلفة تماماً عن مماملته لما كلوب، فكان عليه أن سامله مماملة الأصدقاء وليس بصفته قائداً لحلة معادية . وعلاوة على ذلك فإن غردون قد قرر بمد بضمة أشهر إخلاء أوغندا بدعوى أن الحاميات المصرية كانت في من كز حرج ثم ترك غردون خط الاستواء وعاد لبلاده تاركا الحربة التامة للإنجليز لكي يعملوا من شرق إفريقية متجهين صوب هضبة البحيرات. وشهدت السنة التالية إنشاء شركة شرق إفريقية الإمبراطورية البريطانية لاستغلال الأراضي الواقعة بين زبجبار وهضبة البحيرات.

استمرت الحكومة المصرية في قصر نظرها واستمعت إلى وصية ثيفيان القنصل العام الإنجليزي في القاهرة وعينت

الكولونيل غهدون في منصب الحاكم العام للسودان في ٦٧ من فبرار سنة ١٨٧٧ . وكانت هذه هي أول من يشغل فيها أحد الأوروبيين هذا المنصب الهام الأمر الذي ترتب عليه كثير من. الشكلات للحكومة المصرية في تلك الأقاليم. فمندما رأى غردون تضارب الممالح المصرية والإنجليزية في إقليم هضبة البحيرات أصدر أمه إلى أمين بك ، الألماني الذي خلفه في إدارة شئون تلك المنطقة بإخلائها وبالابتماد عن بحيرة فيكتوريا وهدده بنقله إلى سواكن . ولكن رؤوف باشا الذي خلفه في الخرطوم استطاع أن يلغي هذا الأمر ويعيد الحدود إلى ما كانت عليه . أما في منطقة سواحل البحر الأحمر فإن عودة غردون للسودان في عام ١٨٧٧ كانت قد سبقت توقيع اتفاقية ٤ أغسطس بين مصر وبريطانيا ببضمة أشهر، وهي الماهدة التي أظهرت حسن نية الحكومة. المصرية في القضاء على تجارة الرقيق والتي اعترفت فيها إنجلترا بسلطة مصر على جميع سواحل البحر الأحر حتى رأس حافون . كان غردون واثقاً في بداية الأمن من أن تنفيذ هذه الاتفاقية . يتمارض تمارضاً تاماً مع مصالح مصر ، كانت له شخصياً سلطات مدنية وعسكرية مطاقة ولكنه كان يشعر بعدم سهولة القضاء غلى تجارة الرقبق في وقت وجيز . ولكن الأميرالية البريطانية عينت البكابين مالكولم في شهر ديسمبر سنة ١٨٧٧ لمراقبة تنفيذ هذه الاتفاقية وأصدر الخدوى أمن أ في أول يناير سنة ١٨٧٨ بتعبينه

مديراً عاماً لإدارة بجارة الرقيق في البحر الأحمر . عمل مال كولم على تثبيت النفوذ البريطانى في شرق إفريقية وإقالة أو بكر إراهم محافظ زيلم من منصبه ولكن غردون عارض في ذلك . وأظهر مالكولم رغبته في الاستقالة من منصبه ولكن وزارة الخارجية البريطانية لم تكن لترضى عن استقالة مندوبها في البحر الأحمر ، فأعلنت أسفها لاستقالة ذلك الضابط « النشيط » . وشمر غردون أنه قد أغضب وزارة الخارجية الريطانية خصوصاً عندما ألحت على قنصلها في القاهرة بالضنط على الخديوي وغردون وتحميلهم مسؤولية أتخاذ الإجراءات الفعالة اللازمة للقضاء على تجارة الرقيق. فحاول غردون محسين علاقته مع حكومة بلاده ومنذ ذلك الوقت شنها حرباً عواناً على تجار الرقيق وأقام في البلاد حكماً هو أقرب إلى لا حكم الإرهاب » . فهللت وزارة الخارجية الريطانية لهذا الأنجاه الجديد . ورغم أن الكفاح ضد تجارة الرقيق قد أخذ شكلا إرهابياً تقوض معه المجتمع خصوصاً في الأقاليم الجنوبية للسودان وفى دارفور وكردفان وبحر الغزال فإنتا تجد وزارة الخارجية البريطانية تعرب عن رضاها عن أعمال غردون النشطة وهمته في القضاء على مجارة الرقيق.

كان السودانيون مسلمين متمسكين أشد التمسك بدينهم وكانوا بطبيعة الحال لا يعترفون لغير المسلم بأى حق فى ولاية أمورهم . فاذا سيكون الأمر عندما يكون هذا الحاكم مشيخياً أجنبياً

يستخدم القوة كوسيلته الوحيدة للتفاهم معهم ؟ وماذا سيكون الأم عندما يظهر هذا الحاكم احتقاره للمصريين ويصدر الأوام المتناقضة في كل يوم وهي لا تؤدي إلا إلى إشاعة الفوضي في البلاد ؟ حاول غردون أن يظهر حبه للسودانيين فعين الكثيرين منهم في مناصب هامة دون أي خرة سالفة ، فمين الياس باشا وهو أحد كبار التجار في منصب مدير ،كردفان ، ثم عين بمده عبد الرحمن بك ناجي، وكان بدوره من بجار كردفان، ولا جدال في أن نشاطهم المالي والتجاري السابق قد أثر عليهم تأثيراً وانحاً عندما وجدوا الإقليم بحت سيطرتهم وسيطرة القربين إليهم . ثم عاد غردون وعزلهم ووضع بعض الموظفين المصريين بدلاً منهم . كان غردون لا يهدف بهذا إلا إجبار الأهالي على كراهية المصريين إذ أن المديرين المعزولين كانوا من أبناء البلاد وكان من السهل علمهم استخدام نفوذهم في عمقلة نشاط المصريين . وهكذا نرى أن غردون كان يعمل ضد مصلحة مصر ويعمل إلى انتشار الفوضي الإدارية نما دفع عدداً كبيراً من أعيان السودان وتجارها إلى أن يلتمسوا من الخديوي تخليصهم من حكم غردون في عام ١٨٧٨. ولقد حاول غردون تميين أحد الأوروبيين بدلاً من رؤوف باشا في هرر ، كما أنه شجع تعيين الأوروبيين لأقالم السودان الأخرى ، فكان أمين بك الألماني Dr. Schnitzer يتولى زمام الأمر في خط الاستواء والإيطالي رومولو جيسي في بحر الغزال

ومساداليا في دارفور والألماني چيجلر في الجرطوم كفتش عام المتلفرافات والنمساوي رودلف سلاتين يصل إلى منصب حاكم دارفور وله من العمر ٢٥ عاماً وفرانك لبتون الضابط في البحرية التجارية الإنجليزية على رأس حكومة بحر الغزال . ولم يخف غردون نيته في تميين الأوروبيين في مناصب وكلاء المديريات بدعوى العمل على منع ممرور قوافل العبيد .

ولكن تعيين الأوروبيين في تلك المناصب كان من الأسباب التي أسخطت الشعب والتي انتهت بالأزمة وبالثورة . فكثيراً ما كانوا يصدرون الأوامر التي تتضارب مع العرف والتقاليد مما كان سبباً رئيسياً في إثارة الأهالي .

أما في غرب السودان فإن إدارة غردون قد أدت إلى وقوع كارثة على تلك الأقاليم ، خشى غردون أن يعمل سليان بن الزبير على الاستقلال ببحر النزال أو أن يتحالف مع السلطان هارون الذي كان لا يزال يقاوم في دارفور ، فأصدر أمره إلى إبراهيم بك فوزى بتأكيد سلطة الحكومة على هذه المنطقة وعين سعيد بك حسن مديراً على شكا وأصدر أمره إلى سليان بالرجوع إلى دياره الأصلية ، وعلى أي حال فرغم ما يدل عليه هذا العمل من محاولة إذلال سليان فإنه طلب العفو وأظهر ولاءه مما جعل غردون يعينه مديراً على محر النزال وينم عليه بلقب بك ، ورغم أن إبراهيم فوزى قد أيد وجهة نظر سليان وأثبت رسمياً أن إدريس أبتر الذي

كان قد تولى أمر بحر الغزال قبل سليان قد تلاعب بحسابات الخزانة ، إلا أن غردون عاد وفصل سليان من إدارة الإقليم وعين إدريس أبتر مديراً عليه نتيجة لتشفع فردريك بروست القنصل الألاني في الخرطوم له . لم يكن هذا مما يساعد على إقامة السكينة في البلاد . وشعر سليان الزبير أنه مضطر لمدم تسليم الإدارة لإدريس خصوصاً وأن والله كان قد نسحه من القاهرة بالقضاء عليه مع مواصلة العلاقات الطيبة والولاء للحكومة والعمل على تنفيذ أوامرها . ففسر غردون ذلك بأنه عصيان وحكم بالإعدام على الزبير وعلى ابن الزبير بدعوى الخيانة العظمي وسنجن أقرباءهم القيمين في الخرطوم وصادر أملاكهم، ثم وقع اختياره على جيسي الإيطالي لقيادة الحلة العسكرية الموجهة ضد سليان. ولم يكن جيسى بمتاز عن غيره من المغامرين الأوروبيين في إفريقية ولكنه بجم على أى حال في احتلال ديم الزبير ثم تمكن من أسر سليان وإعدامه وقام مساداليا في دارفور بالقبض على أنصار الزبير وشنقهم في مكان السوق دون محاكة .

هذه صور من الحرب العوان التي شما غردون على أهالى السودان ، وكان من الطبيعي أن تصحبها مجارة قائمة على تهريب الأسلحة ، ولم تؤد الإجراءات التي اتخذها غردون ضد الجلابة ومعاملته القاسية للم إلا إلى كراهية الأهالي للإدارة المصرية في السودان التي كان هو على رأمها .

ولقد حاول معظم المؤرخين الأوروبيين الاستناد إلى أن حروب السودان كانت عبثاً ثقيلا على كاهل مالية مصر، وحاول البعض أن ينسب لها تفكير بعض الإنجليز في نصح مصر بإخلاء هرر من ناحية ووقف إنشاء الخط الحديدي بين مصر والسودان من ناحية أخرى. ولكن هذه الادعاءات لا تستند إلى أي حقيقة إذ أن السودان كان يعطى الخزانة العامة دخلاً يبلغ٠٠٠ر١٥٠ جنيه سنوياً كما أن إدارة بلاد الصومال كانت تعطى فانضاً للخزانة المصرية حتى يوم إخلائها في عام ١٨٨٤ – أما عداء غردون لإنشاء خط السكة الحديدية من وادي حلفا جنوباً وهو ذلك الخط الذي كان بهدف إلى ربط السودان عصر فهو أمر مرتبط دون شك كل الارتباط بذلك المشروع الآخر الذي كان بعض رجال الأعمال البريطانيين يسعون إلى تنفيذه، وهو ربط الخرطوم بسواكن - تلك القاعدة البحرية على البحر الأحمر التي عكن للأساطيل البريطانية السيطرة عليها بسهولة إن لزم الأمر.

سحبت الحكومة المصرية غردون من السودان ولكن الوقت كان متأخراً. وقد وجد غردون السودان في أمن ورفاهية ولكن نشاطه قلب البلاد رأساً على عقب وقلقل أسس النظام الاجتماعي في السودان.

عينت الحكومة المصرية رؤوف باشاحاكاً علماً على السودان

فسار على سياسة سلفه في قم الرقيق ولسكن السودان كان بعيداً كل البعد عن أن يكون مخلصاً في ولائه ولم يكن ينقصه إلا القليل لكي يهتز ويقوم بثورة عامة . وليس هذا الأمر عثير للدهشة بعد النشاط الذي قام به الحكام الإنجليز والأوروبيين بعامة في السودان ونشاط غردون بخاصة في تلك المناطق. كان فرض التغيير على السودان بالقوة وتنفيذ ذلك عن طريق حكام من الأوروبيين السيحيين الذين لابيفهمون روح الشعب سبباً رئيساً في نشوب تورة السودان التي استندت إلى مجموعة من العوامل الاجماعية والدينية والتجاربة والاقتصادية والجنسية والإدارية لتغيير « الوضع القائم » في السودان . ولقد كان من الطبيعي أن يقوم السودان بثورته وأن تأخذ هذه الثورة خط السير الذي سارت عليه نظراً للعوامل التي أدت إليها والمؤثرات التي أثرث فيها أثناء تطورها .

كانت مصر نفسها تجتاز فترة ثورية هامة فى تاريخها وكان شعبها يشعر بالحاجة إلى الإصلاح . كانت المالية للصرية قد بدأت فى ارتباكها وظهر ذلك الارتباك بشكل واضح مما أدى إلى فرض الإشراف المالى الإنجليزى الفرنسي على شئون مصر . كانت أنجلترا قد بدأت تهتم اهتماماً فعلياً عصر منذ تم حفر قناة السويس فى سنة ١٨٦٩ ومنذ شرائها لنصيب مصر فى أمهم تلك القناة فى سنة ١٨٦٩ ومنذ شرائها لنصيب مصر فى أمهم تلك القناة فى سنة ١٨٦٩ وكان من مصلحتها أرث تحافظ على خطوط

مواصلاتها مع مستعمراتها في الهند والشرق .أما المصريون فكانوا يعماون على التخلص من تلك الإدارة الأجنبية . كان الشعب المصرى غير راض عن وجود عدد كبير من الموظفين الأجانب في إدارة البلاد ، خصوصاً وأنه لم يكن هناك ما يثبت أن هؤلاء الأجانب كانوا أكثر كفاءة من المصريين أو أكثر أمانة منهم على مصالح بلادهم . ولقد ظهرت هـ ذه الحركة بشكل واضح بين صفوف الجيش الذي كان يعامل أبناء البلاد معاملة مختلفة عن معاملة الأتراك والجراكسة والأجانب. وكان التمييز في الترقيات وفى المرتبات وحتى فى انتظام دفعها واضحاً بين رجال الجيش من بين المصريين ومن الأجانب . كما أن إشراف هؤلاء الأجانب على العمليات الحربية في الحبشة قد أظهر قلة مقدرتهم وقوض هيبة الحكومة أمام الضباط والجنود المصرين . وكان ظهور هذه الحركة بين صفوف الجيش أمراً طبيعياً ، إذ أنهم كانوا أبناء البلاد الحقيقيين الذن يستطيعون أن يحصلوا على حقوقهم من الخديوى . ولقد كانت هذه الحركة تعبر عن الحالة النفسية التي سادت مصر فى ذلك العصر ، والتى كانت تهدف إلى صيانة استقلال البلاد والقضاء على تدخل الدول الأجنبية .

تأثرت هذه الحركة ، كما نعرف ، بآراء الشيخ جمال الدين الأفغانى ، والشيخ مجمد عبده التي كانت تنادى بعدم الجمود وفهم الإفغانى ، والشيخ مجمد عبده الحياة الحديثة وضرورياتها . ولذلك

فإنها كانت تنادى بتطبيق الروح الديموقراطية التي وجدت في الإسلام قبل أن يدعى النرب حق اكتشافها . ولهذا فإننا نجد أن ثورة عمابي كانت تنادى بإقامة حكومة دستورية في البلاد وتأليف وزارة مسؤولة أمام مجلس نواب منتخب من أبناء الشعب أي عمني آخر تغيير « الوضع القائم » في البلاد . ولقد حدث ذلك في نفس الوقت الذي بدأ فيه أهل السودان ينادون بتغيير « الوضع القائم » في جنوب الوادى .

حقيقة إن ثورة السودان لم تكر تطالب بما يطالب به المرابيون في مصر من ناحية الشكل ، ولكن هدفها كان لا يختلف كثيراً عن أهداف الثورة العرابية إذ أنها كانت تعمل على طرد الأجانب وعدم الخضوع للحكام « الكفرة » . كان هذا الاختلاف ضرورى ، إذ أن المرحلة الثقافية التي اجتازها السودان حتى ذلك الوقت كانت متبخلفة عن المرحلة الثقافية التي اجتازتها مصر . وعلى أى حال فإن المنطق كان يدعو كلا من الحركتين إلى أن تتجاوب مع الأخرى ، وأن بعيشا جنباً إلى جنب ، في يصبح تأثر الحركة السودانية بالحركة المصرية أكثر من ذلك . ولكن التدخل الأوروبي في شئون مصر قلب الأوضاع من ذلك . ولكن التدخل الأوروبي في شئون مصر قلب الأوضاع رأساً على عقب .

َ كَانَ مِمْنَى إِنشَاء وِزَارَة مَسْتُولَة في مصر أمِام مجلس نواب

منتخب هو تغيير الوضع القائم، وإعطاء المصريين حق إدارة شئون بلادهم ومناقشة ميزانيتهم، وكان هذا يتعارض مع وجود المراقبة الثنائية الإنجليزية الفرنسية على شئون البلاد . كما أن نجاح الثورة العرابية كان يهدد انجلترا ، إذ أن قيام دولة قوية فى تلك النطقة الاستراتيجية الهامة كان يعنى القضاء على سيطرتها على مواصلاتها الإمبراطورية مع المند إن اشتد الأمى . وكانت هذه هى العوامل التى دفعت انجلترا إلى انتهاج سياسة المحافظة على الوضع القائم فى مصر ، وما تلا ذلك من تدخل عسكرى قضى على الثورة المصرية ، وأعاد الوضع إلى ما كان عليه من قبل ،

عاد الخديوى بمد الاحتلال البريطاني للقاهرة في ظل الحراب الإنجليزية ، وعاد الوضع الرجعي إلى التحكم في أبناء البلاد ، وكان معنى هذا هو سيطرة انجلترا على شئون مصر باسم تدعيم سلطة الخديو . قضى الانجليز على الثورة المصرية وعادت الحال إلى ما كانت عليه قبل الثورة في الظاهر ، ولسكن في حقيقة الأمر أصبحت انجلترا هي المسؤولة عن إدارة مصر من وراء الخديو الذي كان لا يستطيع معارضها وهي تحميه ضد شعبه .

تألفت وزارة مصرية بعد الاحتلال البريطاني ولكنها لم تكن حرة في المحافظة على مصالح البلاد وكانت من ناحية (٢ – ثورة)

أخرى تمثل عودة النظام القديم ، وكان عليها أن تعيد النظام إلى نصابه في مصر وأن تحافظ على الوضع القائم في السودان. لم يكن في استطاعة هذه الوزارة الجديدة إذاً أن تتفاهم مع الثوار السودانيين وكان علمها أن تستخدم القوة في السودان - كما استخدمتها أنجلترا في مصر – ليكي تثبت أركان الحكومة « الخدومة » . إن هذه الحكومة هي حكومة « رجعية » بكل معنى الـكلمة وإن امتاز بعض أفرادها بسمعة وطنية طيبة . وإن كانت أنجلترا قد استفادت من وجود هذه الوزارة في مصر لتسيير الأمور فها دون معارضة للاحتلال البريطاني فإن تقيد هذه الوزارة بالولاء للمهد القديم من ناحية واستخدامها القوة ضد الثورة السودانية من ناحية أخرى سيمهد الطريق أمام أنجلترا لتنفيذ سياستها المقبلة في وادى النيل بشكل عام وفي السودان بشكل خاص.

احتلت انجلترا مصر وأكدت سلطتها على الإسكندرية والقاهرة ومنطقة قناة السويس ولكن سيطرتها على الصعيد كانت ضعيفة ولم تكن ظروفها إذ ذاك تسمح لها بإرسال حاميات جديدة لاحتلال وادى النيل كله. ولذلك فإن السياسة البريطانية في القاهرة مضت تدرس الحالة وتحاول الاستفادة منها إلى أقصى درجة ممكنة وبأقل تكاليف ممكنة في الأرواح والأموال.

وهكذا كان فشل الثورة العرابية في مصر نتيجة لانضام كل

من الخديوى والسلطان إلى الإنجليز هو البداية لتدخل انجلترا في شئون السودان واستفادتها من الحوادث.

وكان الاحتلال الإنجليزي لمصر أكبر مساعد للثورة السودانية على الانتشار بل عاولة تدخلها في مصر نفسها لتخليصها من الاحتلال وسيظهر عداء الثورة السودانية للحكومة الخديوية واضحاً وستحاول انجلترا الاستفادة من هذا المداء لتثبيت أقدامها في مصر من ناحية وعاولة السيطرة على السودان بعد أن تفصله عن مصر من ناحية أخرى .

وسنرى كيف أن نية انجلتراكانت مبيتة لفصل السودان عن مصر وإخضاعه للسيطرة الإنجليزية .

ويحاول الإنجليز بطبيعة الحال التنصل من هذه المسئولية وإلقائها على عانق الحكومة المصرية ويدعون أن هدفهم كان « تحرير » السودان من الحكم المصرى . ولكن هذه الادعاءات لا تستطيع الصمود طويلا خصوصاً وأن هؤلاء الاستعاريين قد رفضوا منح مصر ما ادعوا أنهم يرغبون إعطاءه للسودان .

# الفصت لمالأؤل قيام الثورة المهدية

# الإمام محمر أحمد ( المهدى ) والتورة :

قامت ثورة السودان نتيجة لمجموعة من العوامل الاجماعية والدينية والاقتصادية والجنسية والإدارية هنت المجتمع السودانى فى ذلك الوقت . ولقد كان من الطبيعي أن تحدث هذه الحركة تتبيجة لتقابل مستويين حضاريين مختلفين في السودان في ذلك الوقت : هما مستوى الحضارة اللصرية التي كانت قد بدأت تتأثر بالنظم الأوروبية الحديثة ومستوى الحضارة السودانية البسيطة . كان لإدخال نظم إدارية جديدة في السودان وتقرير تشريمات جديدة للتجارة والضرائب وتجارة الرقيق واحتكار بعض الموارد لصالح الحكومة أثرها في هذه الثورة - وكان لدخول عدد من السودانيين في وحدات الجيش المصرى واحتكاكهم بالمصريين تأثير آخر ، وكان لاستخدام الأوروبيين في إدارة شئون السودان والوسائل التمسفية التي استخدموها في تنفيذ قراراتهم أكر الأثر في دفع السودانيين إلى إظهار عدم رضائهم . ولقد تباورت كل هذه العوامل ونتائجها ووجدت زعيمها وفلسفتها فى شخصية الإمام محمد أحمد (المهدى) وفى إعلانه الهدية. وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على بساطه المجتمع السودانى وشدة تمسكه بالدين والتقاليد بماكان لا يتمشى مع القوانين الوضعية التي طبقها الإدارة المصرية هناك خصوصاً وأن الحكام الذين طبقوها لم يحاولوا التدرج فى تطبيقها وجعلها تسير سيراً طبيعياً مع تطور المجتمع السودانى .

كان محمد أحد بن عبد الله زعيم الثورة المهدية من أصل بسيط وأعلن انتسابه للأشراف من سلالة النبي . كان والده يعمل في صناعة السفن . وقد أظهر محمد أحمد منذ صفره ميلاً وانحاً للدراسة والتدين، وبدأ حياته في الخلوات المحيطة بمدينة الخرطوم وغيرها وقد ظهر تفوقه على أقرآنه في خلوة الشيخ محمد الخير في بربر . ثم أخذ يمضى فترة من الليل فى التأمل والصلاة وتلاوة الأوراد بعد أن عضى نهاره في الدراسة . ثمانضم إلى السيد عمد الشريف نورالدام شيخ الطريقة السمانية ، ولقد سمحله هذا الشيخ بتكوين مريدين له رغم صغرسنه ، وكان ذلك مماساعده على التمرن في الوعظ والإرشاد. سرعان ما أنخذ محمد أحمد جزيرة أبا مقرآله يعيش فيها عيشة العابد المتصوف . كانت هذه الجزيرة تبعد عن الخرطوم بحوالي ٢٠٠٠ كيلومتراً ولكنها كانت تقع على طريق الملاحة الذي تسلكه السفن في النيل الأبيض عما ساعد على انتشار سيت هذا العابد المتصوف وسرت الإشاعات عن أنه يرى الرؤيا ويسمع الأصوات . وكان هذا كافيا في نظر العامة من الأهالى الذين وجدوا فيه « المختار » من العناية الإلهية لخلاصهم .

ازداد عدد أنصار محمد أحد وأخنت السفن التي تسير في النيل بين الخرطوم وفاشوده تنقل أخباره إلى القرى المختلفة على ضفاف النهر . وقد أعلن محمد أحمد في هذه الفترة قطع صلته بأستاذه الشيخ محمد الشريف شيخ الطريقة السمانية بمد أن انتقد طريقته في الاحتفال بختان ابنه مع الموسيقي والرقص والولائم إذ أعلن أن كل هذه المظاهر لا تليق برجل متدين .

وهكذا أتخذ عمد أحمد دور المصلح الديني لجماعته .

خرج محمد أحمد إذا من الطريقة السانية مع أنساره ودخل بهم فى طريقة الشيخ القرشى ود الزين فى المسلمية على النيل الأزرق. وانتشرت محمة ذلك «الفقيه» فى القرى الحيطة بسرعة ولكن إقامته فى المسلمية كانت قصيرة إذ أن الشيخ القرشى قد توفى وعاد محمد أحمد مع أنصاره إلى جزيرة أبا . ولا شك فى أن هذا الترحال ودخوله فى إحدى الطرق الصوفية مم خروجه منها كان أحسن وسيلة للدعاية له ولفكرته وللعمل على تكوين جماعة جديدة تأثمر بأمره وتنفذ إرشاداته

عاد محمد أحمد إلى جزيرة أبا وأخذ يبشر هذه المرة بضرورة

الرجوع للإسلام فى بساطته الأولى فدعا إلى التمسك بالإيمان بالله وذكر الناس بفناء هذه الدنيا التى ليست إلا دار إنتقال وأخذ يذكر الناس بضرورة معرفة الله وذكره فى أوقات الشدة وأن الله لا يبخل بالسعادة على عباده المؤمنين . كما أنه أمرهم بالابتعاد عن ملذات الدنيا وحضهم على مساعدة بعضهم لبعض . وحينما كان الأهالى يحضرون له الهدايا ، كان محمد أحمد يوزعها على الفقراء الذين ازدادوا تفانياً فى حب ذلك الراهد الذي يرفض ملذات الدنيا(۱).

رأى محمد أحد أن توزع المسلمين بين أربعة مذاهب: شافسية ومالكية وحنفية وحنابلة ، ثم تفرقهم بعد ذلك بين « طرق » سوفية مختلفة لم يؤد إلا إلى إضعاف الإسلام ، ووجد أن الطريق إلى الله واضح جلى فى كل من القرآن والسنة ، وأن معرفتهما كافية للمؤمن الحق . أعلن محمد أحمد احتقاره للفقهاء من رجال الدين وأحرق كتبهم علانية أمام الناس ، ولكن ذلك لم عنعه من أن يكتب كتابًا دينيًا للصاوات أسماه « الراتب » وأجبر أنصاره على قراءته ، ورغم الهام الفقهاء له بالمروق فإن أهالى السودان البسطاء من رجال القبائل الرعاة أو المزارعين نظروا إليه وكأنه عنل الرجوع إلى الاسلام المبسط الخالى نظروا إليه وكأنه عنل الرجوع إلى الاسلام المبسط الخالى

<sup>(1)</sup> CHURCHILL, W.S.; The River War. London, 1949. p. 25.

من الشوائب، ويهدف إلى الرجوع إلى الأصول الأساسية للعقيدة والإيمان.

حرم محمد أحمد على أنصاره استخدام فاحش القول وشرب الخر وتدخين الطباق والحشيش ، وكذلك الرقض والاستماع إلى الموسيق ، وأوصى بتبسيط حفلات الزواج . وهكذا أصبحت الهدية عبارة عن حركة تبسيط للمقيدة وتجريدها من الشوائب التي التصقت بها على مم الأيام . ولكن المهدية كانت أكثر من ذلك خطراً ، إذ أنها كانت تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان ، الأمم الذي كان يهدد النظام القائم بالفعل في السودان .

ليس من السهل علينا أن نفصل بين المظاهر الدينية والمظاهر السياسية في أعمال المهدى ، إذ أنه قد اعتبر هذين الميدانين متصلين ومرسطين أحدها بالآخر تمام الارتباط كاكان عليه الحال في القرون الإسلامية الأولى . فكان رأس الدولة هو أمير المؤمنين وإمامهم ، وكان على هذا الشعب أن يطيعه ما لم يوصه بمصية الحالق . ولم يحاول الإمام محمد أحمد أن يقوم بدعاية سياسية مباشرة ضد حكام السودان ورجال الإدارة والنظم القاعة فيه بل مباشرة ضد حكام السودان ورجال الإدارة والنظم القاعة فيه بل أخذ عليهم ابتعادهم عن تعاليم الإسلام ونعتهم بالكفر . ونادى أنصاره بالقضاء على تلك الحالة الدينية المنحلة دون أن يطلب

منهم مهاجمة الحكومة الفاسدة . وكان يهدف إلى هدم الحكومة أولاً ثم إقامة حكومة أخرى دينية في مكانها تعمل على تطبيق الشريعة ويصبح هو رئيسها الديني والزمني .

اتخذ محمد أحمد لنفسه لقب «المهدى» في وقت إقامته في جزيرة أبا<sup>(1)</sup>. ولا جدال في أن لقب المهدى ينطبق تمام الانطباق. على الإمام محمد أحمد في جهاده المودة إلى بساطة الإسلام وللقيام بإصلاحات سياسية بين أهالى السودان في تلك الفترة . و «يهدى الله لنوره من يشاء» . ولكن اعتباره على أنه هو المهدى المنتظر كان شيئاً آخر مختلفاً تمام الاختلاف . لمست شخصية المهدى بهذه التسمية نقطة شديدة الحساسية في الإسلام وستكون سيباً في خلق مشاكل كثيرة له في المالم الإسلام خارج السودان .

عمل المهدى على زيادة أنصاره فى خارج جزيرة أبا والنطقة المحيطة بالمسامية واستمع إلى نصيحة أحد أنصاره ، وهو عبد الله التعايشي ، وزار غرب المسودان والمنطقة التي تسكنها قبيلته وهي التعايشة من البقارة . وقد سمحت هذه الزيارة للمهدى بأن يتمرف على مدى سخط الأهالى خصوصاً بعد الحروب التي شنها غردون في هذه المنطقة وعلى مدى التأييد التي يمكن لهؤلاء الأهالى

<sup>(1)</sup> DUJARRIC Gaston; L'Etat Mahdiste du Soudan. Paris. 1901. p. 39.

أن يعطوه له . كان هذا الإقليم بعيداً عن الخرطوم وصعب السالك وكانت حاميته ضعيفة واستطاع الإمام محمد أحمد أن يقدر إسكان اعتماده على هذه المنطقة وعلى أهلها لكى تكون نواة لدولته الناشئة التى تهدف إلى تغيير الوضع القائم في السودان .

جاءت أنباء المهدى ونشاطه إلى الخرطوم فازداد قلق رؤوف اشا ، الحاكم العام خصوصاً وأنه كان يعرف مدى خطر الحركات التى تستند إلى العامل الدينى على أهالى السودان وأكثرهم قوم بسطاء يعتقدون في الخرافات ، أرسل رؤوف باشا حملة عسكرية صغيرة بقيادة أبى السعود وصحبها عدد من العلماء ليقنعوا المهدى بخطأ آرائه وكان على أبو السعود أن يغريه بالحضور إلى الخرطوم . وبعد ولكن المهدى قابلهم بترحاب ورفض الذهاب الخرطوم . وبعد ذلك بدأ المهدى يرسل منشوراته للمشايخ ويدعوهم فيها إلى الانضهم إليه وطلب من الأهالى أن يتحدوا ويبدؤا « الجهاد » . كان هذا نداء صريحاً للثورة ويظهر بجلاء أن المهدى قد صم على أن يشنها حرباً دينية لتغيير الوضع القائم في السودان .

شعر رؤوف باشا بالخطر وصم على ضرورة إحضار المهدى المخرطوم طوعاً أو كرها ولكنه أخطأ فى تقدير قوة خصمه إذ أنه أرسل أبا السعود على رأس سريتين ( ٢٠٠٠ جندى ) فى أحد السفن للقبض على المهدى . ولم يكن الجنود يتوقعون مقاومة من

أحد الفقهاء. ولكنهم ما أن نزلوا في الجزيرة حتى وجدوا أربعة أو خسة آلاف من الهديين مسلحين بالحراب والسيوف ومستعدين للدفاع عنه . أطلق الجنود النار في الهواء للإرهاب ولكن الثوار مجموا عليهم واضطروهم إلى الالتجاء للسفينة . ساعد هذا الانتصار على قوات الحكومة بدون شك على أن يزداد ولاء أنصار المهدى له واعتقادهم بأنه مبموث المناية الإلهية وأنه سُؤيد منها في انتصاره على « الحكومة » .

شعر المهدى أن الحكومة لن تسكت على هذه الهزيمة ولذلك فإنه قرر فى حكمة وبعد نظر أن ينسحب من جزيرة أبا وأن يذهب إلى جبال النوبا فى جنوب كردفان ، وقد عمل هذا الانستحاب على زيادة نفوذ المهدى لأنه وقع بعد الانتصار واعتبره المهديون على أنه يشبه هجرة الرسول من مكة إلى المدينة وأعطى المهدى لقب « الأنصار » إلى أعوانه الذين استقباوه عند وصوله تشبها بالرسول وهجرته .

ولقد حاول حاكم الأبيض أن يتعقب المهديين عسكرياً ولكن صموبة الإقليم وعداء الأهالى وقلة جنوده اضطرته إلى المودة إلى الأبيض دون أن يهاجهم . أما المهدى ، فبدلاً من أن يقيم فى منطقة تلال تقلى التي كان من السهل نسبياً مهاجته فيها فإنه سار صوب الجنوب بعيداً عن النيل وعن مناطق تركز قوات الحكومة

حتى وسل إلى منطقة جبل قدير وهى من أوعم الناطق فى جبال النوبا<sup>(١)</sup>.

ولقد أظهرت حكومة الخرطوم ترددا وضعفا فى ذلك الوقت فأصدر الحاكم العام أمره بتجميع وحدات عسكرية فى قوة على النيل الأبيض ولكن عدد هؤلاء الجنود لم يبلغ إلا ٤٠٠٠ بقوا هناك دون عمل ثم استدعوا إلى معسكراتهم الأسلية دون أن يقوموا بأى عمل ضد المهدى . ولقد كان من المحتمل فى حالة القيام بالهجوم أن يهزموا المهدى ويفرقوا أنصاره بشكل يقضى على الثورة وهى لا تزال فى بدايتها . ولكن موسم الأمطار كان قد سمح المهدى بأن ينظم قواته دون أن يخشى من أى تهديد من الخرطوم . وبينما كان الحاكم العام يعتقد أن الزمن سيساعد على نشر الفوضى بين صفوفه الثوار ، انتهز الثوار هذه الفرصة لتنظيم صفوفهم وزيادة دعايتهم وتجميع المجاهدين .

وما أن انتهى موسم الأمطار حتى قامت محاولة جديدة للقضاء على الهدى . ذلك أن راشد بك مدير فاشودة خرج على رأسطا بور سريع من ٥٠٠ جندى وتمكن من الوصول إلى جبل قدير ومن الاشتباك مع الثوار . ولكن هن عته كانت ساحقة . ومن أخرى مجد أن أنباء هذا الانتصار الجديد قد انتشرت وكأنها تحمل

<sup>(1)</sup> THEOBALD, A.B.; The Mahdiya. London. 1951.P.36.

المجزة وتدل على تأييد من الله . وجاء كثير من الأهالي بنضمون للزعيم الجديد المنتصر .

# التورة فى عامم ١٨٨٢ :

أجبرت هزعة راشد بك الحكومة على التدخل ولكن هذا التدخل كان شكليا أكثر منه فعلياً . لقد كان من الواضح أن رؤوف باشا كانت تموزه القدرة اللازمة للقضاء على الثورة وأن الحكومة الخديوية من ناحية أخرى لم تكن في وضع يسمح لما بإرسال إمدادات إلى السودان . وعلى أى طال فإن الحكومة قد شعرت بضرورة تنظيم الحكومة العامة للسودان وضمان حسن سير الإدارة في تلك الأقاليم وذلك بتركيز إدارتها وربطها ربطاً وثيقاً بالحكومة المركزية . فأصدرت مرسومين في ٢١ من فبراير سنة ١٨٨٢ لتحقيق هذا التنظيم من الوجهة الرسمية ونص المرسوم الأول على توحيد الإدارة والحكم في الأقاليم السودانية وذلك بإنشاء وحدة إدارية تخضع لها كل هذه المناطق بما في ذلك مديريات شرق السودان ومحافظات سمواحل البحر الأحمر وحكمداريات هرروزيلم وبربرة وتاجورا. وأنشأت وزارة جديدة في القاهرية باسم وزارة السودان وملحقاته للإشراف على تلك الاختصاصات. أما المرسوم الثانى فإنه عين عبد القادر باشا حلمي فى منصب حاكم عام السودان ووزير الأقاليم السـودانية وملحقاتها<sup>(۱)</sup>.

كان الحاكم المحديد ضابطاً كفتاً وإدارياً نشطاً ، وكانت الحكومة تأمل في أن ينجح في السيطرة على الموقف في السودان. ولسكن تغيير الحاكم العام لم يكن فى حقيقة الآمر وسيلة لإبجاد أي حل للمسألة السودانيـة ما دام موقف الحـكومة كما هو ووسائلها هي نفسها دون أي تغيير . وكانث مصر نفسها تجتاز فترة ثورية في تاريخها ، وكان من الصمب عليها نفسياً أن تحاول المحافظة على سيادتها على السودان بالقوة . ولقد كان هناك كثير من الاختلاف بين رؤوف وعبد القادر ولكن الثوار وجدوا نقطاً كثيرة للتشابه بينهما ، إذ أن كلاً منهما كان يحاول المحافظة على النظام والقضاء على الثورة بالوسائل العسكرية ، وكان كل منهما قائداً مخلصاً للخدو وللساطان، ولقد تقلد أولهما رئاسة المحكمة المسكرية العليا التي أدانت عرابي بعد معركة التل الكبير، وتعاون ثانيهما بعد ذلك مع الخديو ومع حكومته فى ظل الاحتلال منذ سنة ١٨٨٣ كوزير للحربية ، ولن ينسى له العرابيون نشاطه في خدمة الخديوي وهمته في قم « الحركة السودانية » .

وعلى أى حال فقد كأن على چيجلر باشا الذى تقلد فى عهد غردون باشا منصب مدير عام تلغرافات السودان أن يقوم عهام

<sup>(1)</sup> Le Moniteur Egyptien, le 23 Fevérier, 1882.

الحاكم العام بالنيابة بعد سفر رؤوف . ولقد أسرع بالإبراق إلى القاهرة ذاكراً أن الحالة في السودان لاتستدعي إرسال الإمدادات . وكان هذا هو عين ما تأمل فيه الحكومة المصرية في ذلك الوقت نظراً لتفاقم الحالة في مصر نفسها وقرب اشتداد الماصفة عليها . وأخذت الاشتباكات بين الثوار والجيش تتركز في ثلاث مناطق رئيسية : الأولى حول سنار على النيل الأزرق ، والثانية قرب النيل الأبيض في اتجاه جبل قدير ، والثالثة في الأبيض عاصمة كردفان .

أما في المنطقة الأولى فإن الثوار هجموا على سنار وكبدوا قوات الحكومة خسائر فادحة واضطروها إلى التحسن في داخل الأبنية الحكومية ثم قاموا بأعمال السلب والنهب والقتل في المدينة لمدة ثلاثة أيام بمايدل على قلة تنظيمهم ، وقد بلغت هذه الأخبار الخرطوم فأسرعت الحكومة بإرسال المدد من القضارف والقلابات وقوه واضطر الثوار إلى الانسحاب عند اقتراب هذه الإمدادات .

وفى منتصف أبريل أرسلت الحكومة ٢٠٠٠ جندى من الخرطوم لكى تعسكر على العبفة اليسرى للنيل الأزرق بينها كان على قوة غير نظامية أن تأتى من القضارف إلى أبو حراز عندالتقاء النيل الأزرق بالرهد وتعمل على الضفة اليميي لذلك النيل بالاشتراك مع بضمة آلاف من رجال قبيلة الشكرية بقيادة شيخها عوض الكريم بك . وكانت الحكومة تهدف إلى القيام بعملية مشتركة

القضاء على الثورة في إقليم سنار وفي أوائل مايو تولى چيجلر قيادة القوات المتجمعة على النيل الأزرق وهاجم الشريف أحمد طه وحمى وطيس المركة ولكن دون الوصول إلى نتيجة حاسمة إلى أن وصل رجال عوض الكريم بك فقرروا هزيمة الثوار . ولم يتحدث چيجلر باشا وهو يبلغ هذه الموقعة للقاهرة عن مساعدة رجال الشكرية بل أفاض في وصف تحيية الجنود المصريين فاعتقدت حكومة القاهرة أن عدد رجال الحاميات السودانية كان كافياً للسيطرة على الموقف خصوصاً وأن چيجلر انتصر انتصاراً آخر قرب نهاية شهر مايو في نفس المنطقة .

وكانت حكومة الخرطوم قد اختارت يوسف باشا الشلالي لقيادة العمليات الموجهة ضد قوة المهدى نفسه في جبل قدير وأهدت لذلك عملة ضمت إليها عدداً من رجال الشايقية الذين جندوا وسلحوا كوحدات غير نظامية . تركت هذه الوحدات الخرطوم في منتصف شهر مارس إلى قوه وكان عددها ٤ آلاف جندى وكان عليها أن تعمل في منطقة الشاوك . ولكن عدداً كبيراً من الجنود غير النظاميين فر وانضم للثوار مما اضطر القائد إلى الانتظار في قوه لدة بضعة أسابيع ثم صدرت إليه الأوامر قرب نهاية شهر مايو بالزحف على جبل قدير فبدأ سيره بعد تأخير، وكان طابوره غير منظم وتتبعه قافلة من الحالين والتجار . كان موسم الأمطار قد بدأ وأصبح السير صعباً . ولقد اتصل الشلالي

بقوات الثوار في يوم ٧ يونيو في منطقة علومة بالأشجار ، فشكل مربعاً في داخل زوية عسنة ، ولكن الثوار نجعوا في كسر التحيين والنشكيل وهزموا قوات الحيكومة هزيمة سلمقة (١٠) وسقطت كل الأسلحة والذخار والتموينات والمهمات في أيديهم وتأكد كثير من الترددين من أن المهدى لا بد منتصر فأسرعوا بالانفهام إليه .

انتشرت الثورة في كل الا تجاهات واذداد الموقف مسوية أملم الحسكومة . وأصبحت كردفان مهددة تهديداً واضحاً . وقد أخذ أهل الأبيض في التسلح وإقامة الاستحكامات للدفاع عن أنفسهم ضد ستة آلاف من الثوار كانوا يمسكرون بجوار عاصمتهم ويهددونهم بشن الهجوم عليهم في أي وقت . ثم أعلنت قبيلة الحسانية التي تميش بين الخرطوم وكردفان الثورة مما قطع مواصلات العاصمة مم الأبيض .

وميل عبد القادر حلى إلى الخرطوم في يوم ١١ مايو فأسر ع الرسالي مه مه جندي لجامرة رجال الحسانية وأخذ يجند رجال المسانية وأخذ يجند رجال المشابقية وأرسل الإمدادات من بربر لسكر دفان وطلب من القاهمة أن تسعفه بإرخال الإصادات والمعانة في أقرب وقت وسحب من الجنوذين جنوب المنوذين وحدود المبشة وجع قوة كبيرة

( Sap - 7 )

<sup>(</sup>i) GORDON ; Journal, siège de Electrain. Paris 1806. p. 200.

من الجنود غير النظامية ونجح بذلك في تكوين جيس جديد من ١٢٠٠٠ مقاتل ، ثم بذأ في نهاية شهر يونيو في إقامة الاستحكامات في جنوب مدينة الخرطوم نفسها وأهلن حالة الطوارئ فيها وأقام خسة طوابي للدفاع عنها وسلحها بالمدافع وقسم المدينة إلى أربعة مناطق عسكرية وأخذت الداوريات ثمر فيها ليلاً ونهاراً كما أنه قرر حماية الجبهة الجنوبية للمدينة بحفر خندق يصل بين النيلين الأبيض والأزرق،

وقعت أشباكات كثيرة بين رجال الحكومة والثوار أهما ثلك الهزيمة التي لحقت بقوات واد الكاشني قرب الدويم في يوم ٢٨ أغسطس ، ولكن الثوار سينجحون في الأبيض ويقطمون بذلك خطوط مواصلات الخرطوم مع دارفور في أقصى الغرب.

# عصار المهديين الأبيض وعلافاتهم مع عرابي :.

كانت الأبيض - عاصمة كردفان - أكبر مدن المنودان وأغناها بعد الخرطوم . كانت من كز بجارة مندهرة في الصمغ المرق وريش النعام والمواشي والحلود . وكان عدد من كبار مجارها مثل الباس باشا عمطف على الثوار ويساعدهم سراً . هاجم الثوار بارة في ٨٨ يُونيو سنّة ١٨٨٢ ولكنهم اصطروا إلى الانسحاب أمام قوات الجيكومة بعد إن تكبدوا جسائر فادحة ، ومنذ هذه

الفترة ، بدأت ضواحي الأبيض نفسها ، تتعرض لهجوم عصابات الثوار .

كان مدف المهدى الأول هو الاستبلاء على كردفان، ولم يكن هناك إلا مدينتان تستطيمان مقاومته في هذه المنطقة كلها ها الأبيض وباره . كانت هانان المدينتان محصنتين وتعسكر في كل منهما حامية قوية - ولكن استيلاء الثوار عليهما كان يعني سيطرتهم على كل غرب السوذان . حقيقة إن مديرية دارفور في أقصى الغرب كانت تستطيع المقاومة نحت قيادة رودلف سلاتين النمسوي النشط، ولكن استيلاء الثوار على الأبيض سيقطع خطوط مواصلات هـذا المدير مع الخرطوم ويضطره إلى تسليم مدىريته في أقرب وقت . كما أن المهدى سنيجد الأسلحة والذخائر ومواد التموين في كل من باره والأبيض . وهكذا يستطيع أن يزحف صوب النيل والخرطوم ممكز القوات الحكومية بعذ أن يضمن معاونه المناطق الغربية له واستنخذام مواردها البشرية في خربة صد العاصمة.

بدأ الهدى زحفه من جبل قدير صوب الأبيض في مهاية شهر أغسطس، وزادت قواته على طول الطريق حتى ومسل إلى ضواحبها في أوائل شهر سبتمبر حيث أقام معسكره. كان محد بأشا سعيد عام غرب السودان قد فشل في مهاجة الثوار في جبل قدير، مماخذ بحصن مدينة الأبيض نفسها فحفر خنداً حوالما

وسلحِه بالمهافع وأقام عليه سنة آلان جِهندي مسلِحِين بالبنادق الرمنجتون. ثم أقام خطاً دفاعياً ثانياً إلى الداخل من الخط الأول وحول الأبنية الحكومية والقشلاقات.

ولقد طلب المهدي من المدينة أن تسييسلم ولبكن الحاكم رفض ، ففرِ عدد مِن الأهالي والجنود وانضم إلى الثوار . وبدأ عجوم الثوار على المدينة في يوم ٨ سبتمبر واسمات الثوار في عجومهم ووقمت المركة بين خطى الدفاع وأخذ الجنود يطلقون النار على الثوار من فوق أسطح المنازل والاستحكامات، فاضطر الثوار إلى التقهقر والانسجاب، خسوساً وأن غالبيتهم كانب مسلجة بالجراب وبنادق تعباً من فوهتها . كانت خسارة الثوار فادحة تَهْوِقَ كَثَيراً خَسِارة قوات الحكومة . وفشــل كذلك هجوم الثوار في يوم ١١ و ١٤ من ذلك الشهر مميا جمل المهدي يفكر في النتائج التي قد تترتب على فشله التام أو الثمن الذي قد يدفعه لما إن كتيب له أخيراً أن يستولى على الأبيض بهميذه الطريقة . كان الهدى قد تخلى عن تكتيكه القديم الذي يعتمد على نيهب البكائن ؛ وشعر الآن بقوة الأسلحة النارية وراء الاستحكامات . فأم بيبحب قوانه ولم يقم بإلهجوم مرة أخرى ، وصمم على عدم مهاجمة أي مدينة عصنة بدافع عنها قوات مسلحة إلا بهد أن عهد لذلك بحصار طويل الأجل، يؤثر على يطون الجنود وروحهم المهنوية وقرر تطبيق هذه الخطة في استيلام على الأبيض. ويينًا كانت سفيئة الأبيض محاصرة قررت الخرطوم العمل على رفع الحصار عن بارة ، ولكن القوة التي أرسلهما سادفت مقاق كثيرة ، خصوصاً وأن الثوار كانوا قد ردموا الآبار الموجودة على ظريق سيرها ، وكانت عصابات الثوار توالى مناوشة تلك الحملة الصغيرة على ظول الطريق ، ثم قام الثوار بشن الهنجوم عليها وقتلوا قائدها وكثيراً من الجند وغالبية الضباط ، وغنموا منها وعدت قوات الثوار إلى حصار بارة .

ازداد الموقف سوءاً وأخفت القبائل تعلن انضامها للثوار ، وأخذ عدد مرخ الجنود غير النظاميين يقر وينضم إليهم واضطرت الحكومة العامة أمام حركة عدم الولاء التي بدأت تنتشر بين الجنود النظاميين إلى أن تستعين بالقبائل العربية التي كانت لا تزال موالية ، وحثهم على عاربة المهدى ، ووعدتهم عكمافأتهم وبإعفائهم من الضرائب لمدة سنة (۱) . ورغم هذه الإجراءات فإن القبائل قد استمرت تعلن انضامها للثوار الواحدة بعد الأخرى .

ولقد وصلت إلى السودان فى خالال شهر اكتوبر أنباء حوادث مصر وثوزة عمانى وضرب الأسطول البريطاني لمدينة

<sup>(</sup>i) ÖÖRDÖN; jourhal, siège de Khaffoutin. Paris. 1886. P. 401.

الاسكندرية والاحتلال البريطانى للبلاد ، وإنا لنأسف أشد الأسف على أن تكون الصادر المصرية لتاريخ تلك الفترة غير كافية أو غنية . ولذلك فإنه مر الصعب علينا أن نحكم على الملاقات بين عرابى والمهدى بشكل قاطع ، إذ أن مصادر التاريخ التى نستعين بها هى مصادر أوروبية ، و تختلف على هذا الأمم فيا بيثها . ولكن يبقى لنا أن نحكم بحدوث الثورتين فى وقت واحد ، وعمل كل منهما على تغيير « الوضع القائم » فى كل من مصر والسودان .

رفض كثير من المؤرخين الأوروبيين الاعتراف بأن هاتين الثورتين « لم تكونا إلا مظهرين مختلفين لحركة جامعة إسلامية واحدة » . وقام البعض بأنهام ثورة عمالي بأنها كانت موجهة ضد المسيحيين وثورة السودان بأنها كانت تسمى إلى إخراج الأتراك وإعطاء الإسلام صورته الأولى النقية رغم مضى قرون عديدة وأنها كانت « ممحلة من العصور الوسطى فى قلب القرن التاسع عشر » (۱) . والحقيقة هى أن العامل الديني قد لعب دوراً خطيراً في كل من الثورتين ولكن فى عيط وإطار إدارى واقتصادى ونفسى وعسكرى مختلف .

<sup>(1)</sup> BRÉHIER, Louis, L'Egypte de 1878 à 1900. Paris, 1903. p. 224

وعلى أى حال فإن عرابي قد حاول بعد ضرب الأسطول البريطاني لمدينة الإسكندرية في شهر يوليو سنة ١٨٨٢ أن يكسب تأييد المالم الإسلامي ومساعدته لمصر في محتمها . فكتب إلى الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان يقيم في دمشق وإلى بدو برقة وكان العرابيون « يفكرون أيضاً في التحالف مع المهدى الذي كان يعمل فى ذلك الوقت على إناره أهالى دارفور وكردفان(١) » . كانت هذه السياسة تسمى إلى إقامة جهة موحدة ضد التدخل العسكرى البريطاني في مصر ذلك التدخل الذي لم برحب به أحد سوى الأسرة الخديوية التي رأت فيه الوسيلة الوحيدة للمحافظة على كيانها. كانت المحافظة على الوضع القائم فى مصر بواسطة الأتراك أو الإنجلز تتمارض تعارضاً تاماً مع أماني المصريين القومية. ولقد كاد عرب رقة أن يجيبوا على نداء عرابي ولكن انجلترا أجبرت السلطان على أن يرسل بتعليات محددة إلى والى طرابلس ومتصرف بنغازى . وفي فلسطين طلب الإنجليز كذلك من الحاكم التركى أن يتصرف بكل صرامة فألق القبض على كثير من شيوخ العرب. وعلى المموم فإن المدوان الإنجليزي على مصر قد ساعد على زيادة اشتعال الثورة السودانية وانتشارها.

<sup>(</sup>J) BIOVÈS, Achilles; Français et Anglais en Egypte 1881—1882. Paris, 1910. p. 247.

كان هناك تشابه إلى حدما بين الحركتين في أسبامهما وأهدافهما وقائديهما . كانت كل منهما تطالب بإصلاحات إدارية واجباعية وكانت كل منهما ضد الوضع القائم والتدخل التركى أو الأجنى، وكانت كل منهما عبارة عن حركة تحرر إسلامية . وتجد أن بعض عناصر المهديين قد أعلنوا تأييدهم لعرابي مثل عنان دقنه الذي «كان يحقد بشدة على الإدارة التركية والإنجليزية، وعزم على أن يقوم بحركة في سواكن »(١) ولكن مجهوداته قد فشلت إذا أنه لم يكن في استطاعة أهالي ذلك الميناء البحري غير المحصن أن يقوموا بحركة فعالة خصوصاً وقد كان في استطاعة قطع البحرية البريطانية أن تصل في أي وقت ولم يكن ضربها للإسكندرية بالقنابل قد نسى . وعلى أى حال فإن عبان دقنه لم يتأخر عن الانضام المهدية في بداية عام ١٨٨٣ ، وأصبح قائد قواتها الثورية في شرق السودان وكان عليه أن يقطع كل اتصال بين سواكن على البحر الأحروبين الخرطوم.

لَمْ يَخْفُنَ عُرَانِي وَهُو فَي مَنْفَاهُ تَأْيِدَهُ وَمِيلَهُ إِلَى الْهُدَى وَأَعْلَىٰ أَنْهُ كَانَ يَنُوى تَفْيِينَهُ حَاكُماً عَلَى السودان (٢) . ومن فاحية أخرى بجد أن المهدى كان مهدف إلى توحيد وادي النيل تحت زعامته كقدمة توحيد العالم الإملامي في ظل المهدية ، وكان هذا زعامته كقدمة توحيد العالم الإملامي في ظل المهدية ، وكان هذا

<sup>(1)</sup> JACKSON, H.C.; Osman Digna. London, 1926. p.23. (2) CREWE, The Marquess of; Lord Rosebery. London, 1931. Vol. I. p. 191.

يمنى أنه كان يعتبر مصر والمعودان أمة واحدة أو دولة بمحكن توحيد عناصرها .

كان رجوع الخديو إلى القاهرة في حراسة الجنود البريطانين. يدل على المحافظة على الوضع القائم وتدعيم سلطة الخديوي في القاهرة تحت السيادة التركية ، وكان ممنى هذا القضاء على الثورة العرابية في مصر وتهديد ثورة المهدى في السودان . وإذا كان رجال الحكومة الخديوية قد رأوا منذ أول انتصار للمهدى أنهم مهددون في ممتلكاتهم السودانية فإن السلطان العماني من ناحية أخرى قد «شمر بأنه قد أهين في شخصه كليفة » (١) للمسلمين ، وذلك نسجة لتصريحات الإمام محد أحمد ، علاوة على أن ثورة السودان كانت تهدف – عجاولها تغيير الوضع القائم – رفع كل سيادة لتركيا على السودان . وكما أعلن السلطان أن عرابي كان ثائراً وخارجاً على النظام فإنه لم يتوان عن أن ينعت محمد أحمد بأنه نبي منيف وأنه متمهدي وأنه شق دنقله . وكما نشر الإنجلز في وقت احتلالهم مصر إعلان السلطان بأن عماني ثائر ، نجد أن السلطات الحديوية تنشر في السودان إعلانات عائلة تقول إن محمد أحمد ثائر مته, د ضد سلطة الخليفة.

<sup>(1)</sup> DUJARRIC, Claston; L'Etat Mahdiste du Soudan. Paris, 1901. p. 46.

تلك هي الحالة العامة في السودان في الوقت الذي احتلت فيه القوات البريطانية مضر وسنرى ، أن هذا الاحتلال لم يكن مما يسمل التفاهم بين شطرى الوادى أو يساعد على نطور الأمور تطوراً طبيعياً – إذ أن إدخال هذا العامل الأجنبي سيقلب الأمور رأساً على عقب ولن يستفيد من الوضع الجديد إلا إنجلترا، وسيكون ذلك على حساب كل من مصر والسودان.

# الفصت الثانى الثانى الثورة العرابية

### ارسال الامدادات للسوداد في آخر سنة ١٨٨٢ :

قبل أن يترك الخدي الإسكندرية عائداً إلى القاهرة في حراسة القوات البريطانية ، أصدر مرسوماً في غاية الخطورة وفي غاية الاقتضاب ، إذ أنه لم يشتمل إلا على مادة واحدة من ثلاث كلات : « يُكل الجيش المصرى »(١) . أرادت انجلترا أن تتخلص من الجيش المصرى الذي كان يقود الثورة أو حركة «المصيان » على حد تعبير الخديو وأنصار الرجعية ، ولكن هذا القرار كان شديد الخطورة بالنسبة للثورة المهدية التي ازداد انتشارها في كل يوم عما يحمل انجلترا مسؤولية كل الحوادث التي ستقم في السودان .

نعرف جيداً أن قسما كبيراً من القوات المصرية في السودان كان قد سحب من هناك أيام الثورة العرابية لكي يدافع عن

<sup>(</sup>۱) دکریتر فی ۱۹ من سبتمبر سنة ۱۸۸۷ . انظر : En Moniteur Egyppt!en, le 20 sept. 1882.

مصر تفسها ، وأن قوة حاميات السودان ظلت منذ ذلك الوقت ضعيفة نسبياً . ولقد طلب عبد القادر حلمي مدداً للتمكن من إعادة النظام في كل أنحاء السودان .

ولكن وجود الإنجلنز في القاهرة لم يكن مما يسهل مهمة عبــد القادر حلمي في السودان ، أو مما يزيد هيبة الحكومة الخديوية في أعين المهديين ، أو أى فرد في تلك الأقاليم . وأخطر من ذلك أن السلطات البريطانية عملت، بعد تسريح الجيش المصرى، على القضاء على المهمات الحربية المصرية مما جعل شريف باشأ رئيس مجلس الوزراء يحتج : « إن السلطات العسكرية البريطانية تتلف بارودنا ومهماتنا الحربية وقد كان من الممكن تبرير هذه الأعمال إذا كان الجيش المصرى لا بزال تحت السلاح، وليكن يبدو لى عدم إمكانية تبريرها في الوقت الحاضر (١)». ولقد اضطرت الحيكومة البريطانيـة نتيجة لخطورة الحال في السودان إلى أن تجيب بأنها لا تعارض في إنشاء جيش مصرى في المستقبل ولكنها ادعت بأنه ليس هناك ما يدعو للتسرع في تنفيذ هذا المشروع ، وأدعت أن التخلص من الأسلحة ومن كل ما في مخازن الحربية برجع إلى أنها تزيد كثيراً عن حاجات الجيش الجديد. وأصر جرانفيل على

<sup>(</sup>۱) جرانقیل إلى مالیت فی ۲۸ ، ۲۸ من اکتوبر سنة ۱۸۸۹ F.O. 141/153.

ضرورة وقوع بيعها خارج مصر أو اشتراط تصدير جميع الأسلحة والذخائر المباعة من مصر إذ كان يرى أنها «مصدر خطر للبلاد! ».

ولكن الخديوكان برغب في أن يجند القوات التي طلبها عبد القادر حلمي بسرعة وأن يرسل إحدى الكتائب لتعزيز الدقاع عن الصعيد . وكان يأمل في أن يعيد سلطته على السودان بعد أن ساعده الإنجلز في إعادتها على مصر . أما السلطات البريطانية فإنها كانت تخشى عملية التجنيد بين جنود عرابى المسرحين حتى ولو كان ذلك بقصد إرسالهم إلى السودان. ولقد حاول عمر باشا لطني وزير الحربية الجديد تبديد مخاوف الإمجليز فاقترح إرسال الأسلحة وحدها : جزء عن طريق سواكن والباقي بطريق النيل وأكد أنه ليس هناك أي مجال للخوف من ذلك الجيش على مصر وأن لديه عدداً كافياً من الضباط الوالين لقيادة هذه القوة (١) . وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الخديوية قد طلبت من الحكومة البريطانية الساح للضباط الإنجليز عصاحبة تلك القرات والتكرم باختيار أحد الضباط العظام ليكون رئيساً لأركان حربها . ولكن الحكومة البريطانية أجابت بأنها لا ترغب في محمل أقل مسؤولية فيما يخص الحلة القبلة أو العمليات

<sup>(</sup>۱) ماليت إلى جرانيهل في ۲۱ من اكتوبر سبة ۱۸۸۲ (۱) ماليت إلى جرانيهل في ۲۱ من اكتوبر سبة ۴.0. 141/ 156. No 740.

الحربية فى تلك المناطق (١) . وهكذا عملت الحكومة البريطانية على إبعاد كل مسؤولية عنها بشأن السودان فى الوقت الذى وضعت فيه الإدارة العامة للعمليات فى أبدى ضباطها الإنجليز وكأنها كانت تعرف ما ستجىء به الأيام .

بدأت الحكومة المصرية تجند حوالي عشرة آلاف مقاتل من الجنود والضباط الذين خدموا تحت إمرة عرابى بقصد إرسالهم السودان . واختارت عدداً من الضباط الإنجليز كأركان حرب لهذا الجيش. كان معظم الرجال لا يرغب في السفر إلى السودان خصوصاً وأنهم كانوا يتوقمون أن ترسلهم الحكومة إلى تلك الأقاليم كسجناء للتخلص منهم، كما أنهم - كرجال ثورة وطنية - كانوا لا يؤمنرن بضرورة فرض سلطة الخديوي على ثوار السودان . فكثرت حوادث الهرب من المسكر بشكل اضطر الحكومة إلى تقييدهم بالسلاسل حتى يوم ترحيلهم إلى سواكن عن طريق السويس . وما جاء منتصف شهر فبرابر حتى كان كل الرجال والمعدات المرسلين للسودان قد وصاوا مع أسلحتهم ومهماتهم . واعتقد الخدى ورجال حاشيته الرجعيون أرن هؤلاء الجنود سيحارون أوار السودان بعد أن قضى على أمانهم القومية في مصر وسلمت بالادم للإنجلز .

<sup>(</sup>۱) جرائفیل إلی مالیت فی ۷ من. نوفمبر شسته ۱۸۸۴ F.O 141/153, No 404.

### آخر عملیات عبد القادر ملحی :

استمرت سلطات الخرطوم طوال شهر يناير سنة ١٨٨٣ تعمل على إعداد الحملة لكردفان وتجميع الجمال اللازمة لها. وقد شهدت في خلال تلك الفترة حادثاً أثر في نفسية القائمين على إعداد الحلة. ذلك أن الخدو كان من الضعف بحيث انقاد لوشاية لرجال الحاشية الذين أفهموه أن عبد القادر يسمى إلى الاستقلال بالسودان(١) . فأرسل أمراً برقياً في يوم ٢٣ ينابر بوقف جميع العمليات الحربية وبتجميع كل القوات في الخرطوم وانتظار وصول ضباط أركان. الحرب الإنجليز الرسلين من القاهرة . ولقد أجاب عبد القادر من عبود أنه يرفض تنفيذ هذا الأمم لأن وقف العمليات سيساعد م على انتشار الثورة ويؤكد ضياع كردفان ودارفور . ولقد شهد ستيوارت هذه الحادثة وأبرق من الخرطوم أنه يتفق تماماً مع عبد القادر في كل ما ذكره إذ أن الحالة عصيبة جداً ويجب على الحديوي ألا يتدخل فيها .

تفاقت الحالة وأخذ الثوار يجمعون قوة تبلغ ١٢٥٠٠٠ مقائل ويقصدون بها مهاجة عبد القادر حلى في عبود مما اضطر عبد القادر إلى التخلص عن فكرة ذها به إلى سنار وفضل مبادة هذه القود إلى التخلص عن فكرة ذها به إلى سنار وفضل مبادة هذه القود بالمجوم . ولقد مجح عبد القادر في هزيمة الثوار في بهاية شهر يناير بالقرب من قرية معتوق وقتل منهم ٦٠٠٠ وأرسل وراءهم

<sup>(1)</sup> SABRY, M., Le Sondan Egyptin, 1821-1898. P. 74.

الفرسان والهجانة لتعقبهم . ثم وصل عبد القادر إلى قوه حيث حضرت إليه الكتيبتان اللتان قامتا بقتال الحسانية وأرسل ثلاث كتائب لكي تنتظره بالقرب من سنار وأرسل الاثنتين الأخربين إلى أبو جمه لقاتلة الثولر ثم ركب الباخرة عائداً للخرطوم .

كانت الإمدادات تبهل من مصر ويزداد عددها في أم درمان وأشرف عبد القادر بنفسه على تدريبها بعض الوقت ثم وصلته أنباء سقوط باره في أيدي الثوار منذه يناير وكانت الحسارة فادحة للجكومة الحديوية إذ أن ألفين من الجنود كانوا قد وقعوا في أيدي الثوار مع كمية كبيرة من الأسلحة والزخائر.

ترك عبد القادر حلى الخرطوم إلى وادى مدنى ف ١٣ فبراير لكى يتولى قيادة الجنود الذين سيماون على دفع الحسار عن سنار ولكن ود المكاشني أسرع برفع الحسار عن هذه المدينة رجاء المقابلة قوات الحكومة الزاحفة وهاجها على رأس ومره مقاتل ولكن قوات الحكومة أعادوا الكرة ضد قوات المكاشني ونجحوا في تشتيت شملها حتى أن القرى المحيطة بسنار أعلنت ولاءها للحكومة وعادت المواصلات البرية والنهرية بين سنار والخرطوم و ودخل عبد القادر حلى سنار في يوم ٢٦ فبراير (١) وبيناكان بدير مواصلة عميانه أقبل من منصبه و

<sup>(</sup>۱) برقية عبد القادر باشا ف ۲۱ من فبرابر سنة ۱۸۸۳ انظر : Le Monitour Egypticu, le 5 Mars 1983.

### حفوط الأبيض :

وصلت أنباء سقوط الأبيض إلى الخرطوم فى يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٨٣ أى بعد سفر عبد القادر حلى منها بخوسة أيام . كانت الأبيض عاصمة كردفان وقد سقطت فى أيدى الثوار فى يوم ١٧ يناير وجعلت من الهدى سيداً على كردفان ومتحكاً فى مصير دارفور . كان الثوار قد بدؤا بهاجون تلك المدينة منذ شهر يوليو سنة ١٨٨٧ . وبعد فشل قوات المهدى فى الاستيلاء عليها فى شهر سبتمبر كان على بك شريف يرغب فى الخروج وتعقب الثوار ولكن الحاكم العام رفض وأفلتت الفرصة من أيدى رجال الحكومة . ازدادت حالة الجنود سوءاً لشعورهم بأنهم محاصرون وأخذت مواد التمون فى النقصان .

احتل الثوار المنازل الهدمة حول المدينة وأخذوا يترقبون فعل الجوع فى رجال الحامية خصوصاً بعد أن اضطر الجنود إلى أكل الصمغ — وأرسل الهدى فى يوم ١٤ يناير سنة ١٨٨٣ خطابات إلى الحامية يؤمن فيها كلا من على شريف ومحمد سعيد على حياتهما ولكن المدير أمم بحبس رسول المهدى (١) . كان عدد من رجال الحامية قد فر وانضم للثوار وفى يوم ١٧ يناير تحرك عدد من رجال الحامية قد فر وانضم للثوار وفى يوم ١٧ يناير تحرك

<sup>(</sup>۱) تقریر متیوات فی ۲۰ من فبر ایر /۸۲ ملحق بتقریر مالیت الی جرانفیل فی ۱۲ من مارس سنة ۱۸۸۲ . ۱۸۸۸ هم ده و ۲۰۰ من مارس سنة ۱۸۸۲ . ۱۸۸۸ هم دورة )

الثوار صوب المدينة فأمم الباشا بفتح النيران ولسكن أواممه لم تنفذ . أما رجال المدفعية فإنهم أطلقوا بضع طلقات في أنجاه خاطئ وأما المشاه فإنهم قد انضموا بأكلهم للعدو .

ما أن رأى محمد سعيد نفسه في هذا الموقف حتى قبل التسليم، فدخل الهدى إلى المدينة وانجه رأساً إلى المسجد لتقديم الشكر أله . اتخذ الهدى قصر الحكومة مقراً له وعين أحد أممائه حاكماً على كردفان . ولقد عامل محمد سعيد وعلى شريف معاملة حسنة في أول الأمر ولكنه اضطر إلى سجنهم بعد أن رفضوا تقديم حسابات مالية المدرية .

والحق أن السيطرة على تلك الديرية الننية كان من أهم العوامل التي ساعدت على بناء الهدية وعلى استمرار تطورها . وبالرغم من أن عدداً كبيراً من أعوان الهدى قد اشتهر بالقسوة فإن محد أحمد لا يبدو رجلا محباً لسفك الدماء . « فكان يعامل أسراه عوماً بالإنسانية ، وقد عمل كثير منهم على خدمته واعتناق مذهبه والتطوع في صفوف جيشه بدلاً من محاولتهم الفرار من مصكره . وكان كل أنصاره يدينون له بالولاء والإخلاص رفم مسكره . وكان كل أنصاره يدينون له بالولاء والإخلاص رفم تباين أجنامهم وأهميتهم (۱) » .

وعلى أى حال فإن المهدى قد أخذ ينظم حكومة بعد استيلانه

<sup>(1)</sup> DUJARRIC, Gaston ; l'État Mahdiste du soudan, Paris, 1901. P.40.

على الأبيض فأنشأ الخزانة أو بيت المال وجيشاً اشتمل على جميع أنواع الأسلحة وبعض البنادق ونظم قوة من البوليس وهيئة أركان حرب ضمت بعض الأوروبيين وإدارة عمل فيها بعض الصريين . وهكذا نرى أن الهدى قد قطع شوطاً بعيداً في فترة السبعة عشر شهراً الواقعة بين إعلان الثورة المسلحة في أغسطس سنة ١٨٨١ والاستيلاء على الأبيض في شهر يناير سنة ١٨٨٨ فبعد أن كان فقيها ورجل دين فقط أصبح رئيساً لثورة وطنية ورأساً لدولة . وسيجمع في يديه منذ ذلك الوقت مسئوليات الزعيم والحاكم والقائد الأعلى . وقد مكنه استيلاؤه على الأبيض من أكيد سيطرته على دارفور بعد أن قطع خطوط مواصلات عاصمها الفاشر مع الخرطوم وبذلك يصبح صاحب السكامة في غرب السودان كله .

### بعثة السكولونيل ستيوارت في السوداد :

كانت السلطات البريطانية في القاهرة - منذ احتلت قواتها مصر - تعرف أن الموقف في السودان كان متناهيا في الفوضى وأن نجاح الثورة يزداد في كل يوم وانتصاراتها تتوالى على قوات الحكومة بشكل قد يهدد مصر مفسها ويهدد بقاء الانجليز فيها فإن مصر لم يكن لديها في حقيقة الأمر أية قوة تحكنها من مقاومة عجوم الثوار المهديين عليها . وقذلك فإن السلطات البريطانية قد

إقترحت إرسال بعض الضباط البريطانيين إلى السودان لكي رساوا الماومات اللازمة عن حالة البلاد وعن الوسائل التي تضمن تهدئتها خصوصاً وأنه كان من الصعب على الإنجليز أن يحصاوا على استعلامات تتعلق عصالحهم في وادى النيل مالم تأت هذه المعاومات من وكلاء إنجلنز(١) . ولقد وافقت الحكومة البريطانية على أن تمهد مهذه المهمة إلى الكولونيل ستيوارت مصحوباً بضابطين آخرين ولكنها وجهت نظر سلطاتها في مصر ونظر السلطات الخدوبة إلى أن هؤلاء الضباط لن يتحملوا أنة مسؤولية عسكرية في السودان وأكد جراشيل هذا الموقف في تعلياته إلى دفرين بأن الحكومة الديطانية ليست مستمدة لإرسال حملة إلى السودان ولكنها ترغب في الحصول على تقارير وافية عن ﴿ الحالة العامة في السودان ومدى الخطر النامج عن هذه الثورة على مصر نفسها » والوسائل اللازمة للقضاء على هذا الخطر فى نظر السلطات البريطانية في مصر

وصل ستيوارت إلى الخرطوم فى منتصف ديسمبر سنة ١٨٨٢ وبدأ يرسل تقارير إلى حكومته عن الحالة فى السودان بين ديسمبر المما ومارس ١٨٨٣ فكتب إليها عن كل الحوادث التى وقعت قى هذه الفترة ثم أرسل تقارير ومذ كرات خاصة بالخرطوم وأهلها

<sup>(</sup>۱) مذكرة ويلسون في ۲۹ من سبتمبر ، مالت إلى جرانفيل في ۲ من اكتوبر سنة ۴.O. 141/156. No 659. ۱۸۸۲

وموقعها ونشاطها التجارى وحالة العال والتعليم فيها ولقد حاول ستيوارت أن يحلل في هذا التقرير الآخير أسباب لا حركة المصيان المهدية » ، فذهب إلى أن تعصب القبائل الديني كان أحد أسبامها المتعددة ، وأضاف إلى ذلك حقد الأهاني على الحكومة ، وشن حملة شعواء على الموظفين المصريين وقسوتهم في جمع الضرائب، وأضاف إلها كذلك إلغاء بجارة الرقيق فشرح أن هذه التجارة كانت مصدر ثروة لمظم أنصار الهدى وخصوصا قبائل البقارة التي أثارتها وسائل الحكومة في القضاء على تلك التجارة – ولكنه لم بذكر أن الرجل الذي طبق هذه السياسة في عنف وقسوة كان هو غردون الإنجلزي . وأشار إلى أن حركة العصيان هذه قد ظهرت بمجرد مخفيض مصر لعدد رجال حامياتها في السودان . ولكن ستيوارت كان يمتقد بأن هذه القوات كانت كافية للقضاء على الثورة - حتى بعد تخفيضها - وذلك إذا ما وضعت بحت قبادة حازمة .

و يمكننا أن نعتبر أن تقرير ستيورات « عن السودان » (۱) أهم تقرير كتبه ذلك الضابط أثناء بعثته فى تلك الأقاليم . ولقد أرسله فى ٩ فبراير سنة ١٨٨٣ إلى اللورد جرانقيل عن طريق السير إدوارد ماليت فى القاهرة مصحوباً بخريطة دقيقة مفصلة تظهر عليها البلاد والقرى والطرق والقبائل فى السودان . ويلخص

<sup>(1)</sup> Report on the soudan; State Papers, Vol LXXXIV, Egypt. No II (1883.). (c. 3670.).

هذا التقرير تاريخ السودان وكل منطقة من مناطقه ويختبر دقائق الحدود وجزئياتها ويتحدث عن القبائل والأجناس والديانات في السودان ويرسم الطرق والخطوط التلغرافية ويشرح نظام الإدارة والقضاء والضرائب والسكك الحديدية وحالة الصناعة والتجارة وخصوصاً تجارة الرقيق . وقد ضمنه ستيوارت علاحظات عامة وباقتراحات عن الإصلاح وخصوصاً للجيش وباقتراحات أخرى تخص إخلاء بعض المناطق والمديريات . ويلحق ستيوارت بتقريره ملاحق خاصة بالقبائل وحركة الصادرات والواردات في أهم المواني السودانية مثل سواكن وبرية . . . الخ ، وتقديرات عن إيرادات المديريات السودانية . ويعتبر الجزء الأخير من هذا التقرير مع المديريات السودانية . ويعتبر الجزء الأخير من هذا التقرير مع ما يتلوه من ملاحظات واقتراحات أهم جزء فيه لأنه يحتوى على اقتراحات الإصلاح السياسي والاقتصادي مما كان يهم مصر ويهم السياسة الإنجليزية في تلك المنطقة .

اعترف ستبوارت بأن السودان كان منذ سنوات عديدة عبئاً مالياً ثقيلاً على كاهل الحكومة المصرية وكان الميزان في طريقه إلى التعادل وقاربت الإيرادات أن تغطى كل مصروفات البلاد حيباً قامت الثورة المهدية وقلبت الأوضاع رأساً على عقب . ولكنا إذا تركنا هذه المسألة المالية جانباً فإننا نجد أن ستبوارت يذهب إلى أن المصريين لم يكونوا قادرين بأى حال من الأحوال على تحمل عب حكومة قطر كبير مثل السودان والسير به في طريق الرفاهية . وانباك فإن ستبورات قد أوصى مصر — لصالحها ولصالح الشعوب

التي ترغب في حكمها [كذا] - بأن تتخلى عن جزء كبير من ممتلكاتها الإفريقية إلى مشايخها المحليين وزعماتها القدماء.

ولقد تساءل ستيوارت عما إذا كان انتصار المهدى هو أحسن حل لكل من الطرفين لأنه سنيحمل المصريين على أن يحدوا الأراضى التي يحكمونها ويقصرونها على شرق النيل الأبيض فقط. وبالاختصار فإن ستيوارت قد اقترح أن تتخلى مصر عن مديريات كردفان ودارفور وفاشوده وكان يستمد فى ذلك على عوامل تجارية واقتصادية . فذكر أن كردفان كانت هى المديرية الوحيدة فى السودان التي يزيد إيرادها على مصروفاتها ثم اعترف بأنها خضمت للحكم المصرى لفترة سنوات طويلة وأن المصريين سيمارضون فى إخلائها أشد المارضة ولكنه ذكر أن دارفور وفاشوده لم يدخلا تحت الحكم المصرى إلا فى عهد إسماعيل « الذي كان يأمل أن يجد فهما ما بدفعه لدائنيه » .

كان أحد الأوروبين على رأس الإدارة فى دارفور فى ذلك الوقت وهو سلاتين باشا فنسب إليه ستيوارت حسن الحالة وانتشار الهدوء فى تلك المديرية . وافترح ستيوارت أن تقوم إنجلترا بنصح مصر بمنح تلك المنطقة استقلالاً ذاتياً تحت رئاسة أحد أفراد الأسرة المالكة السابقة التي كانت تقيم فى القاهرة . أما مديرية فاشوده وجنوب كردفان فإن ستيوارت قد رأى أنها مناطق فقيرة فنصح بتركها للقبائل والشيوخ المحليين . ولكنه

نصح بترك إحدى الحاميات في السوباط على الضفة اليمني للنيل لمراقبة وقم تجارة الرقيق في النيل الأبيض .

أما فيا يخص مديريتى خط الاستواء وبحر الغزال فإن ستيوارت لم يهتم بالتضحيات المالية التى قامت بها الإدارة المصرية هناك ولذلك فإنه نصح بسحبها وبترك وكالات تجارية فقط فى كل منها تحت رئاسة أحد الأوروبيين ويماونه فى ذلك عدد من المجندين السودانيين لتسهيل التجارة ومحاربة تجارة الرقيق . ولم يكن من شأن اقتراح ستيوارت هذا إلا تحويل الثروات التى كان النجار المرب يجنونها إلى جيوب الأوروبيين معتمدين على فرق من المجندين السودانيين .

وأما فيا يخص التنظيات والإصلاحات العسكرية في السودان فإن ستيوارت قد أوصى بتحصين جميع المواقع الاستراتيجية الهامة وبعدم ترك وحدات عسكرية صغيرة منعزلة ، ولقد اقترح ستيوارت إنشاء وحدات غير نظامية من الفرسان في السودان وأوصى بدفع مبالغ من المال القبائل أو إعفائها من الضرائب حتى تقدم هذه الوحدات اللازمة . كما أنه نصح بعدم وضع ضباط رسميين على رأس تلك الوحدات ولا تحريها أو إلباسها الكسوة العسكرية بل تترك بحت رئاسة شيوخها الحليين ، ولقد أصر ستيوارت على ضرورة إنشاء هذه الوحدات ولكنه تساءل في نفس الوقت عما إذا كانت الحكومة الحدوية ستقبل إنشاء أو تسليح مثل هذه

القوات التي قد تنقلب ضدها في يوم من الأيام .

وكان آخر تقرير أرسله ستيوارت من الخرطوم يتعلق بوصول الجنرال هيكس إليها في يوم ٤ مارس – وبعد أربعة أيام سافو وطوف بشرق السودان قبل أن يصل إلى مصوع – وفي السويس كتب تقريراً آخر يتعلق بشرق السودان وسواحل البحر الأحمر والحدود مغ الحبشة .

### لا فصائح ٤ وزارة الخارجة البريطانية لمصر:

أشفت تقاربر ستيوارت غليل وزارة الخارجية البريطانية التي كانت تطالب عملومات دقيقة عن السودان في ذلك الوقت العصيب وكان اللورد دفرين قد عالج موضوع السودان في تقرير سابق ولكن بشكل عام ومختصر ، اعترف أنه من الصعب على مصر أن تقبل سياسة إخلاء السودان ولذلك فإنه طالب نصحها بالتخلي عن دارفور وقسم من كردفان مع المحافظة على مديريات الخرطوم وسنار ، وأصر من ناحية أخرى على أهمية « سرعة بناء خط السكة الحديدية من سواكن إلى بربر حالما تسمح الظروف بذلك » (١) . وهو ذلك الخط الذي كان يهدف إلى تحويل تجارة السودان عن مصر إلى سواحل البحر الأحر وتركيزها في قاعدة السودان عن مصر إلى سواحل البحر الأحر وتركيزها في قاعدة

<sup>(1)</sup> COLYIN, sir Aukland; The making of madern Egypt. London, 1906. P. 36.

بحرية تحت سيطرة مدفعية الأسطول البريطاني .

ولقد أثرت آراء ستيوارت ومقترحاته على اللورد دفرين خصوصاً ما يتملق منها بتحديد الأراضي التي عكن لمصر الاحتفاظ بها تحت سلطتها تمشياً مع إمكانياتها المالية . وقبل دفرين فكرة إخلاء دارفور التي كانت حتى ذلك الوقت تحت إدارة سلاتين، ولكنه اعترف بأن العقبة الرئيسية هي إقناع الحكومة المصرية بالتخلي عن نفوذها في تلك المناطق. ولما كانت إمكانيات السودان الزراعية والتجارية كبيرة لا جدال فها فإن دفرين قد أصر على ضرورة إقامة إدارة حازمة ذاكراً أنه لا عكن إقامتها إلا إذا عهد مها إلى شخص مثل غردون . وفي ذلك الوقت كان دفرين يفكر في إرسال الإمدادات إلى السودان كوسيلة للتخلص من عدد كبير من عناصر جيش عرابي القديم مما يسمح بإنشاء قوة جديدة للدفاع عن مصر . وهكذا اقتنع دفرين بوجهة نظر ستيوارت وأصبح ينادى عا نادى مه(٢) .

والحق أن دفرين أهمل جميع المظاهر الدينية والوطنية للحركة المهدية ، ونسب كل نجاح لهذه الحركة إلى بؤس الأهالي وعيشهم بدون أمل . وذكر أن الحكومة المصرية تستطيع أن تبرهن على حكمها إذا هي عملت على قصر مجهوداتها على إعادة توطيد سلطها

<sup>(1)</sup> MACMICHAEL, sir Harold; The sudam. London, 1954. pp. 39-40.

في سنار دون أن تحاول مد ممتلكاتها إلى ما وراء هذه الديرية والشواطئ المجاورة للنيل. فيمكنها بهذه السياسة المتواضعة تقليل الأعباء الملقاة على كاهل الخزانة ، كما أن إقامة إدارة عادلة وإنسانية ومفيدة في دنقلة والخرطوم وسنار ستكون ضماناً مؤكداً لإعادة سلطة الحكومة فيما بعد على الأراضي التي ستجلو عنها (١). ولكن المحكومة المصرية لم تكن مستعدة إلى الاستماع لهذه النصائح التي تدعوها إلى إهدار مسئولياتها وتضييع مجهوداتها والتخلي عن وحدة وادى النيل.

درست وزارة الخارجية البريطانية تقرير ستيوارت ثم كلفت قنصلها العام في القاهرة بإبلاغه إلى الحكومة المصرية والإصرار على ضرورة تنفيد التوصيات المقترحة . ولقد قرأ شريف باشا التقرير وشكر الحكومة الإنخليزية عليه إلا أنه لم يعتبر نفسه من تبطأ بتنفيذ توصيات مندوب الحكومة البريطانية في السودان . ولكن الحديوى كارث يعرف أن بقاءه على العرش متوقف قبل كل شيء على تأييد انجلترا له وهي التي تستطيع أن تحميه من ثورة جديدة يقوم بها المصريون أو من توغل المهديين في صعيد مصر . ولذلك فإنه اضطر إلى مسايرة السياسة البريظانية ونفذ معظم الإدارات الهامة اقتراحات دفرين قبل سفره من مصر وسلم معظم الإدارات الهامة

<sup>(</sup>۱) دفرين إلى جرانفيل في ه من أبريل منة ۱۸۸۳ F.O. 141/ 168. No 93.

فى البلاد إلى موظفين من الإنجليز . ولكنه لم يكن يستطيع أن أن يتصرف فى مسألة السودان إذ أن ذلك كان يخرج عرف الاختصاصات التي خولها له الفرنامات السلطانية ، وكان من ناحية أخرى لا زال يأمل أن تنجح القوات التي أرسلها هناك فى القضاء على الثورة المهدية أو أن تقبل انجاترا أو تركيا ومساعدته فى القضاء عليها ولذلك فإنه أصم أذنيه عن تنفيذ نصائح ستيوارت المتعلقة بالسودان .

وهكذا تعارضت سياسته السودانية مع سياسة الحكومة البريطانية من جهة كا تعارضت مع سياسة المهديين من جهة أخرى . وهكذا ثرى أن هذه القوى الثلاث : السلطة الشرعية فى مصر ( الخديو وحكومته ) والسلطة البريطانية المحتلة ، والمهدى ، كان لكل من هذه القوى الثلاث سياسة خاصة بشأن مصير السودان ، وستصطدم هذه السياسات المختلفة بعضها مع بعض .

## الفصل الثالث بعثة أحمد حمدى إلى السودان

#### الخديو ويعدُ أحمر حمرى :

ما أن شعر الخدو توفيق بأنه قد قضى على الثورة العرابية وأعاد سلطته على مصر حتى حاول أن يفرض سلطته على السودان ويقضى على الثورة المهدية . كان الإنجابز قد أيدوه في مصر ولكنه في السودان كان يحتاج إلى قوات عسكرية فجند من جيش عرابي وأرسلهم إلى هناك . ولكنه كان لا يثق في ولاء المصريين له ويرغب في تأييد إنجلترا من ناحية أخرى فاستمع إلى وشاية الحاشية وقرر سحب عبد القادر حلمي من السودان وتعيين أحد الإنجليز على رأس القوات المصرية في السودان . ولكن توفيقًا في الوقت نفسه لم يكن يثق تمام الوثوق في نيات الإنجليز أصدقائه وحماته في السودان ، ولذلك فإنه قرر أن يتشبه بوزارة الخارجية البريطانية وبرسل أحدياورانه إلى السودان ليقف منه على الحالة هناك وذلك بكنامه تقارير عن الثورة المهدية وعن الموظفين المصريين وعن نشاط الإنجلنر . فعهد مهذه المهمة السرية في السودان إلى أحمد بك حمدى . كان على أحمد حمدى أن يسافر إلى السودان في نفس الوقت الذي أرسل فيه أحمد عرابي وزملاؤه إلى المنقي أي في يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وكلفه الخديو بالاتصال عدير الشرقية وعجافظ السويس بهذا الشأن وبأن يوصى كلا منهما بانخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على الأمن والنظام والانتباه واليقظة وقت مرور عرابي وزملائه ؟ فكان عليهم التأكد من إخلاء عطات السكك الحديدية من الزوار والمسافرين قبل مرور القطار عطات السكك الحديدية من الزوار والمسافرين قبل مرور القطار الذي يقلهم وعدم ترك أي شخص يتصل بالزعماء المنفيين أو يقترب من قطارهم(١).

وكان على أحد حدى أن يسافر مع كتيبة مشاه على باخرة خاصة ذاهبة إلى سواكن ولقد كلفه الخديو بمقابلة علاء الدين باشا حكمدار سواحل البحر الأحمر والشناوى بك أحد وجهاء سواكن وإبلاغهما رضاء الخديو عنهما . ثم كلفه الخديو بالسفر بعد يومين إلى بربر وأن يحصن مديرها على الإسراع في إرسال الإمدادات إلى الخرطوم . وفي عاصمة السودان كان على أحمد حمدى أن يوجه عبد القادر حلى إلى عدم إضاعة الوقت في القضاء على المهدية وعلى الثورة ، وأن ينصحه بوجوب اتباع سياسة تودد إلى المكولونيل ستيوارت فيظهر مهونته أمام تصلبه ولا يرتكب أي

<sup>(</sup>۱) انظر المحفوظات التاريخية (مايدين) السودان ۱/۱- ۱ - تقارير أحمد حمدي

عمل يمكن أن يفسر بأنه عمل غير ودى أو مثير للشكوك . وكان على أحمد حمدى أن يعلن لستيوارت أن الحاكم العام سيقبل كل طلباته وأنه شخصياً غير مكلف إلا بمهمة استملامات وأنه خاضع لأوام الحاكم العام وليس له أى سلطة تخول له التدخل فى أى أمم من الأمور .

ولكن شهر يناير سنة ١٨٨٣ شهد تغييراً كبيراً على سياسة الخديو نجاه السودان. فأصدر في ٢٢ من فلك الشهر أمراً بإلغاء وزارة السودان وفصل عبد القادر حلمى عن حكومة السودان وعين في نفس اليوم علاء الدين باشا حكمدار سواحل البحر الأحمر طاكا عاماً على السودان وملحقاته (١). حقيقة أن الخديو كان معجباً بنشاط علاء الدين وحسن إدارته ولكن ذلك الإعجاب لم عنمه من أن يرسم له خطوط وتفاصيل السياسة الواجب عليه اتباعها عند مباشرته لسلطته الجديدة.

شرح الخديو في أمن تعيين علاء الدين باشا أن تقدم السودان ورفاهية أهله وازدهار التجارة والزراعة فيه يتوقف على الطريقة التي تعامل بها الحكومة الأهالي وعلى محاولة كسب ودهم إليها ومحاولة إرشادهم لتحسين حالهم وطريقة معيشتهم فيجب على الحكومة ألا تعامل الأهالي بطريقة قد تدفعهم إلى معارضتها

<sup>(</sup>۱) أنظر المحفوظات التاريخية (عابدين) : دفتر قيد الأوامر- رقم ٢ ص ١٣٧ – أمر رقم ١ في ٢٢ من يناير سنة ١٨٨٣ .

أو إلى هجر عملهم والإخلاد إلى الكسل. لقد تسبب بعض الحكام ععاملتهم الأهالي معاملة سيئة في دفعهم إلى تغيير موقفهم بجاه الحكومة . ولذلك فإن الخدى قد وجه علاء الدين باشا إلى أن ينبه على أعوانه من ألدرين والحكام بعدم تكرار مثل هذه الأخطاء وإلى أن يذكرهم بأن القواعد الأساسية لرفاهية السودان وثروته وتقدمه وعمرانه تقوم على إقامة المدالة وبذل الجهد المستمر لـكسب صداقة الأهالي والتشجيع المتواصل للتجارة والزراعة . وكانت توجيهات الخديو للحاكم العام الجديد في النواحي العسكرية أكثر تفصيلاً . أمه بتنظيم القوات العسكرية في السودان للمحافظة على الأمن والنظام . والظاهر أن الخديو كان يخشى من هجوم أجنى على السودان بشكل عام ومن هجوم حبشى بشكل خاص فذكر أن الحكومة المصرية قد تحملت تضحيات جسيمة من المال والرجال في أثناء حكمها للسردان مما لا يسمح لها بالتفكير في التخلي عن أي جزء منه . فكان من الواجب إذاً العمل على ضمان سلامة الحدود في نفس الوقت الذي يحافظ فيه على الأمن والنظام في الداخل . وقد شرح الخديو أنه لا يفكر في مهاجمة جيرانه ولكنه لايقبل أن يطمعوا في ممتلكاته وملحقات بلاده . ولذلك فإنه أمر علاء الدين بتقوية الحاميات في منطقة الحدود وبالدفاع عرث كل جزء من الأراضي في حالة الهجوم علما.

ولكن أكبر شاغل للخديو كان هو المهدية وتورتها في السودان . فأمم الحاكم العام الجديد بمدم ادخار أي مجهود في سبيل القضاء على هذه الحركة . وكان برى إمكان التغلب على الثورة نظراً لأهمية القوات التي أرسلتها الحكومة والتي كانت مستعدة لإرسالها إلى السودارن. ولقد حدد الخدو الخطط الاستراتيجية التي رغب في أن تنفذ هناك . فأمن علاء الدين بتجنب تفريق قواته الحكومية في وحدات صغيرة ، بل إن عليه إن يجمعها في قوة واحدة حسنة التدريب عكنها أن تعمل على رفع الروح المعنوية . ومن الواجب مهاجمة معاقل الثورة الواحد بعد الآخر إلى أن تصل قوات الحكومة إلى ممسكر المهدى الرئيسي حيث تقع الموقعة الحاسمة . ورغم تحديد هذه الخطوط والتفصيلات فإن الخدو قدأ دى ثقته في ذكاء الحاكم العام الجديد وفي صواب حكمه على الأمور، فترك له الحرية في اختيار الأساليب والوسائل الحربية أو السياسية الحكيمة حسما يتطلب كل موقف من المواقف .

وأصرالحديو على ضرورة قيام علاء الدين باشا بالكتابة بانتظام إلى مجلس الوزراء في القاهرة لأنه هو الجهة التي يخضع لها السودان رسمياً وأخيراً طالب الخديو يبذل النشاط في مكافحة مجارة الرقيق ، مشيراً إلى أهمية الاتفاقية المقودة مع انجلترا بهذا الخصوص وضرورة تنفيذ بهنودها بحذافيرها .

· كَانَ مَعَنَى هَٰذَا أَنَ الْحُديو قد غَـبَيْر وَضِعِيَّةَ السودانَ وتَعْثَيْلُ ( ٥ - ثورة ) الحاكم العام لتلك الأقاليم في مجلس الوزراء طبقا للقرار الذي المخدّمة الوزارة بذلك في أوائل سنة ١٨٨٢ ، أي قبل الاحتلال البريطاني . واعاد النظام القديم بحذافيره مع إصراره على المحافظة على الوضع القائم في حكم السودان وعلى حدوده وعلى القضاء الثورة التي تسرى فيه ، أي أنه حاول إعادة «النظام القديم» في السودان بمد أن ساعده الإنجليز على إقامته في مصر .

ولقد استلم حسين باشا سرى القائد العسكرى لموقع الخرطوم في اليوم التالي من صدور هذا المرسمــوم - أي في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٣ - أمراً خديوياً بوقف كل العمليات العسكرية القائمة وبتجميع كل القوات في الخرطوم في انتظار وصول ضباط أركان الحرب الإنجليز المرسلين من القاهرة . وكان إرسال هذا الأمر الأخير من غير طريق عبد القادر حلى أو وكيله چيجلر باشا ودون أن يذكر تغيير شخص الحاكم العام سبباً في سخط هذين الموظفين ، وفي إجابة عبد القادر بأنه يرفض تنفيذه ، لأن ذلك سيساعدعلى انتشار التورة ويمنى ضياع كردفان ودارفور ، كا ذكرنا سابقاً . فاضطر الخديو أمام رفض عبد القادر حلمي إلى أن يكلف ياور. الخاص أحمد حمدى أن يبرق بمجرد وصوله إلى الخرطوم إلى عبد القادر حلى ويطلب منه الحضور بسرعة إلى الماصمة السودانية، وأن يبلغه عجرد وصوله الغرمان الذي قضي بإلغاء وزارة السودان

وملحقاتها، والقاضى بفصله من وظيفته كما كم عام على تلك الأقاليم. وأخيراً فقد كان على أحمد حمدى أن يصر على ضرورة عودة عبد القادر حلمى دون إبطاء إلى القاهرة (۱). وهكذا ينقلب ضفف الحديوا مام الإنجليز إلى قوة وتشبث تجاه رعيته حتى المخلصين منها له.

وجه الحديو أحد حدى إلى أن يتشاور فى الحرطوم مع علاء الدين باشا الحاكم العام الجديد، وإلى أن يؤكد للسكولونيل ستيوارت أن الحديو قد أوصى علاء الدين أن يقدم له كل المساعدات اللازمة فى أى ميدان من اليادين . وهذا يثبت أن الحديو كان يخشى وقوع سوء تفاهم بين الحاكم العام الجديد ومندوب الحكومة البريطانية الحاص، وذلك رغم أنه كان يخشى فى نفس الوقت من نشاط هذا المندوب البريطاني فى السودان، إذ أنه قد كلف أحد حدى عقابلة الكولونيل ستيوارت كل يومين أو ثلاثة ، وكأنه لا يبغى إلا زيارته ، وأن يوصى علاء الدين سراً لا علاحظة حركات وأفعال الكولونيل دأعا » (٢) وأن يرسل إلى الحديو بالشفرة وبسرعة أخبار اتصالاته وحركاته .

وأخيراً كان على أحمد حمدى أن ينتظر في الحرطوم وصول الجنرال هيكس باشا رئيس أركان الحرب الجديد للقوات السؤدانية . وكان عليه أن يصحبه إلى أم درمان ، حيث اجتمعت قوات الإمدادات الجديدة على الضفة الأخرى المتيل الأبيض وأن يقدمه

<sup>(</sup>١) انظر المحفوظات التاريخية (عَائِدَينَ): النَّوْدَانَ ١/١ أَ- ١ .

١٠٠٠ (٢) إنظر المحلوطات التاريخية (عليدين) عباً الباودالله الرار - ٢ - ١٠

الجنود ، ويبحث معه أحسن الوسائل للقضاء على الثورة . ولى كانت تجارب أحمد حمدى ومعرفته بالأقاليم السودانية ترشحه بكفاءة لهذه اللهمة فعليه ألا يضن بها على هيكس باشا .

### تقرير أحمد حمدى عن الرحد: الى الخرطوم :

لا تشنى دور المحفوظات المصرية غليل الباحث فى تلك الفترة، فلا نقف منها على تاريخ سفر أحمد حمدى من السويس ، ثم إننا نجده ينتظر وصول الجنرال هيكس فى سواكن لكى يصحبه إلى الخرطوم ، ولا ندرى هل جاء ذلك وفقاً لتعليات جديدة من الخديو أو أن تأخير سفره من مصر جعله يقدر أفضلية أصحاب الجنرال الإنحلزى شخصياً .

ولقد أعطى سفر علاء الدين باشا من سواكن إلى بربر فى يوم ٣ فبراير سنة ١٨٨٣ وما سحبه من احتفالات رسمية - فرصة فريدة لأحمد حمدى لكى يتصل بالستر وايلد ويتحدث معه . كان هذا الإمجليزى يرغب فى إنشاء خط للسكة الحديدية من سواكن إلى بربر . ويهمنا أن نعرف وجهة نظر مندوب الحديو عن هذا للشروع الذي أعده بعض رجال الأعمال البريطانيين قبل أن تتبنى الأوساط الرسمية البريطانية فكرة إنشاء خط حديد القاهرة - رأس الرجاء الصالح بمدة عشر سنوات .

طلب وابلد إلى أحد حسى رأيه في هذا الشروع . وكان

بإور الخديو قد سافر مهات عديدة إلى السودان ، ولسكنه أجاب بأن آراءه الشخيسية ليست لها كبير قيمة لأن الشروع كإن معروضاً في ذلك الوقت على مجلس الوزراء في القاهرة وهو الجهة الوحيدة المختصة بانخاذ القرارات في مثل هذا المشروع قبل أن تمرضه على الخديو . ولما أصر وايلد على معرفة رأى أحمد حمدى الشخصي، اعترف له هذا الأخير بأن الطريق من سواكن إلى برير كان أقصر الطرق وأسهلها للدخول إلى السودان . كان وايلد يحمل خرائط خاصة بهذا الشروع وأصرعلى بعض المواصفات اللازمة لتنفيذه . وكانت نظرة واحدة إلى تلك الخرائط والخطوط التي تبين مشروع السكة الحديدية كافية لكي يعرف أحمد حمدي نيات الإنجلىز، إذ أزهذه الخطوط كانت مرسومة بشكل يدل على -أن الخط الجديد سيصل إلى بربر شم عند على طول النيل حتى بحيرة فيكتوريا . وأن هناك مشرعا آخر بإنشاء خط حديدى من طابوره إلى رأس الرجاء الصالح(١). وكانت هذه النظرة الجامعة لمشروعات السكك الحديدية الإنجلنزية في أفريقية سبباً في إثارة مخاوف أحمد حمدى لأنها أظهرت الدور الذى يعده الإنجليز للسودان في تنفيذ مجموع مشروعاتهم الامبريالية . ولذلك فإن تقرير أحمد حمدى ينتهي بأن مذكر أنه نظراً لأهمية ذلك الموضوع فإنه سيكون من المستحسن أن يعهد بتنفيذ مشروع سكة حديد سواكن - بربر إلى شركة من دولة أخرى غير أنجلترا - تلك

<sup>(</sup>١) المحفوظات التاريخية (عابدين) : سودان ١/١/ - ٢

هى النصيحة التى أرسلها الياور إلى الخديو والتى تدل صراحة على أنه لم يكن يرغب فى ترك أبدى الإنجليز تلمب فى السودان بكل حرية بعد أن لعبت فى مصر ، وتدل على أنه لم يكن ليقبل ربط السودان جنوباً بالإمبراطورية البريطانية .

وصل الجنرال هيكس إلى سواكن بعد سفر علاء الدين باشا إلى بربر بأربعة أيام، وقد وصل مصحوباً بضباط أركان الحرب الأوروبيين وبتابعيه . فشرح له أحمد حمدى أن كلشيء معدللرحلة إلى الخرطوم من جمال وخيول وفصائل الجندالتي كان عليها أن تحرسه في أثناء سفره . كان أحمد حمدي يعرف التأثير النفساني السي الذي سيحدث لأهالي الإقليم الذي سيمر به الضباط الإنجليز، فَانْخَذُ الوسائلَ اللازمة لتخفيف حدته . كانت الأخبار تنتشر بسرعة بين الأعماب ، وقد خشى أحمد حمدى أن تكون رؤية العرب للجنرال هيكس والضباط البريطانيين على الطريق مرت سواكن إلى تربر سبباً في أن يفسروها تفسيراً خاصاً يعطى لرجال الثورة سلاحاً جديداً ضد الحكومة الخديوية . ولما كان هذا الطريق أساسياً لإرسال الإمدادات والذخائر إلى السودان، فإن أحمد حمدى حاول أن يحافظ على العرب القاطنين على طوله موالين للحكومة المصرية. فقرر مع محافظ سواكن ومدير بربر أن يطلب من جميع شيوخ القبائل البدوية في تلك المنطقة الحضور لرؤيته شخصياً عند مهوره ، كل بجوار الآبار القريبة منه . وقد شرح ياور الحدي لهؤلاء الشيوح عند مهوره مصطحباً الجنرال هيكس والضباط الإنجلز أن هؤلاء الضباط موظفون في القوات المسلحة المصرية رغم كونهم من الإنجليز ، وأن حالة القوات الحديوية في السودان هي التي تطلبت إرسالهم مع غيرهم من الضباط المصريين المخدمة في الخرطوم . وقد أصر أحمد حمدي على أن وضعية هؤلاء الضباط الإنجليز هي نفس وضعية الضباط المصريين ، وعلى أن اضباط الإنجليز هي نفس وضعية الضباط المصريين ، وعلى أن اختيارهم للخدمة في السودات لم يكن إلا بسبب كفاءاتهم الشخصية . وهكذا كان على هؤلاء الشيوخ أن يواصلوا طاعمهم الشخصية . وهكذا كان على هؤلاء الشيوخ أن يواصلوا طاعمهم القادمين من مصر من أي جنسية كانوا(١) .

#### وصف حمدی دریکسی وحملته :

كان الجنرال هيكس قد وصل إلى سواكن فى يوم ٧ فبراير سنة ١٨٨٣ وتركها إلى الخرطوم عن طريق بربر فى يوم ١١ منه . وقد حيته الجنود وأطلقت له المدافع عند سفره . ووصل فى نهاية اليوم الأول إلى المحطة الأولى حيث وجد رجال الحلة فى انتظاره ، وكانت الخيام قد نصبت لكى يقضى فيها الضباط لياتهم . ولقد قام محافظ سواكن النبى صحب هيكس حتى تلك المحطة بالتفتيش على الرجال وجمال الحملة وخيولها ثم قفل راجعاً إلى مقر عمله .

<sup>(</sup>١) انظر المحفوظات التاريخية (عابدين) : السودان . ١/١ -- ٧ .

وسارت الحملة بشكل عام من هذه المحطة الأولى حتى وصولها إلى ربر من وقت شروق الشمس حتى الظهر، أو بد الظهر حسب المافة بين الآيار على الطريق . وكان هيكس يرسل عادة بعض الجنود مع خمس خيام وأحد الضباط لانتظاره في منتصف الطريق عند الظهر ، إذا كان من الصعب الوصول إلى البئر التالية في تلك الساعة ، وذلك حتى يضمن لنفسه وسائل الراحة على الطريق ، وكان يحتل مع الضباط الإنجليز الآخرين أربعة خيام من هـ نمـ الخمسة ، ولا يترك لكل الضباط المصريين إلا خيمة واحدة ؟ أما الحملة فكان علمها أن تسير تحت الشمس المحرقة حتى تصل إلى البئر التالية حيث ينصب المسكر الفعلى لقضاء الليلة . ولم تكن من عادة الجنرال الإنجلزي أن يترك ممسكره المؤقت إلا في نهاية اليوم ، فيصل إلى المسكر الحقيق مصحوباً بالضباط الإنجليز حيث ينامون . ويظهر لنا من تقدير أحمد حمدى أنه كان غير ممجب بهيكس وبصحبه من الضباط الأنجليز.

وكان هيكس مصحوباً بثانية من الضباط الإنجليز، ومنهم طبيب ومترجم، علاوة على اثنين من الحدم الأوربيين. ولكن عب، قيادة الحملة وقع كاملاً على الضباط المصريين الذين كان عليهم تهيئة المسكر وانتظار وصول الباشا وصحبه الأولى من السيرير كبون معظم الضباط البريطانيين في الأربعة أيام الأولى من السيرير كبون الخيل تاركين جمالهم مع الجمالين، وكانوا يقضون وقتهم في الصيد

ويبتعدون عيناً وبساراً عن الطريق الرئيسي عما أتعب الحيول وأنذر عوبها قبل وصولها إلى الخرطوم ، خصوصاً وأن الطريق كان طويلاً وصعباً عما سيجبر الحكومة على شراء خيول أخرى لهم ، ولذلك فإن أحمد حمدى قد اضطر إلى التدخل في الأمم بلباقة ، فشرح المسألة للجنرال الإنجليزي وأصر على أهمية الخيول وضرورتها للحركات المسكرية السريمة ، وأفهمه بأنه من المستحيل المثور على خيول عمائلة في الخرطوم ، والظاهر أن هيكس قد فهم محكم الضرورة فضرب المثل أمام المنباط الإنجليز وأخذ يسافر على ظهر الجال ، ولكن هؤلاء الضباط واصلوا ركوب الخيل ومتابعة الصيد ، وكأن الحكومة المصرية قد اختارتهم لبعثة صيد في هذا الوقت العصيب .

وكانت مسألة المياه في منتهى الأهمية بالنسبة للحملة بشكل عام، وبالنسبة للجنرال هيكس بشكل خاص . كان قد أحضر معه من السويس ٥٠ برميلا من الحديد مملوءة بالماء لاستماله الشخصي واستمال الضباط الإنجليز ، ولقد بلغ من شدة قلق الجنرال الإنجليزي على سلامتها أن عَرَّ أحد الضباط للاحظتها ، ولكن لا لجاماتها » لم تكن متينة وأخذ الماء يقطر منها ، فما كان من هيكس إلا أن أم بتجريد الضابط من رتبته ، وحتى وصوله إلى منتصف الطريق إلى بربر كان الجنرال برفض الساح لأى فرد بالشرب من الماء الخصص للضباط الإنجليز ، ولكن بقية المياء

المحفوظة في القير بلم تكن كافية لشرب الأربعة عشر فرساً علاوة على رجال الحملة وضباطها . ولذلك فإن هيكس قرر إرسال مندوبين إلى بربر لسكى يطلبوا إرسال الماء بسرعة وإرسال جمال أخرى مستريحة . ولما كان لا يثق في أى أحد من رجال الحملة فإنه قد عهد إلى ياور الحديو بتنفيذ هذا الأمى . واضطر ياور « أفندينا » الى تنفيذ أمى الباشا الإنجليزى بطبيعة الحال .

ولم تكن طبيعة الجنرال هيكس وتصرفاته هي وحدها التي تعطى فكرة سيئة عنه ، بل تضافرت مع ذلك آزاؤه الشخصية العامة . كان أحد حمدى قد حاول منذ تركهم لسواكن أن يكسب تقة وود الجنرال الانجليزى والضباط الانجليز الآخرين ، ساعباً إلى معرفة آرائهم تجاه الحركة الثورية والحكومة المصرية ، ولكنه وجد أن «سعادة الجنرال » يشبه في ذلك أى انجليز آخر من بنى جنسه ، مما يدفع إلى عدمالثقة بهم (۱). وكان هيكس بسأل داعاً عن الأخبار والحالة في السودان ، وما أن عرف في أحد الأيام أن الحالة آخذة في التحسن حتى ظهر عليه الغضب ، وصرح بأنه لم تكن هناك إذاً حاجة لاستدعائه من لندن . واضطر أحمد حمدى الى التدخل وإلى أن يشرح له أن الحكومة الحديوية محتاجة إليه حتى في وقت السلم، وذلك لتنظيم القوات العسكرية ، ولم يظهر أن

<sup>(</sup>١) انظر المحقوظات التاريخية (عابدين) : السودان ١/١–٧.

هذا الجواب قد أرضى الباشا الإنجليزى حتى وكأنه كان برغب في الانتقام الشخصي من السودان .

ولقد مهت المرحلة من بربر إلى الخرطوم دون حادثة تذكر، وقطعت الحملة هذه المرحلة على ظهر باخرتين في النيل. ودخل الجنرال هيكس باشا إلى الخرطوم في يوم ٤ مارس سنة ١٨٨٣ مصحوباً بضباطه الإنجليز ، كان الخديو قد عينه رئيساً لأركان حرب جيش السودان، ومنحه رتبة اللواء في الجيش المصرى، وكلفه بإعداد وتنفيذ كل العمليات ، والحقيقة أن هيكس كان هو القائد المام الفعلي لقوات السودان، ولمكن الخديو لم ير من حسن المام الفعلي لقوات السودان، ولمكن الخديو لم ير من حسن السياسة تعيينه رسمياً على رأس جيش السودان وهو أجنبي ومسيحي، خصوصاً وأن الثورة السودانية كانت ثورة دينية ووطنية .

ولقد عين الخديو سليان باشا نيازى قائداً عاما اسمياً للقوات السودانية ، وعلاوة على كبر سن هذا الباشا الذى كان قد شارك في حروب محمد على ، فإن الخديو قد أعطاه أمراً سرياً بالموافقة على جميع الخطط الحربية التي يتقدم بها الجنرال هيكس . وكان هذا الباشا قد وصل إلى الخرطوم في يوم ٢٠ فبراير في صحبة علاء الدين باشا الحاكم العام الجديد للسودان .

#### تقارير أحمد حمرى عن الخر لحوّم :

تعتبر تقارير أحمد حمدى بعد وصوله للخرطوم فى غاية الأهمية بالنسبة للسودان . حقيقة أن ذلك الضابط المصرى يقتصر فى تقريره المؤرخ يوم ٩ مارس سنة ١٨٨٣ على ذكر أسباب الثورة السودانية ، ولكن تقريره التالى الذى له صورة المذكرات اليومية والمكتوب عن الفترة من ٢١ مارس إلى ٥ أبريل يعتبر يَحق المصدر التاريخي المصرى الوحيد عن تاريخ السودان وقت وصول الجنرال هيكس إلى الخرطوم .

ذكر أحمد حمدى فى تقريره الأول أن أهم أسباب الثورة المهدية سوء إدارة البلاد وتعيين غير الأكفاء فى مماكز لا يستطيعون معرفة معنى الاضطلاع بأعبائها ، فأتهم أبا السعود العقاد وبوسف باشا الشلالى بإضاعة النفوذ المصرى ، وذلك بإساءة اضطلاعهم عهام قياداتهم ؟ مثلهم فى ذلك مثل محمد سعيد باشا الذى كانت الحكومة كلفته بتعقب المهدى فى وقت ظهوره فى جزيرة آبا .

وعلاوة على ذلك فإن موظنى الإدارة وخصوصاً مصلحة التلغرافات كانوا مر السودانيين ، فساعدوا على وصول أخبار التحركات المصرية ونيات الحكومة المصرية إلى الثوار عن طريق العملاء السريين والجواسيس .

ولما كان الأهالي في دنقلة والخرطوم ورجال الحسانية ينضمون المهدى ويذهبون لكردفان فإن أحمد حمدى قد اقترح إرسال تعليات صارمة إلى مدير دنقلة لمراقبة الطرق المؤدية إلى كرفان . كما أنه رأى ضرورة زيادة ممافبة الطرق بشكل عام وإعلان حالة الطواري والأحكام العرفية في الخرطوم .

كان أحمد حمدى شديد الإعجاب بعبد القادر حلمي ، وقد أثني على مجهوده أكثر من مرة . وذكر أنه أيخذ التدابير الفمالة التحسين الحالة العامة وشجع السودانيين وخصوصا رجال الشايقية على التطوع في صفوف القوات المسلحة لكي يزيد من قوة الحكومة وعنع هذه المناصر المحاربة من الانضام للمهدى . وقد رأى أنه إذا كان قد أتيح لعبد القادر حلمي أن يصله الإمدادات المطلوبة لأمكنه القضاء على الثورة في فترة قصيرة . وعلاوة على خلك فإن تميين عبد القادر لمدد من السودانيين في مماكر كبيرة في الحكومة العامة لم يدخل أي إفساد في الإدارة التي تسير سيراً حسِناً في كل منمناطقسنار والنيل الأبيض . كان عبدالقادر حلمي عَائداً له قيمته ، وإدارياً حازماً ومهناً في نفس الوقت ، بما ساعده على كسب ولاء عدد كبير من السودانيين للحكومة وبث الذعم فى صفوف الثوار . ولقد أحبه الموظفون السودانيّون والمصريون والأوروبيون جميمهم ، فاقترح أحمد حمدى على الخديو أن يبقيه في منصبه حتى يتم نشر الأمن في سنطقة الجزيرة . وفي حالة رفض

هذا الطلب ، ونظراً لأن الصحف كانت قد نشرت خبر تميين علاء الدين باشا ، فإن أحمد حمدى قد أصر على ضرورة إبقاء الحديو لعبد القادر حتى فى منصب القائد المام للقوات السودانية تاركا بذلك مهام الحاكم المام لملاء الدين باشا وقاصراً مهام چيجلر باشا على مماقبة تجارة الرفيق . وعلى أى حال فإن أحمد حمدى قد أفهم الحديو أهمية بقاء عبد القادر حلى لقيادة الجنود حتى يتم إخضاع مناطق سنار والنيل الأبيض (۱) .

كان كل من چيجل باشا والجنرال هيكس قد اقترح إخلاء دارفور من الجنود والسكان المدنيين عن طريق بحر الغزال ولكن أحمد حمدي لم يوافق على هذا الاقتراح ، مثله فى ذلك مثل عبد القادر حلى وعلاء الدين . ذلك أن الطريق المار ببحر الغزال كان طويلا، وعر في مناطق يصمب فيها سير القوافل، وتنتشر فيها الأمراض والحميات ويحتلها الثوار . ولقد الهم أحمد حمدى بك عمد سميد باشا حاكم كردفان بأنه قد رفض تنفيذ أوامر الحاكم العام ، وبأنه قد أهمل اتخاذ الوسائل التي تكفل له الدفاع عن نفسه وعن إقليمه أمام الثوار . واعتقد أن خطة چيجلر كانت تهدف إلى أن تمطى للثورة مجالها الحيوى اللازم لانتشارها . ولكن أحد حمدى قد أظهر إعجابه مجاكم دارفور والوسائل التي اتخذها أحد حمدى قد أظهر إعجابه مجاكم دارفور والوسائل التي اتخذها

(١٠٠) إنظِي المحفوظات التاريخية (عابدين) : النبوذان ١/١ - ٨٠٠ ب

لقاومة الثوار . واقترح إعادة المواصلات معه وذلك بتكليف مدير دنقلة باختيار معاون سودانى يسافر إلى دارفور حاملا الخطابات وفى حراسة رجلين . واقترح لذلك طريقا بعيدة عن الثوار يمكن قطعها فى خمسة عشر يوما وتحر بوادى الملك وأم بدر والفاشر .

ولقد أظهر أحمد حمدى أن الجنرال هيكس « شخصية غير مرغوب فيها » سواء من المصريين أو السودانيين ، وذلك لأن الجنرال كان يظهر علناً عدم ميله لمصر وللمصريين ، ولذلك فإن أقل حادثة قد تقع ستتمخض عن قطيعة تامة بينه وبين رجال القوات السلحة ، وعلى أى حال فإن أحمد حمدى قد بذل جهدم لإقناع الضباط باستمرار إطاعتهم لأوامره .

ذكر هيكس لأحد حمدى في يوم ٢١ مارس أنه قد استلم برقية من اللورد دفرين بشأن إعلان تعيين علاء الدين باشا حاكا عاما على السودان، والحقيقة هي أن دفرين كان قد انصل بمجلس الوزراء في القاهرة في هذا الشأن مما جعل هذا المجلس يقرر ترك اختيار الفرصة المناسبة لهذا الإعلان لسلطات الخرطوم، ولقد أراد هيكس أن يُعلن علاء الدين عن وظيفته في الحال رغم أن ذلك كان يهدد بإضاعة مجهودات عبد القادر الطويلة في منطقة سناد بين الشيوخ المحليين والجنود غير النظاميين من أهل السودان، وقد يدفع بهم إلى التجلى عن مجهوداتهم التي يعذلونها السودان، وقد يدفع بهم إلى التجلى عن مجهوداتهم التي يعذلونها السودان، وقد يدفع بهم إلى التجلى عن مجهوداتهم التي يعذلونها السودان، وقد يدفع بهم إلى التجلى عن مجهوداتهم التي يعذلونها السودان، وقد يدفع بهم إلى التجلى عن مجهوداتهم التي يعذلونها السودان، وقد يدفع بهم إلى التجلى عن مجهوداتهم التي يعذلونها ضد الثورة و ولذلك فإن أهيد حدى قدا وفيض طلب الجرال

هيكس وطلب إلى علاء الدين ألا يملن نبأ تعيينه قبل أن يستلم أمراً صريحا من الخديو بذلك . ولقد وسل هذا الأمر في يوم ٢٥ مارس ونص على تعيين علاء الدين باشا حاكما عاما وسليان نيازى قائداً عاما للقوات العسكرية في نفس الوقت . فنصح أحمد حدى بزيارة عبد القادر في أرض الجزيرة حتى يقع تسليم النبطات هناك ويحافظوا على التفاف الأهالي والجنود حول المحكومة . ثم كان على علاء الدين أن يقدم سليان نيازي إلى رجاله قبل أن يمود إلى الخرطوم . ولقد وافق الرجال الثلاثة على هذه الفكرة وفي اليوم التالي احتفل في سراى الحاكم العام بتعيين علاء الدين وشارك في ذلك كبار الموظفين من الأهالي ومن علاء الدين وشارك في ذلك كبار الموظفين من الأهالي ومن الأورو ومن ()

ولقد أراد هيكس باشا في أثناء ذلك نشر بلاغ على الأهالى يؤكد لهم فيه رغبته في المحافظة على المدالة هادفا بذلك - كا قال أحد حدى - إلى اجتذاب الأهالى إلى دولة الإنجليز ، التى كان هو نفسه أحد كبار رجالها والتى كانت مشهورة بكرمها وبحبها للمدالة!! ولقد حكم أحد حدى على ذلك الفعل بأنه امتدادلأعمال غردون الذي يعتبر مسؤولا عما وصلت إليه حالة السودان (٢).

<sup>(</sup>١) الهنوظات التاريخية (عايدين) : السودان ١/١١-٩ص ١١-١١ .

<sup>(</sup>١) المفوظات العاريخية (مابدين): السودان ١/١ - ١٠٠٠ بس ٧٠٠

تكن له أى سلطات فعلية ، ولم يكن فى استطاعته اتخاذ أى قرار من القرارات دون موافقة هيكس باشا على ذلك ، و بالرغم من أن هيكس لم يكن من الناحية الشكلية سوى رئيس أركان حرب نيازى فإنه كان يرسل إليه يستدعيه إلى مكتبه لأتفه الأشياء ، ولم يخف عزمه على أن يطلب من الحديو رأسا ترقية هذا الضابط أو ذاك ، وكان نيازى يشكو من أنه مجرد من السلطات ومن أن هيكس كان يتدخل رأساً مع الضباط العظام حتى يظهر لهم بأنه هو القائد العام الفعلى ، كا أن هيكس كان يتعدى على اختصاصات علاء الدين باشا فى شأن الاستيلاء على السفن اللازمة الحملة .

ولقد ختم أحمد حمدى تقريره منوها بأن الذى يحفظ مصر هو إقامة التوازن بين الدول المتنافسة عليها ، ولكن الأنظار كانت قد بدأت تتركز على السودان راغبة في تحويله إلى هند إفريقية لها موقع ممتاز بالنسبة لقناة السويس وبوغاز باب المندب ورأس الرجاء الصالح ، بلاد واسعة يسكنها شعب يقرب من عشرة ملايين نسمة ، وبلاد خصبة بمر فيها النيل الذي هو حياة مصر ، مما يدعو إلى شدة تيقظ الحديو ووزرائه حتى يبعدوا عنها أنظار الغير (١) . ولقد رأى أحمد حمدى أن القوات المسكرية الجديدة ليست كافية

للسير إلى كردفان خصوصاً وأن القيادة ستضطر إلى ترك بعض الحاميات الموزعة في الأقاليم. ولذلك فإنه طلب إرسال آلايين آخرين من المشاة ومعهما عدد من الجنود غير النظامية وبطارية مدافع جبلية إلى دنقلة ، وذلك لسكى تزحف منها على كردفان في نفس الوقت الذي تسير فيه الحملة الآخرى عليها من الخرطوم. وأخيراً فإن حمدى أظهر عظيم أسفه لاستدعاء عبد القادر حلمي وهو الضابط الشهود له بالكفاءة في النواحي العسكرية والإدارية والسياسية على المكس من علاء الدين ونيازي . أما « سمادة هيكس باشا » وأصحابه فليس لهم أى قيمة فى نظر أحمد حمدى والمهمهم بأنهم « يتبعون تمليات خاصة » ، واكنهم لن يستطيعوا تنفيذ أغراضهم إذا وجدوا أمامهم الرجال النشطين النبهاء الذين يستطيعون إفساد مناوراتهم (١) . ولقد اقترح أحمد حمدى إنشاء أربع حكومات عامة فى كل من شرق السودان وغرب السودان ووسط السودان وهرر ، ولكن مع المحافظة في نفس الوقت على جميع القوات العسكرية تحت إمهة قائد عام واحد هو في رأيه عبد القادر حلى دون سواه.

عكننا أن نفهم من هذا قيمة إرسال الجنرال هيكس إلى

<sup>(</sup>١) المرجع السابق.

السودان ومقدار الثقة التي كان يحظى بها من الخديو بعد وصول مثل هذا التقرير إليه . ولكن الخديو والوزراء لم يكونوا أحراراً في اتخاذ القرارات التي يرونها في الشئون السودانية منذ الوقت الذي احتل فيه الجنود الإنجليز عاصمة بلادهم ، وكانوا يحاولون إعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل الثورة العرابية — رضى الشعب بذلك أم كره — ولكن إنجلترا لم ترتبط مع الخديو ولم ترتبط مع الجركات الوطنية وانتظرت حتى يضعف بعضهم بعضاً وتستفيد هي في الوقت المناسب .

# الفصت الرابع انجلترا وحملة هيكس

## تخلى الحكومة البريطانية عن مسؤولباتها:

تغير الموقف في السودان منذ سقوط الأبيض في أبدى الثوار ولكنا نجد رغم ذلك أن الحكومة الخديوية قد اكتفت بإرسال بعض التعديلات في قيادة قواتها في السودان — وعينت هيكس رئيساً لأركان حربها - كانت هذه التعديلات تعديلات شخصية ولا نرى فها علاوة على ذلك أى مصلحة فعلية لمصر أو للسودان . كانت خسائر المصريين قد بلغت حتى ذلك الوقت حوالى ١٦ ألفاً من الجنود ومثل هذا العدد تقريباً من البنادق ، وحوالي نصف مليون رصاصة ، وفد ساعد ذلك الثوار على أن يبدءوا في استخدام الأسلحة الناربة ضد جنود الحكومة . وقد قسم الثوار قواتهم إن ثلاث فرق كبيرة بمد الاستيلاء على الأبيض استمدت إحداها للزحف على دنقلة ، والثانية على دارفور والثالثة بقيادة المهدى نفسه للزحف على الخرطوم . وكان على الجنرال هيكس أن يواجه ذلك الموقف ويهاجم الثورة في كردفان نفسها .

كانت منطقة الشاطئ الأيسر للنيل حتى فاشوده تجتاحها الثورة ، ولم يكن فيها أي مكان يصلح لعمل تجمعات عسكرية إلا في الدويم. ولقد اعتقد هيكس في صحة الأخبار التي انتشرت في ذلك الوقت والتي تدل على نشوب خلاف بين قبائل البقارة والمهدى بخصوص توزيم الأسلاب والفنائم وقت سقوط الأبيض. وحاول أن يدخل في مفاوضات مع رئيس تلك القبيلة ودعاه لقابلته في الدويم . وكان يعتقد علاوة على ذلك بأن قوات الثوار مشتتة في أماكن عديدة ، فقرر نقل معظم قواته إلى النيل الأبيض فيا عدا ألني جندي يتركهم في الخرطوم. ولما كان حسين باشا قد تولى قيادة الجند التي كان عبد القادر حلمي قد جمعها على النيل الأزرق فقد كان من السهل السيطرة على أرض الجزرة بالقوات الموجودة على النيل الأبيض والأزرق . وقد كان في استطاعة هيكس في حالة هجوم المهديين من الغرب أن يضربهم عدافع

ولكن نجمعات كبيرة للثوار بدأت في الظهور حول الدويم وكان معظم رجالها مسلحين بالبنادق . وكانت القوات المرسلة من الخرطوم قد بدأت تصل في النيل الأبيض . أما هيكس وسليان

 <sup>(</sup>۱) المحفوظات التاریخیة عابدین : السودان ۲/۱ – ۹ – برقیة من
 هیکس فی ۲۲ من مارس سنة ۱۸۸۲

باشا وبقية الضباط، فقد اصطحبوا معهم المدافع الرشاشة على ظهر السفن إلى قوه ، ولكن اضطر إلى أن يستقل الباخرة البردين في يوم ١٠ من إبريل ويقوم بعملية استكشاف، ولسكن الثوار هاجمو الباخرة من الشاطئين (١) ، وكان من نتيجة هذا أن أبرق هيكس إلى القاهرة مقدما صورة سوداء عن الحالة في السودان، فذكر أنه ليس لدنه إلاجرانة عشرين نوما ، وأن البلاد التي حطمتها الحرب لا تستطيع أن تعطى لجنوده ما يقتانون به، وذكر أن الكاتبات الإدارية للجيش تسودها الفوضى ، وأن الجنود كانوا يلبسون أسمال بالية ، وأنهم لم يتقاضوا مرتباتهم منذ شهور عديدة . وحتى السفن كانت تحتاج إلى إصلاح وايس لديها الوقود اللازم ، وعلى أى حال فإن عددها لم يكن كافياً لنقل المؤن والذخائر ، بغض النظر عن مهمتها الأساسية ، وهي الدفاع عن الملاحة في النهر والساهمة في إخضاع الشاطئين.

وعلى أى حال فإن هيكس قد تمكن من أن ينتصر على قوات الثوار فى أواخر شهر أبريل وقتل خمائة منهم ، فاعتقدت سلطات القاهرة أن هذا الانتصار سيؤدى إلى تهدئة الحالة فى السودان . وفى نهاية شهر مايو عادت القوات المصرية إلى الخرطوم ، بعد أن تركت حاميات فى : قوه ، وسنار ، وواد مدنى على النيل الأزرق .

<sup>(</sup>۱) المحفوظات التاريخية (عابدين) : السودان ۱ / ۳ – ۷ – برقية هيكس إلى وزير الحربية و البحرية في ۱۶ من أبريل سنة ۱۸۸۳

كان الجنرال هيكس في أثناء هذه العمليات رسل رقيانه إلى ممثل الحكومة البريطانية في القاهرة . ولقد خشى اللورد جرانفيل من أن يكون ممنى هـذا أن يأمل الجنرال أو القنصل العام البريطاني في القاهرة أو الحكومة المصرية في أن تقوم انجترا بالساعدة في مسألة السودان ، ولذلك فإنه لفت نظر السير ادوارد ماليت إلى أن الحكومة البريطانية : « ليست مسؤولة بأى شكل من الأشكال عن العمليات التي تقوم مها الحكومة المصرية في السودان ولا عن تميين الجنرال هيكس أو أفعاله (١) ». ولما عاد هيكس إلى إرسال برقية للسير إدوارد ماليت بذكر فها أنه يشمر بأن موقفه غير طبيعي بجاه سليان باشا نيازي القائد العام الذي لم يقبل أن تكون وظيفته اسمية ، ويطالب عنحه القيادة العامة الرسمية - قام القنصل العام البريطاني بتحويل هذه البرقية رأساً إلى شريف باشا ناظر النظار وناظر الخارجية مدلاً من أن يحولها إلى الجنرال بيكر رئيس هيكس المباشر ، وانتهز هذه الفرصة لكي يبلغه أرن الحكومة البريطانية « لا تقع عليها أنه مسئوليه (٢) » عن العمليات التي تقوم بها

<sup>(</sup>۱) الورد جرانقيل إلى السير ادوارد ماليت في ۷ من مايو سنة F.O. 141/171. No 99.

<sup>(</sup>۲) السير ادوارد ماليت إلى اللورد جرانڤيل في ۲۲ من مايو مَنة ۱۸۸۲

الحكومة المصرية فى السودان ولا عن تعيين الجنرال هيكس أو أفعاله .

كان اللورد دفرين قد سافر من القاهرة وفهم الجنرال هيكس أنه لن يحظى بأى تأبيد من أنجلترا بعد ذلك . فكتب إلى دفرين في القسطنطينية يشكو من السلطات المصرية التي لا تنفذ أوامن ومن تأخير وصول الإمدادات ووسائل النقل المطلوبة ، ومن فرار بعض سريات الجنود المشاة وانضامها للثوار . ولم يكن هيكس يأمل في أن يسير صوب كردفان قبل نهاية شهر سبتمبر ، ولم يكن كبير الأمل في نجاح الحلة . والظاهر أنه لم يكن هناك من يعطف على هذا القائد ، وكان شبه منسى حتى مر الحكومة التي استخدمته ، وحتى تأييد اللورد دفرين له لم يكن أكثر من تأييد شخصي ، ولم تكن له أى قيمة فعلية أمام قرار وزارة الخارجية البريطانية . كان من الجلى أن اللورد جرائڤيل قد صمم على عدم محريك ساعد بدعوى عدم رغبته في التدخل في شئون السودان . وهكذا ترى أن الإنجليز – بعد أن حلوا الجيش المصرى في العام السابق وأصدروا أمرهم للقاهرة ببيع الأسلحة والذخائر ونظموا مهاقبة دقيقة على نشاط الحكومة الخديوية – نجدهم قد رفضوا مساعدة هيكس في القضاء على الثورة المهدية ، بل إنهم رفضوا حتى إعطاء نصائحهم أو الاستماع لما يدور في السودان . وكانت هذه

السياسة سبباً فى إغضاب ممثلى انجلترا فى القاهرة وسبباً فى النقد. المر الذى بدأ المحافظون بوجهونه للوزارة .

كتب اللورد كروم، يقول: « يظهر أن اللورد جرانفيل قد اعتقد أنه سيخلى نفسه من كل مسؤولية فعلية بمجرد إعلانه أنه غير مسؤول. إن مسؤولية الحكومة البريطانية في إدارة الشئون المصرية لا تتوقف على بعض الجلل التي تكتب في أحد التقارير لكي تنشر في كتاب أبيض. ولكنها كانت قائمة على أساس أن الحكومة البريطانية كانت تحتل البلاد، وأن عدم مقدرة السؤولين من الأهالي كانت واضحة، وأن العالم التمدين قد ألتي على عاتق انجلترا المسؤولية التي لم يكن في استطاعتها أن تتخلص منها ما دام الاحتلال قائما . . . فبدلا من أن يعترف اللورد جرانفيل بمناصر الموقف، نجده يحتمي وراء تنازل خيالي عن المسؤولية لم بكن إلا مجرد أماني دبلوماسية وبرلانية » (١) .

وكتب السير أوكلاند كلفن وهو أحد الإنجليز الآخرين المسؤولين في مصر في تلك الفترة : « مهما تكن آراء الوزارة البريطانية فقد كان لمصر مصالح قوية في حملة هيكس وكانت انجلترا مسؤولة عن مصر . وإذ كان إدخال السودان في المشروع الحاص بتسوية المسائل المصرية أمناً يثير المضايقة ، فلقد كان من

<sup>(1)</sup> CROMER; Modern Egypt. London, 1908. Vol II. PP. 366-367.

الواضح أمام الحكومة التي تحملت مسؤوليات مصر أن أية تسوية تتناسي عامل السودان لن يكون لها طابع الانسجام "(1). ولقد ادعى بعض الكتاب أن سياسة اللورد جرانفيل هذه كانت تتفق مع سياسة جلادستون الذي كان يعتقد أن الشعب السوداني «شعب يناضل من أجل حريته » ولهذا لم يكن يود نتيجة لهذا الاعتقاد أن يجبر هذا الشعب على الخضوع لحكم (أجنبي) — ولحكن الواقع أن هذا الاعتقاد لا يستند إلى أسس منطقية ، إذ أن جلادستون لم يحترم نفس المبادئ والنسبة لمصر ولشعب مصر ، وستكذبه تصرفاته القادمة الخاصة بالسودان نفسه .

## مجهيزات الحمد

استمر الجنرال هيكس في تجهيز الحملة رغم جميع المصاعب التي اعترضته ورغم بأسه من قرار وزارة الخارجية البريطانية الخاص بعدم التدخل في شئون السودان.

كانت الحالة المالية في السودان تدعو إلى اليأس ، إذ أن الخزانة لم يكن بها إلا ٤٠٠٠٠٠ جنيه ، ولم يكن من الحكمة جع الضرائب من الأهالي في ذلك الوقت ، فاضطر شريف باشا — الضرائب من الأهالي في ذلك الوقت ، فاضطر شريف باشا — رغم سوء الحالة المالية في مصر نفسها — إلى أن يضع تحت

<sup>(1)</sup> COLYIN: The making of modern Egypt. London,... 1906. P. 36.

تصرف حكومة السودان ١٤٧٠٠٠٠ جنيه كانت مي كل ما عكن للخزانة المصرية في ظروفها القائمة أن تدفعه للسودان ، ولكن حالة القوات العسكرية لم تكن أقل سوءاً من حالته المالية . إذ أن عدد جنود الحكومة كان أقل بما يجب لبده حملتها على كردفان ، خصوصا وأن هذه الحملة كانت مضطرة إلى الاعتماد في تموينها على الخرطوم مما يحتم عليها الاحتفاظ بخطوط مواصلاتها سليمة ، وحراسة قوافل التمون حراسة قوية . كان عدد قوات الحكومة في الخرطوم لا تزيد على ٢٠٠٠ ولا يصلح منهم للخدمة إلا ٥٠٠٠ه، خصوصا وأنه لم يكن من الحكمة سحب حاميات النيل الأزرق أوالنيل الأبيض، فإذا اضطرت القيادة إلى تميين ألفين لحراسة خطوط المواصلات فلن يبتى لها إلا ٢٠٠٠٣ جندى فقط للسير إلى كردفان في الوقت وفي الظروف التي كانت تتطلب عشرة آلاف على الأقل . كان من الضروري إرسال إمدادات جديدة للسودان خصوصا وأن « نتيجة الهزعة – كما قال هیکس - لن تکون مجرد ضباع دارفور و کردفان بل ضیاع سنار ورعا الخرطوم نفسها (۱) ».

رأى القنصل العام البريطاني آنه من المستحيل على الحكومة المصرية دفع النفقات اللازمة للسودان ، وأن العمليات المقترحة

 <sup>(</sup>۱) المحفوظات التاريخية (عابدين) : السودان ۱ / ۲ – ۲ – برقية
 هيكس في ۲ من يونيو سنة ۱۸۸۲ .

مهددة بأن تفشل فشلا جسيا ما لم تنفذ على نطاق واسع وما لم يكن من الجيش مجهزاً مجهزاً جيداً ، وتساءل عما إذا لم يكن من الستحسن أن تتدخل وزارة الخارجية البريطانية في الشئون السودانية وتعطى لهيكس تعليات توجهه فيها إلى أن يقتصر على العمليات الدفاعية في المناطق الواقعة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق (۱) . ولكن الحكومة البريطانية كانت تصر على عدم إعطاء أي رأى أو أية نصيحة ، وقررت أن تاقي المسؤولية على كاهل الحكومة الصرية بعد أن تأكدت من أن هذه الحكومة مقيدة تماماً من الناحية المالية .

اجتمع مجلس الوزراء في القاهرة وقرر إرسال إمدادات لا تتعدى ثلاثة آلاف جندى إلى السودان توفر من بعض الحاميات التفرقة ومن بين رجال الرديف إجابة لنداءات هيكس، كا أنها قررت أن ترسل له مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه حتى نهاية العام لنفقات هذه القوة الجديدة .

قرر هيكس إذاً أن يقوم بحملته ولكنه عاد وشكا إلى الحكومة المصرية المصاعب التي يلقاها من الموظفين في الخرطوم، وطلب إرسال تعليات محددة تجبرهم على إطاعة أوامره خصوصاً

<sup>(</sup>۱) مالیت إلی جرانثیل فی ه من یونیو سنة ۱۸۸۲ F.O. 141/174. No 210.

فى شئون تنظيم الحملة ، ثم طالب بتعيينه قائداً عاماً وإلا فإنه يتخلى عن كل مسئولية خاصة بالحلة ويعود للقاهرة . وكانت الحكومة الخديوية تؤيد الجنرال هيكس في السودان، وكان شريف بأشا قد أرسل منذنهاية شهر مابو بتعليات إلى الخرطوم تقضى بإطاعة أوام، ، ولكن إعطاء القيادة العامة رسمياً لجنرال أجنى مسيحي كان عملاً غير لائن نظراً لأهمية الناحية الدينية في ثورة السودان. وعلى أى حال فإن شريف كان مستمداً لنكرار أوامم، للسلطات المصرية بالخرطوم — فلما تدخل السير إدوارد ماليت في الموضوع نتيجة لطلب هيكس وافق شريف باشا وأصدر أمره بتعيين سليان نیازی - الذی کان وجوده بضایق هیکس – فی منصب حاکم عام سواحل البحر الأحمر، وأخذ علاء الدين مهام منصبه الاسمية علاوة على حكومة عموم السودان . ولم تكن مهام الحكومة · العامة في الخرطوم من النواحي الإدارية والمالية تسميح لعلاء الدين بالوقت اللازم للتدخل الفعلي في الشئون المسكرية مما يعطى للجنرال هيكس حرية العمل . ولكن الدور الدى لعبه القنصل العام الإنجليزي في هذا الموضوع جعل جرانفيل يكتب إليه بأنه ليست هناك حاجة لتذكيره بأن انجلترا لا تتحمل أى مسؤولية تخص أمور السودان، وأنه من الضروري على هيكس أن يفهم بأرب السياسة البريطانية تتلخص في الامتناع عن التدخل في أعمال

الحكومة المصرية في تلك البلاد (١).

رضخت الحكومة المصرية لتدخل القنصل البريطاني وتسلم الجنرال هيكس برقية من الخديو في ٢٠ أغسطس يبلغه فيها تعيينه قائداً عاماً على الحملة السودانية الموجهة إلى كردفان مع منحه رتبة فريق وجميع السلطات المسكرية اللازمة ويبدى أمله في نجاحه في القصاء على الثورة ونصيحته له بالتعاون مع الضباط المصريين (٢٠). ورغم المصاعب التي كانت تصادف هيكس في السودان ، فإن الحكومة الإنجليزية قد أشعرته أنها لن تعطيه أي تأييد. ذلك أن القنصل المام الإنحليزي في القاهرة - مع تهنئته لهيكس بالترقية -لفت نظره إلى أنهذا القرار هو قرار مصرى بحت، وأضاف أن سياسة الحكومة البريطانية مي الامتناع إلى أقصى درجة ممكنة عن التدخل في أعمال الحسكومة الصرية في السودان. وهكذا كان على هيكس أن يتقدم إلى كردفان على رأس قوات لا تحترم قيادته وهو يشعر في مفس الوقت أن حكومته لن تعطيه أي تأييد فها يقوم به .

#### مصير حملة هيكس :

كانت خطة الجنرال هيكس تتلخص في السير جنوباً بحزاء

<sup>(</sup>۱) جرانثیل إلى مالیت فی ۸ من أغسطس سسنة ۱۸۸۴ F.O. 141/172. No 187.

<sup>(</sup>٢) المحفوظات التاريخية (عابدين) : السودان :- ١ / ٢٠ – ١

النيل الأبيض حتى الدويم بقوة تبلغ ١٠٠٠٠ جنــدى منها ٠٠٠ ر٨ من المشاه و ١٠٤٠٠ من الفرسان مع بطارية مدافع ميدان. كروب وبطاريتين من مدافع الجبال وبطارية مدافع رشاشة ( توردنفيلد ) وقافلة إمداد من ٠٠٠ره جمل ، تم عبور النيل الأبيض . والآنجاء إلى باره ماراً في منطقة خصبة ثم مواصلة السير حتى الأبيض . وكان المراقبون يعتقدون في نجاح هـذه الحملة نظراً لتجهيزها بالمدفعية ، وعلى أسوأ الفروض كانت تستطيع التقهقر وتعود إلى قاعدتها في الخرطوم . بدأت الحملة سيرها في يوم ٩ سبتمبر ثم لحقها هيكس وعلاء الدين في يوم ٢٧ سبتمبر ، ولكن سرعان مانجد أن هيكس يقرر في آخر وقت تنيير خط سير الحلة ويفضل اتباع طريق آخر يقع إلى الجنوب من الطريق الأول ، رغم أنه كان أطول منه بحوالي مائة ميل ، إلا أنه كان يأمل أن يجد الماء متوفراً على هذا الطريق الجديد. وكان هيكس يأمل أيضاً في مقابلة « مك آدم » أحد مشايخ منطقة تقلى ويضمه إلى الحلة مع رجاله . ولهذا فضل هيكس هذا الطريق الجديد رغم طوله ومروره في مناطق تكثر فيها الأعشاب والنابات. وقرر هيكس إقامة ست فقط للمحافظة على خطوط مواصلات الحملة .

سارت الحملة في شكل مربعات وكانت المه ات والجمال في وسطها . كان هذا التشكيل يقلل من أضرار المفاجآت ، ولكنه أجبر الحملة على السهل المحافظة على هذا أجبر الحملة على السهل المحافظة على هذا

التشكيل في السير لمدة طويلة ، وعلاوة على ذلك فإنه كان يجعل الحلة هدفاً وانحاً أمام الهاجمين . وقد نتجت عن ذلك فوضى بين الجنود ولم يكن من السهل عليهم عند وصولهم إلى آبار شات أن يجدوا فصائلهم وسرياتهم أو كتائبهم . فقامت مشادة بين هيكس باشا ومساعده حسين باشا بشأن هذه الفوضى ومسئوليتها ، ولكن هذا الأمركان يدل على أن الجنود كانت غير مدربة على السير بهذا التشكيل لمسافة طويلة ومتعبة . وعلى أى حال فإن هذه المشادة قد انتهت باتخاذ قرار يحرم تنفيذ أى أمر إلا بعد الموافقة عليه من الحاكم المام ومن الضباط العظام . وكان معنى هذا عدم الاعتراف بقياة هيكس في الميدان وتحمل قواد الوحدات جيماً النتائج والمسؤليات المترتبة على العمليات الحربية .

استمر سير الحملة وفي زريقة اكتشفوا أن المياه قليلة فقرر مجلس الضباط العظام أن إقامة النقط العسكرية على طول الطريق أمم غير لازم، إذ أنه سيسهل على الثوار مهاجتها من ناحية ، ولن تكون فعاله في ضمان وصول التموين من ناحية أخرى ، علاوة على أن الحملة ستضعف نتيجة لاقتطاع هذه الفصائل منها ، ولذلك فينهم وافقوا على عدم المحافظة على خطوط مواصلات الحملة مع الدويم ، ووافق على ذلك كل من علاء الدين وهيكس ، ولقد ضل الدليل الطريق قبل عجيلة وقاسى الرجال من التعب ومن العطش وانتشر وا يبحثون عن المياه وأصبح الجيش في حالة لا تسمع له

والدفاع عن نفسه . وما أن أعلن الفرسان عن وجود بئر قريبة حتى هرول إليها الجنود وتسابقوا في الشرب منها بينا عاد كل من هيكس باشا وحسين باشا يؤنب أجدها الآخر . توفرت المياه بعد بجيلة ، ولسكن المدافع كانت قد أهملت وامتلاً تبالرمال. ولقد أراد الأدلاء تفادى المروز في إحدى الغابات ولكن الكولونيل فارجوهار أصرعلى ضرورة السير في خط مستقم فسادت الفوضي نظراً لمدم تمكن الرجال من السير في تشكيل مربعات في داخل الغابة ، ثم أَخذ الرجال يتهمون الجنرال الإنجليزي بوضعهم في ذلك المكان ليسهل القضاء عليهم . كما أن الأدلاء ضاقوا عماملة الضباط الإنجليز لهم خصوصاً أن هيكس كان قد أمن بتقييدهم بالسلاسل إن الزم الأمر، فشكوا لملاء الدين الذي بدأ في توبيخ هيكس بدوره. وكانت هذه هي حالة الحلة عندما هاجمها المهديون في اليوم التالي . ولم يكن من السهل بطبيعة الحال على أية حملة في تلك الظروف أن تصمد في معركة حربية أو إن تستطيع حتى الدفاع عن نفسها ، فإذا أضفنا إلى ذلك ضعف روحها المعنوبة وقلة تدريبها وسنوء الضبط والربط وطبيعة البلاد وأهمية المغاجأة تأكدنا أنها حملة كان مقضياً عليها لا عالة.

كان المهدى يعرف أخبار الحلة وتحركاتها قبل تركها الخرطوم. وكان قد أرسل بعض قواته لردم الآباد على طريق الحلة قبل أن تصل إليها . وكانت هناك قوات أخرى تسير وراء الحلة والمكنها

كانت لا رَغب في مهاجتها إلا بعد أن تطول خطوط مواصلاتها ويفعل فيها التعب فعله . وفي الوقت نفسه يرسل إليهم منشورات توكد الأمان لمن أراد التسليم وتهدد بالموت البقية الباقية . وعند كاشخيل كان على الحلة أن يجتاز منطقة عملوءة بالغابات ، ثم وقتم الهجوم الرئيسي لأنصار المهدى بالقرب من شيكان . وكان عدد م يقرب من من ٢٠٥٠ لم يمت منهم إلا مائتين أو ثلاثمائة أما جنود يقرب من ٢٠٠٠ لم يمت منهم إلا مائتين أو ثلاثمائة أما جنود الحكومة فقد انتشرت الأخبار بأنه قضى عليهم ما عدا بضع مئآت وقمت في الأسر ، وكان هيكس وعلاء الدين وكل الضباط العظام من بين القتلى ، ووقعت كل الأسلحة والمهمات في أيدى الثوار .

### نتائج الغضاء على مملة هيكس :

أصبح الهدى بعد هذا الانتصار مسيطراً على كل السودان الغربي دون أى منازع . وانقطعت مواصلات حامية الخرطوم العنيرة مع حامية بحر الغزال التي كانت تحت قيادة «لبتون بك» وحامية دارفور التي كانت تحت قيادة « سلاتين بك» وما أن وصلت أنباء القضاء على حملة هيكس إلى سلاتين قرب مهاية شهر نوفير ، حتى أعلن جنوده وضباطه رفضهم مواصلة الحرب ضد الهديين . فني يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ استسلم أمام « زقل » وهو الأمير السوداني الذي عينه المهدى حاكماً على دارفور . وانتقلت المدينة بأكلها إلى أبدى الثوار

دون أى مقاومة ، وزادت المهمات والأسلحة والذخائر الموجودة فيها من قوة الثورة السودانية .

ولقد اقتنى لبتون أثر سلاتين ، وسار معظم شيوخ السودان ورؤسائه صوب المهدى يقدمون له الولاء وأصبح المهدى مسيطراً على السودان .

لم تصل إلى القاهرة ولندن أخبار من هيكس طوال شهر سبتمبر. وفى خلال تلك الفترة وصل السير ايقلين بارنج ( نورد كروس فيما بعد ) إلى القاهرة لكي يحل محل السير ادوار ماليت في منصب القنصل العام البريطاني وأخذ يستعد ليكون منها حقلا لتحاربه ، ولينفذ بها جانباً من السياسة الإنجليزية الأمبريالية. بدأ السير إيقلين باريج عمله في القاهرة بأن شكا إلى لندن أن مصروفات السودان تكون عبثاً ثقيلا على كاهل الحكومة المصرية ، وأنها قد تزيد في العام التالي من ٥٠٠٠ر١٠٠٠ جنيـه إلى ٥٠٠٠ر٣٠٠ أو ١٠٠٠ر ٢٠٠٠ . انتقد بارنج إذن سياسة الحكومة الخديوية في النواحي المالية ، ونسى أن مصر تدفع نفقات جيش الاحتلال البريطاني فيها . كان يعيب على حكومة مصر إنفاق جزء من. ميزانيتها لمحاولة الاحتفاظ بأملاكها الإفريقية في نفس الوقت الذي. يمرف فيه أن عودة الأمور إلى نصابها في السودان ستقضى على

<sup>(</sup>۱) السير ايڤيلين بارنج إلى اللور د جرانڤيل في ۲۲ من اكتوبر منة ۱۸۸۲

الخسارة التي تتكبدها الميزانية المصرية في السودان ، وبالتالي ستساعد على تحسن حال المالية المصرية .

أما الحكومة المصرية فكانت قلقة لانقطاع أخبار هيكس عنها ، وقلقة من أخبار انتشار الثورة في غربي السودان وشرقيه . كان المهدى قد حاول منع وصول الإمدادات المصرية للخرطوم عن طريق سواكن — بربر ، وعين عنمان دقنه أميراً وقائداً للثوار في شرق السودان . وقد نجح هـذا القائد في تجميع القاتلين في أركوبت وبدء مهاجمته لسنكات وسواكن نفسها . ثم قضي على ١٥٠ رجلا من بلوكات النظام في شهر أكتوبر كانو! قد حاولوا الخروج من سواكن إلى سنكات . ونظم عنمان دقنه قواته التي بلنت أكثر من ٥٠٠٠ره مقاتل ، وحاصر سنكات وقرر مهاجمة طوكر وأرسل أحد قواده لمهاجمة كسلا. وفي ٣ نوفير هنم الثوار ٥٠٠ جندي حكومي في موقعة التب وقتاوا عدداً كبيراً منهم واستولوا منهم على ٣٠٠ بندقية ، وكان قنصل أنجلترا الذي اصطحب هذه القوة من بين القتلى . وساد الذعم في سواكن ، وحضرت إحدى السفن البريطانية إلها للمحافظة على « الرعايا البريطانيين وحمايتهم إن لزم الأمر ». أما عن غرب السودان فقد أ كد جيجلر باشا عند مروره بالقاهرة أن هزعة هيكس باشا

« سينجم عنها وقوع الخرطوم في أبدى الثوار (١)» . فانتهز بار بح هذه الفرصة لكي يشرح لحكومته ضعف الحكومة الخدوية التي لا تستطيع مواجهة الحالات الطارئة خصوصاً وأنها أرسلت إلى السودان كل رجل قادر على حمل السلاح تقريباً فيا عدا القوات الموجودة تحت قيادة السير إيڤيلين وود (الجيش المصرى الجديد) وقيادة الجنرال بيكر ( بلوكات النظام ) . وكاد يكون مؤكداً أن مصر ، في حالة القضاء على جيش هيكس ، ستفقد كل السودان ما لم تصلها معونة من الخارج . كما أنه لم يكن من السهل تحديد ذلك المكان الذى تستطيع القوات المصرية أن تتقهقر إليه وتقف فيه بحيث تتمكن من الدفاع عن مصر نفسها من هجات الأنصار. وقد رأى بارنج أن الحكومة الخدوية قد تعرض أحد حَلين للنسألة السودانية وعمل على إقفال الباب أمامها في كل منهما. الافتراض الأول هو أن تعرض على انجلترا إرسال قوات بريطانية أو هندية ، ولكنه نصح بأن تأم الحكومة المصرية قواتها بالانسحاب من السودان إلى نقطة عكن الدفاع عنها . والافتراض الثاني هو أن تطلب إرسال جزء من جيش الجنرال وود إلى السودان ، ولكن بارنج أصر على ضرورة بقاء هذا الجيش في مصر نفسها متدرعا بقرب سحب جزء من الحاميات البريطانية

<sup>(</sup>۱) السير ايڤيلين بار تج إلى جر انڤيل في ۱۹ من نوفمبر سنة ۱۸۸۳ . F.O. 141/175. No 529.

منها . ولقد كان لهذا التحايل أكبر تأثير على اللورد جرانفيل الذي أبرق في اليوم التالي: لا لا نستطيع إعارة ضباط إنجليز أو هنود. لا تشجع الضباط البريطانيين على التطوع. دعوة القوات التركية للسودان لن تكون في مصلحة مصر . إذا سئلت قانصح بترك السودان في حدود خاصة (١) » . ولكن أنجلترا لم تشأ أن تطبق سياسة الإخلاء على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن إذ أنها أمرت قائد عطة الهند الشرقية بالمحافظة على سلطة الحكومة المصرية في سواكن ومصوع والمواني الأخرى في البحر الأحمر وأرسلت له وحدات بحرية جديدة لتمزيزقوته هناك. وهكذا نرى أن انجلترا قد عزمت إلى أنخاذ سياسة على سواحل البحر الأحمر تختلف عن سياستها في وادى النيل وسيترتب عليها نتائج متباينة بطبيعة الحال. فبينا يحرص انجلترا على سلامة طريقها إلى الهند، إذ بها تعمل على إهدار حقوق مصر في وادي النيل.

وصلت قرارات الحكومة البريطانية إلى القاهرة فى نفس الوقت الذى تأكدت فيه أخبار القضاء على حملة هيكس. ولقد أجمع المسئولون البريطانيون فى القاهرة (٢) على أن آخر انتصار

<sup>(</sup>۱) جرانڤيل إلى بارنج في ۲۰ من نوفمبر سنة ۱۸۸۳ F.O. 141/178. Tél. No 99. Chypher.

<sup>(</sup>۲) وهم سير إقلين بار تج القنصل العام لانجلترا والحنرال ستيڤنسن القائد العام لحيش الاحتلال البريطاني وسير إقلين وود سردار الحيش المصري.

المهدى هو بالفعل مصدر مهديد لمصر وأن المهديد سيزداد في حالة وقوع الخرطوم في يده وهو أمن بداغير بعيد الاحمال، ولذلك فإمهم أوصوا حكومتهم بتأخير إجلاء الحاميات الإنجليزية الموجودة في مصر عنها(١).

قضت هزيمة جيش هيكس على هيبة الحكومة الخديوية . وعلى المكس من ذلك بجد الزعماء الوطنيين في المنتي يباركون هذا الانتصار ، مثلهم في ذلك مثل جانب كبير من الصحافة الحرة التي كانت معادية لبقاء الإنجليز في مصر.. واعتقد الأحرار أن في استطاعة المهدى أن يزحف بأنصاره إلى مصر في وقت تستطيع فيها البلاد أن تقوم بثورة جديدة وتنفض عن نفسها قوات الاحتلال وقوأت الرجعية . توقع الرأى العام العالمي في هذه الفترة نهاية الاحتلال البريطاني لمصر على أمدى المحررين الوطنيين . ولكن النقسام المصريين بين عناصر وطنية وعناصر موالية للخدو من ناحية ، ونقص تنظيم العناصر الوطنية نفسها من ناحية أخرى ، علاوة على فقرهم في السلاح ووسائل الدعاية ، كان كل ذلك مما يصعب معه بل مما يجعل من الستحيل قيام مثل هذه الحركة الثورية . خصوصاً وأن ضعف الجيش المصرى وعدم كفايته للدفاع عن مصركان هو ما يتعلل به الإنجليز لإطالة مدة احتلالهم لمصر.

<sup>(</sup>۱) بارتج إلى جرانڤيل في ۲۶ من نوفمبر سبنة ۱۸۸۳ F.O. 141/175. No 547. Ext. Tél. No 175.

#### جمعة ببكر باشا في سواكن :

ما أن وصلت أنباء هن عة قوات الجنرال هيكس إلى القاهرة حتى قررت الحكومة المصرية بذل كل مجهود المحافظة على الخرطوم ولإعادة فتح الطريق بين سواكن وبربر . وذلك بأن تجمع فى الخرطوم جميع القوات الموزعة فى المديريات المختلفة بعد سحب حاميات دارفور و بحر الغزال ومديرية خط الاستواء (مجموعها خسة آلان ) وتحافظ بها على الخرطوم وسنار التي كان وجودها ضرورياً لتموين الماصمة السودانية . وكانت تسمى من ناحية أخرى إلى إرسال قوة تبلغ ألفين من بلوكات النظام و ١٠٠٠٠ من الأعماب إلى سواكن المحافظة على الطريق مع بربر مفتوحاً للمواصلات (١) .

ول كن الحكومة البريطانية بدأت نفصح عن سياسها فذكرت أنها ترى أن الحكومة المصرية ستكون أكثر حكمة لو أنها اقتصرت على عمليات دفاعية ، ثم اجتمع رؤساء السلطات البريطانية في القاهرة وقرروا أنه سيكون من الصعب على مصر أن تبقى في السودان وأنه سيكون من الضروري — بعد تقهقر الحاميات المصرية إلى الحرطوم — أن تنسحب إلى مصر نفسها وألا تبقى في

<sup>-</sup> ۱۸۸۳ من نوفمبر سنة ۱۸۸۳ - ۱۸۸۳ من نوفمبر سنة ۴.O. 141/175. No 542 ext. Tél No 172.

الخرطوم إلا الوقت اللازم لإعام عملية التجمع ، ولكنهم في الوقت نفسه رحبوا بفكرة احتفاط مصر بسواكن لاستخدامها كقاعدة للعمليات في المستقبل (١) . أي أنهم أوجدوا المبردات اللازمة ليكي تستند إليها وزارة الخارجية البريطانية في رغبتها بقصر العمليات الحربية على الدفاع عن مصر نفسها .

ازداد الموقف سوءا في شرق السودان مما قدم الفرصة للإنجليز المتحرى لجماية سواكن . أما الحكومة المصرية فإنها عينت حسين باشا خليفة مديراً عاماً على برير ودنقلة ومنحته رببة ميرميران وصممت على إرسال بيكر باشا بقواته إلى سواكن للمحافظة عليها ، وعزمت على تميين الزبير رحمت لقيادة قوات البدو المرسلة إلى تلك المدينة . وليكن الحكومة الإنجليزية اعترضت على تميين الزبير في سواكن ، وذلك لمارضة جمية منع الرقيق في لندن . وكان الزبير في حقيقة الأمم قائداً ووطنياً سودانياً له قيمته ، وليكن من الواضح أن انجلترا كانت تخشى من قيادته للجنود لا على الخديو وحده بل على بقائها هي نفسها في مضر ، ورغم أن بارنج قد شرح لوزير خارجية انجلترا أنه ليس من المدالة أن بارنج قد شرح لوزير خارجية انجلترا أنه ليس من المدالة أن بتدخل انجلترا الآن وتعارض في مسألة خاصة هي تميين الزبير فإن

۱۸۸۳ بارنج إلى جرانڤيل في ۲۲ من نوفمبر مسنة ۱۸۸۳ (۱) F.O. 141/178. Tél No 181. Conf. Cypher.

جرانفيل قد رد عليه بأن هذا التعيين لا غير مناسب من الناحية السياسية (١) » .

وكان الربير باشا قد باشا قد وجه في أثناء ذلك نداء إلى رؤساء الثوار في شرق السودان يطلب فيه منهم العودة إلى طاعة الحكومة . وكان الزبير يعرف الطابع الديني للثورة ويقدر أن من اللياقة عدم ذكر إرسال الجنرال بيكر إلى سواكن نظراً لأنه مسيحي وأجنى ، ولكنه أعلن لرؤساء الثورة أنهم يستطيعون الوصول إلى أرفع المناصب في الحكومة وضرب المثل بنفسه الذي صار تميينه « قائداً عاماً للقوات المصرية » . ولكن القنصل العام البريطاني في القاهرة تدخل ولفت نظر شريف بإشا إلى الألقاب التي ينتحلها الزبير رحمت لنفسه عما اضطر شريفاً إلى أن يؤكد له رسمياً أن الزبير يعرف تمام المعرفة أنه سيكون تحت قيادة الجنرال بيكر (٢) . وفي اليوم التالي أصدر الخديو مرسوماً بتعيين بيكر باشا في السودان وتكليفه بتهدئة الإقليم من سواكن إلى بربر والمحافظة على المواصلات فيه . كان عليه أن يعمل على كسب شيوخ القبائل المختلفة لطاعة الحكومة بالطرق السلمية قبل أن يستخدم العنف

۱۸۸۳ من دیسمبر سسنة ۱۸۸۳ (۱) جرانڤیل إلی بارنج فی ۱۳ من دیسمبر سسنة ۴.O. 141/178. Tél. (private.).

معهم . وذكر له أنه سينضم إلى قوات بلوكات النظام الخاضعة له كتائب من السودانيين بقيادة الزبير باشا الذى سيكون تحت إمنه هو ، أى بيكر ، فعليه أن يستفيد من نفوذ ذلك الضابط الوطنى وحسن سمعته عند السودانيين . وفى تعليات سرية صدرت فى نفس اليوم أوصى الحديو بيكر باشا بعدم القيام بأى عمليات حربية قبل أن تصله الإمدادات تحت رئاسة الزبير باشا ، وعليه أن ينظم الأمور فى سواكن ويحصنها ويعمل على تدريب الجنود ورفع روحهم المعنوية قبل الدخول فى المركة . وأن لا يدخل المركة أبداً إلا إذا كانت جميع الظروف مواتية (١) . وتدل هذه التعليات على أن الحديو نفسه لم يكن يثق فى أى عملية يقوم بها الجنرال الإنجليزى ما لم يصل الزبير رحمت إلى شرق السودان .

وعلى أى حال فقد وصل الجنرال بيكر إلى سواكن فى أواخر شهر ديسمبر ولم تكن أخبار الخرطوم مثيرة للذعر، إذ أن مخازنها كانت تحتوى على تموين يكنى أهلها وحاميتها لمدة سنة كما أن كميات كبيرة من القمع كانت تصل من سنار . ولكن هذا لم يأن الحكومة الإنجايزية عن أن تبدأ فى تنفيذ سياستها الفملية الخاصة بفصل السودان عن مصر – بعد أن أجبرت الحديو على أن يظهر عجزه ويستنزف موارده فى محاولة إبقاء الوضع الرجى.

<sup>(</sup>۱) تعلیمات الحدیوی لیبکر فی ۱۷ من دیسمبر ملحق بتقریر بارنج الی جرانفیل فی ۲۸ من دیسمبر سنة ۱۸۸۲ F.O. 141/175. No 630.

# الفصل الخامس الفصادية الإجبارية

#### شريف باشا وطلب العود من تركيا :

وضحت معالم السياسة الإنجلزية إزاء السودان بعد القضاء على حملة هيكس باشا ، وضح أن سودان وادى النيل لم يكن يهم الحكومة الإمجليزية بنفس الدرجة التي تهمها بها موانى البحر الأحمر . فني نفس الوقت الذي تعللت فيه انجلترا بالمسألة المالية في في مصر وعارضت في إرسال الإمدادات للسودان ورفضت إعارة العسكريين من الإمجليز والهنود، وحالت دون تدخل تركيا في السودان – إذ اعتبرت أن وجود الجنود التركية في السودان أو على السواحل تهديد لوجود الإنجليز في مصر – في نفس هذا الوقت نجد أنجلترا تصمم على ادعائها المحافظة على سلطة مصر في موانى البحر الأحر بقدر تصميمها على عدم قبول أي تدخل من جانب تركيا على طول تلك السواحل. وكان الباب العالى قد أظهر رغبته في إرسال بعض القطع البحرية التركية إلى البحر الأحمر لمراقبة ومنع عبور أنصار الهدى إلى بلاد العرب، ولكن انجلترا اشترطت عليه ضرورة إعطاء تعليمات تقضى بالعمل المشترك مع البحرية الإنجليزية ، مما اضطر الباب العالى إلى عدم تنفيذ مشروعه حتى لا يعترف ضمناً بالسلطة التي منحما انجلترا لنفسها في الموانى المصرية .

وكانت السلطات المصرية مترددة في ذلك الوقت نظراً لوقوعها تحت إشراف الإنجليز من ناحية ، ولارتباطها بسيادة الباب المالى من ناحية أخرى ، فاقترح الخديو الالتجاء إلى الحكومة البريطانية حتى لا يثير غضب الإنجليز في الوقت الذي لا يضمن فيه مساعدة السلطان ، ولكن وزراءه كانوا يفضلون الالتجاء إلى السلطان وإرسال نداء له بطلب المساعدة ، وطلبوا من الحكومة الإنجليزية أن تتفاوض مع السلطات بشأن الشروط التي يمكن عقتضاها الحصول على مساعدة القوات التركية في السودان ، ولقد أراد شريف باشا كتابة مذكرة رسمية بهذا في السودان ، ولكن السير ايڤيلين بارنج أجاب بأنه ليس من الخصوص ، ولكن السير ايڤيلين بارنج أجاب بأنه ليس من الضروري القيام مذلك (1) .

كانت انجلترا تعلم أنها لا تستطيع - رسمياً - أن تمنع مصر من الالتجاء إلى الدولة ذات السيادة عليها وعلى السودان لطلب مساعدتها في إخاد ثورة في إحدى ولاياتها ، ولكنها حرصت في الوقت نفسه على أن تثير العراقيل أمام هذا المشروع ، وجاءرد

<sup>(</sup>۱) بارتج إلى جرانڤيل في ۱۲ من ديسمبر سسنة ۱۸۸۳. F.O. 141/175. No 597 Conf.

الحكومة الإنجليزية أنها لا تمانع في استخدام القوات التركية على شرط أن تدفع تركيا تكاليف هذه القوات ومن تباتها ، وأن بحدد استخدامها على السودان فقط ومن ميناء سواكن دون غيرها . وفي نفس الوقت «نصح» جراشيل وزراء الحديو بأن يصاوا إلى قرار بشأن «النصيحة» التي سبق أن أبداها ، وهي إخلاء جميع المناطق الواقعة إلى الجنوب من أسوان أو وادى حلفا ، وفي هذه الحالة تتمهد انجلترا بحفظ النظام في مصر والدفاع عنها كما هو الشأن في موانى البحر الأحمر(1).

أما شريف باشا فإنه رأى أن المسألة أهم من أن تسوى بمجرد توصيات شفهية من القنصل الإنجليزى أو وزارة الخارجية البريطانية ، فكتب مذكرة رسمية شرح فيها الأسباب القوية الى تمنعه من قبول تنفيذ السياسة البريطانية الخاصة بالسودان .

كانت أولى الاعتراضات المنطقية على مشروع إخلاء مصر السودان هي نص الفرمانات التي تحرم رسمياً على الخديو التصرف في الأراضي التي عهد إليه بإدارتها ، هذا إلى أن من حق مصر أن تتممن في النتائج التي ستترتب على هذا الإخلاء ، ذكر شريف باشا أن الحكومة لا زالت تحتفظ بسلطتها في السودان ما عدا مديرية كردفان والمناطق القريبة من سواكن ، أما باقي مديريات

<sup>(</sup>۱) جرانفیل إلی بارنج فی ۱۲ من دیسمبر سنة ۱۸۸۲ جرقیة خاصة جاصة ۲.O. 141/178. Tét. (Prisate).

السودان فكانت لاتزال في حالة هدوء . وكان برى أن معنى إخلاء السودان هو إعطاء كل الأقاليم الشرقية منه ومديريات بربر ودنقلة وكل وادى النيل من منابعه حتى النقطة التي ستنخذ حدوداً جنوبية لمصر ، إعطاء كل ذلك المهدى ، فيصبح سيداً غير منازع على كل تلك المناطق وإجبار القبائل التي كانت موالية لمصر أو مترددة بينها وبين الثورة على إعلان انضامها له أو اضطرارها إلى الخضوع لساطته . أما مصر فإنها ستضطر بعد ذلك إلى محاولة الدفاع عن نفسها خصوصاً وأن أقساما من قبائل العبايدة والبشاريين كانت تنتشر في المنطقة الممتدة من بربر إلى إسنا وقنا ، ولم يكن من السهل إقامة حدود ثابتة ما دامت هذه القبائل تنتشر في كل المنطقة . وهكذا نرى أن الحكومة المصرية ستحرم من حدودها الطبيعية التي تمكنها من الدفاع عن نفسها ، وستضطر إلى الاحتفاظ بجيش كبير لكي تدافع عن أمنها مما يتطلب نفقات باهظة ، ولذلك فإن الحكومة المصرية ترفض إخلاء الأراضي الى تعتبرها ضرورية جداً لأمنها ولوجود مصر نفسها(١).

ودافع الوزير المصرى عن أعمال مصر في السودان وفي قلب إفريقية . فهما كانت الانتقادات الموجهة ضد الإرادة المصرية في

<sup>(</sup>۱) مذكرة شريف إلى بارنج فى ۲۱ من ديسمبر سنة ۱۸۸۳ مرفقة بمذكرة بارنج إلى جرانثيل فى ۲۲ من ديسمبر سسنة ۱۸۸۳ F.Ö. 141/175. No 642.

السودان ، فإن الفضل يعود إلى مضر في تعريف العالم المتحضر بتلك الناطق، كما يمود الفضل إلىها أيضاً في تمكين الأوروبيين مرت تأسيس متاجر لهم في السودان ، والقيام برحـ لات الاستكشاف الجغرافية العلمية وفي إقامة بمثات التبشير المسيحية. وإن من الصعب إنكار مجهودات مصر في القضاء على تجارة الرقيق. وعلى أى حال فإن الحكومة المصرية تحتاج إلى معونة مؤقتة لقوة مسلحة تبلغ حوالي ٠٠٠٠٠ جندي حتى تستطيع استمرار عملها في السودان، وإعادة سلطتها والدفاع عن مصر نفسها . وسيكون على هذه القوة أن تعمل على فتح الطريق من سواكن إلى ربر ، وأن تبتى هناك لمدة محدودة تسمح لمصر بأن تجمع وتنظم القوات التي ستحل محلها . وأكد شريف باشا · للحكومة الإنجلزية أن الحكومة المصرية ليست لديها أية نية لإرسال حملة جديدة إلى كردقان، بل إنها ستقصر عملها على البقاء في الخرطوم حتى تطمئن على شرق السودان وتشرف على محرى النيل.

ولما كان الطابع الديني يظهر واضحاً في ثورة السودان، فإن الحكومة الحديوية فكرت في أن أفضل تدخل هو التدخل التركى، وهي لا تتوقع أن يرفض الباب العالى معاونتها خصوصاً بعد المساعدات المتكررة التي أرسلتها مصر لتركيا في حروبها العديدة، كما أن القضاء على الثورة السودانية تأمين لممتلكات

السلطان في بلاد العرب وطرابلس من انتشار بذور هذه الثورة إليها . وأخبراً فإن الحكومة الخديوية لا تفكر في انخاذ هذا الإجراء ضد رغبة انجابرا ، بل إنها ترغب في الوصول إلى اتفاق مع الحكومة الإنجليزية بشأنه ، سواء قبلت الحكومة الإنجليزية مفاوضة تركيا فيه نيابة عن مصر أو سمحت لمصر بالتفاهم رأساً مع الباب العالى .

أرسل القنصل المام البريطاني في القاهرة افتراحات شريف المنا إلى لندن معلقاً عليها بأن السياسة التي أوصت بها الحكومة البريطانية هي أفضل سياسة تتبع في تلك الظروف العصيبة ولكنه أظهر في نفس الوقت بوضوح أن وزراء مصر لن يقبلوا أبداً تنفيذ سياسة الإخلاء . ولذلك فإنه يقترح تغيير وزارة شريف وتكليف وزير آخر أكثر مهونة منه بتأليف وزارة جديدة ، وذلك بإبلاغ الحديو أن انجلترا تصر على اتباع سياستها ، وأنه إذا كان الوزراء القائمون لا يرغبون في تطبيقها فلا مناص من تغييرهم . .

كان من الطبيعي أن يأسف بارنج على ترك شريف للوزارة ، وكان لا يضمن العثور على وزير آخر يقبل هذه السياسة ويكون قادراً على تنفيذها . . كان يرى أن خروج شريف باشا من الوزارة أمر في غير صالح البلاد ولكنه الوسيلة التي لا مناص منها لتنفيذ سياسة الإخلاء . وأخيراً أبدى القنصل العام البريطاني أنه لا يشق سياسة الإخلاء . وأخيراً أبدى القنصل العام البريطاني أنه لا يشق

فى تلك الظروف فى الضباط والموظفين المصريين ، فأوصى بإرسال ضابط بريطانى له سلطة واسعة إلى الخرطوم ، ونصح بإعطائه كل السلطات اللازمة لإخلاء حاميات السودان ، ووضع أحسن الترتيبات المكنة للحكم الجديد فى تلك الأقاليم (١).

وصلت مذكرة شريف باشا إلى وزارة الخارجية البريطانية مصحوبة بتمليق القنصل المام البريطاني في القاهرة . وكان على الوزارة الإنجليزية أن تتخذ قراراً بشأنها ، وترددت في ذلك بمض الوقت ، فأسرع بارنج بإرسال برقيات تثير القلق على الوضع في تلك الأقاليم مدعياً فيها أن سلطة مصر قد أصبحت مهددة حتى على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن ، وطلب من حكومته التدخل .

#### الضغط الانجليزي على مصر:

أبلغ الميجر هنتر مساعد القيم السياسي البريطاني في عدن و مائب القنصل في سواحل بلاد الصومال إلى القاهرة في أواخر شهر ديسمبر سنة ١٨٨٣ أن منليك ملك شوا يستعد للاستيلاء على هرر بمساعدة قبائل الجالا، وأن قبائل الصومال قد أعلنت أنها ستخرج المصريين من بربرة وزيلع . وكانت هذه البرقية

۱۸۸۲ من دیسمبر سسنة ۱۸۸۲ (۱) بارنج إلى جرانفيل في ۲۲ من دیسمبر سسنة ۲.O. 141/175. No 642.

تهدف إلى غرضين: الأول إظهار أن سلطة مصر على همرد وفى موانى خليج عدن قد أصبحت مهددة من جانب الأهالى والرؤساء الحليين ، بحيث أن هذه السلطة لا تستطيع البقاء دون أن يؤيدها وجود الإنجليز ، والنرض الآخر توجيه الإنجليز إلى التدخل للمحافظة على عدن نفسها ، إذ أن هذه القاعدة البحرية الهامة ومفتاح البحر الأحمر وعطة التموين الضرورية للمواصلات البحرية الإمبراطورية مع الهند واستراليا وشرق إفريقية ، تحتاج فى تموينها إلى شواطى الصومال المواجهة لها .

ولقد خدم وصول هذه البرقية إلى القاهرة أهداف سير ايقلين الربح التي كان يسمى إليها ، فأبلغها لحكومة الحديو وأرسلها بسرعة إلى لندن لكي يرى تأثيرها على حكومة الملكة - امبراطورة الهند - وكتب في نفس اليوم إلى جرائفيل بأنه سيكون من الأفضل - في حالة رفض قبول المعونة التركية أو الإنجليزية - أن تقرر الحكومة المصرية بدون أي تأخير تطبيق سياسة الانسحاب إلى مصر نفسها (۱)

وأحدث هذا التدخل نتيجته ، إذ أن الحكومة البريطانية للم تكن تتصور فقد زيلع وبربرة وصممت على أن يقوم الأسطول البريطاني بحاية المواني المصرية في خليج عدن . ولقد أيدت هذه

۱۸۸٤ مارنج إلى جرانڤيل في أول يئاير سنة ۱۸۸٤ (١) بارنج إلى جرانڤيل في أول يئاير سنة ٢٠٥٠. الله ٢٠٥٠.

الخطة كل من وزارات الخارجية والهند والبحرية ، وصدر أم بالإسراع بإرسال إحدى السفن إلى زيلع وبربرة وأن تبقى للدفاع عنهما وحمايتهما .

وليس علينا هنا أن نتساءل عن محة تقارير هنتر عن بلاد السومال ومدى صدقها ، ولا عن حسن نية بريطانيا بجاه تلك الموانى والسواحل التي ستحظى بجايتها من ناحية ، وتجاه سودان وادى النيل الذى كان على مصر أن تنسحب منه مضطرة من احية أخرى ، إذ أن الوثائق الإنجليزية تثبت قطماً كذب تقارير المبجر هنتر عن تهديد السلطة المصرية في موانى البحر الأحمر وخليج عدن ، وأن الوزارة الإنجليزية لم تعدل من سياستها في تلك المناطق عندما اتضح لها عدم صحة تقارير هنتر ، بل واصلت إصرارها عليها مما يثبت أنها سياسة ممسومة ، وما تقارير هنتر هنتر هنتر الإمرارة الإمرارة عنورة لتنفيذها (۱)

أما حكومة القاهرة فإنها أظهرت قلقها من برقية هندر وأرادت الاستفادة منها لنيل موافقة الحكومة الإنجليزية على مذكرة شريف باشا المقدمة في ٢١ ديسمبر والخاصة بطلب المدد

<sup>(</sup>۱) وصلت السفينة الحربية البريطانية وسفنكس إلى بربره فى يوم ۷ من يناير سنة ۱۸۸٤ و أبرقت إلى الأميرالية فى لندن : وإن كل شىء هادئ فى بربره .... وفى زيلع وفى الأقاليم المجاورة ، ولا يوجد هناك .ا يدل على بدء حدوث اضطرابات » .

S.P.Vol. 'LXXXIX, Egypt. No. 14. (1885) No.9 p.3. و لكن حكومة لندن لم تمر ذلك أي انتباه .

من تركيا ، وعاد شريف فشرح لا بجلرا من أخرى أن الحكومة مضطرة إلى الالتجاء بسرعة إلى الباب العالى لإرسال قوة تتألف من ١٠٠٠ر١٠ جندي إلى سواكن، وأبدت أنها في حالة عدم موافقة تركيا على هذا الطلب، ستضطر إلى إبلاغ الباب العالى أنها تميد إليه إدارة ساحل البحر الأحمر . وهكذا تستطيع مصر - بعد أن تمود حدودها إلى ما كانت عليه في عهد محمد على - أن بجمع قواتها المتفرقة في هرر وسواكن وتسحبهم صوب النيل، وبذلك تتمكن من أن تؤلف قوة تبلغ ٠٠٠ر١٥ جندى بعد إضافة الحاميات الموجودة في سنار وفي الخرطوم وبربر - وهي قوة كافية للمحافظة على النيل من الخرطوم وضمان أمن مصر نفسها(١). ولكن بارنج أكد أنه لا يمكن لمصر جمع أية قوة تمكنها من الدفاع عن الخرطوم وعرت مجرى النيل. وأن السياسة الإنجليزية قد تقررت في نفس الصورة التي وصلت إلى بارج في برقية جرانفيل يوم ١٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٣ والتي كان شريف يمرفها معرفة جيدة . وعلى أي حال فإن انجلترا قد أظهرت أنه ليس لديها أي مانع في أن يطلب الخديو إلى الباب العالى إرسال قوات إلى سواكن على شرط ألا يعمل ذلك على زيادة نفقات

<sup>(</sup>۱) شریف إلی بارتج فی ۲ من ینایر سنة ۱۸۸۶ ملحقة بتقریر بارنج إلی جرانڤیل فی نفس الیوم

F.O. 141/ 192. No II.

المالية المصرية وألا تضطر الحكومة الخديوية إلى تأخير اتخاذ قرار في مسألة تحركات قواتها في داخل السودان . ولقد وافقت الحكومة الإنجليزية على اقتراح شريف باشا الثاني وهو الخاص بإعادة ساحل البحر الأحمر وشرق السودان إلى الباب العالى في حالة رفضه تقديم المساعدة المسكرية لمصر . ولكن الحكومة الإنجليزية لم توافق على فكرة شريف الخاصة بالمحافظة على الحدود فيا وراء الخرطوم واتفقت في ذلك مع السير إيشلين بارنج . ولذلك فيا وراء الخرطوم واتفقت في ذلك مع السير إيشلين بارنج . ولذلك فيا المحكومة البريطانية لا تعتقد بأنه في القاهرة أبلغ شريف باشا أن الخرطوم وأنها توصى بتجميع القوات المصرية ثم سحبهم من الخرطوم وأنها توصى بتجميع القوات المصرية ثم سحبهم من الخرطوم يفسها ومن بقية المناطق الداخلية في السودان (1) .

وكأن من الضرورى لإنجلترا ألا تضيع الحكومة المصرية وقتاً في تقرير السياسة التي ستتخذها ، ولذلك فقد كان على القنصل العام البريطاني في القاهرة أن يصر أمام الخديوى ووزرائه على ضرورة تحديد العمليات السودانية وقصرها على إنقاذ الحاميات المتغرقة والدفاع عن مواني البحر الأحر حيث كان من المستطاع التأكد من معونة البحرية الإنجليزية .

وأخيراً فإن اللورد جرائفيل قد تعرض لمسألة تهم الخديو

<sup>(</sup>۱) جرانڤيل إلى بارنج في ۽ من يتابر سنة ١٨٨٤ F.O. 141/189. No 5.

بنوع خاص منذ بضع سنوات ، ألا وهى المحافظة على النظام والوضع القائم في مصر . لم يكن الخديو مجبوباً في بلاده . وقد نشبت ثورتان على حكمه : إحداها ثورة عماني في مصر والأخرى ثورة المهدى في السودان . كانت «رعيته » تهدد سلطته وتهدد أسرته وكان من المنطق ألا يتمكن الخديو من المحافظة على عمشه في حالة خروج الإنجليز . ولذلك فإن اللورد جراشيل قد وجه السير إيقيلين بارنج إلى أن يؤكد للتخديو أنه في حالة اتباعه السير إيقيلين بارنج إلى أن يؤكد للتخديو أنه في حالة اتباعه الحلالة (اللكة) ستكون مستعدة من ناحيتها لكي تساعده في الحلالة (اللكة) ستكون مستعدة من ناحيتها لكي تساعده في الحافظة على الأمن والنظام في مصر نفسها ، وأن تواصل حمايتها المحافظة على الأمن والنظام في مصر نفسها ، وأن تواصل حمايتها المواني البحر الأحر (١) » .

#### استفالهٔ شریف باشا:

عمل لورد جراشيل على إنهاء المناقشة بشأن المسألة السودانية ، وذلك بإلزام الحكومة المصرية باتباع (المشورة) البريطانية ، فوضع بذلك أحد المبادئ الأساسية للحكم البريطاني في مصر . كتب إلى بارنج قائلا: « إنني لست في حاجة إلى أن أظهر لك أنه من اللازم ، في المسائل الهامة التي تؤثر في إدارة مصر وأمنها ،

<sup>(</sup>١) الرثيقة السابقة .

أن تكون حكومة صاحبة الجلالة متأكدة ، ما دام احتلال البلاد المؤقت بالقوات الإنجليزية لايزال مستمراً ، من تنفيذ كل النصائح التى تعتقد أن من واجبها إعطاؤها للخديو بعد الإحاطة الشاملة بوجهة النظر المسرية . فيجب إفهام الوزراء المسريين وحكام الأقاليم بوضوح أن المسؤولية الملقاة حالياً على كاهل انجلترا تضطر حكومة صاحبة الجلالة إلى الإصرار على تنفيذ السياسة التى أوست بها ، وأنه سيكون من اللازم أن يوقف الوزراء والحكام الذين لا يتبعون هذا التوجيه عن القيام بأعمالهم »(١) . استفادت انجلترا إذا من هذا الوضع لإقرار سابقة تستند إليها في إدارة مصر لم تكن موجودة من قبل .

أسرع بارنج بإبلاغ هذا الإنذار البريطاني للخديو ولشريف بشا. وكان على شريف أن يختار بين مصالح الحديو التي قبل أن يدافع عنها حتى الآن وبين إخلاصه لبلاده ، ولكنه لم يتردد طويلاً فقدم استقالته في صبيحة اليوم التالي لتقديم النصيحة الإجبارية البريطانية وأشار إلى أنه إذا تخلت مصر عن السودان فإن السودان لن يتخلى عن مصر - تلك العبارة التي أصبحت مبدأ للمصريين في كفاحهم ضد المحتلين لوادي النيل.

وتمتبر استقالة شريف باشا إحدى الوثائق الهامة في التاريخ

۱۸۸۶ من يناير سنة ۱۸۸۶ F.O. 141/189 No 6 Secret

المصرى الحديث بشكل عام وفي تاريخ وحدة وادى النيل بشكل خاص . ذَكُرُ فيها الخديو أنه يعلم الظروف التي أجبرت الوزارة على محاولة الدفاع عن أعالى النيل عا في ذلك الخرطوم ، وأن الوزراء قد اعتبروا هذا المل ضرورياً لحماية مصر واطمئنان أهلها وأنهم كانوا يأملون الوصول إلى ذلك عن طريق التنازل عن شرق السودان وسواحل البحر الأحمر للباب المالي في حالة ما إذا اضطروا إلى ذلك ، وعن طريق تجميع كل القوات الموجودة في داخل وادى النيل . ولسكن أنجلترا لم تعتبر هذه الوسائل كافية ، وأعلنت لهم ضرورة تخليهم عن وادى النيل حتى أسوان أو وادى حلفا بشكل يجمل من هذه النقطة النهاية الجنوبية للحدود المصرية، كما أن السير إيڤيلين بارنج قد أبلغه علاوة على ذلك نص البرقية التي وصلته من اللورد جرانڤيل والتي يطلب فيها منه إبلاغ رئيس وزراء مصر أنه ما دام احتلال البلاد المؤقت بالقوات الإبجليزية لا يزال قاعاً فإن على المصريين تنفيذ نصائح الحكومة البريطانية فى كل المسائل الهامة ، وأن كل وزير لا يتبع هذا التوجيه مضطر إلى ترك منصبه . وكان شريف باشا قد أبلغ هذا الأمم للخديو أثناء انعقاد مجلس الوزراء . ولما كان الوزراء يعتقدون أن هذا البلاغ الإبجليزى يتعارض مع استقلال حكومة الخديو ومع مسئولية الوزراء أمام الخديو بما يتنافى والمرسوم الصادر في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ - لذلك فإن الوزراء قد قرروا أنهم أصبحوا غير قادرين على القيام بواجباتهم المهود بها إليهم وقدموا استقالهم . ولا شك أن هذا الموقف من شريف كان موقفاً وطنياً وقانونياً رائماً دافع به عن حقوق البلاد . ومن الطبيعي أن يؤيد الشعب وزراء الحديو في هذا الموقف ولكنه لم يصل إلى التأييد الذي قدمه الشعب لعرابي مثلاً . ولهذا نجد أن الأمم كان سهلاً أمام الإنجليز الذين كان عليهم أن يتصرفوا مع وزراء الحديو وهم يضمنون وجود محوة بينهم وبين الشعب .

وعلى أى حال فإن الموقف رغم ذلك كان فى منتهى الحرج والصعوبة أمام القنصل العام البريطانى . فإن مصر كانت لا تقبل سياسة إخلاء السودان ، ولكن الخديو قبل استقالة شريف وكلف رياض باشا بتشكيل وزارة جديدة . ولكن رياض باشا رفض القيام بهذه المهمة . وخاف القنصل العام الإنجليزى أن تستمر الأزمة الوزارية التي كان معناها عدم تنفيذ سياسة الإخلاء وعودة شريف باشا لتنفيذ سياسته هو . كان بارنج قد لمح من قبل لحكومة لندن بإمكان تعيين وزراء من الإنجليز فى القاهرة ولم تكن لندن لتهتم بهذا الموضوع ولكن بارنج كان مصمماً ولم تكن لندن لتهتم بهذا الموضوع ولكن بارنج كان مصمماً فى حالة صعوبة تأليف وزارة جديدة – على أن يشرف على إدارة منها تعليات جديدة . ولم يخف بارنج نياته وأعلنها للخديو الذى منها تعليات جديدة . ولم يخف بارنج نياته وأعلنها للخديو الذى

قبل في الحال واستسلم وأعلن أنه يقبل من كل قلبه سياسة إخلاء السودان بأكله وأنه يمتقد – بعد روية –أن هذه السياسة مى الأفضل لمصلحة البلاد الحقيقية . وأسرع الحديو باستدعاء نوبار باشا الذي كان يميل للإنجليز وكلفه بتأليف الوزارة . وقبل نوبار باشا هذا التكليف وأعلن أنه لن يحتفظ من السودان إلا بميناء سواكن .

من الواضح أن انجلترا كانت تتحكم في مصر وفي مصيرها منذخريف سنة ١٨٨٢ . كانوا قد قضوا على الحكومة « الفعلية » ولم تكن الحكومة لا الشرعية » إلا مظهراً . لم تمد هناك سلطة غير سلطة الاحتلال الإنجليزي ولا قوانين غير رغبات الإنجليز . كانت كل طبقات الشعب تمارض في سياسة إخلاء السودان. ولكن ذلك لم عنع نوبار باشا من قبول رئاسة الوزارة وبحمل المسؤليات التي كان يعرف أن التاريخ سيضعها فوق أكتافه . وهكذا أصبحت وزارته الجديدة تدل على المرحلة الثانية مرن مهاحل السياسة الانجليزية بعد معركة التل الكبير . كان نوبار قد أمضى الجزء الأكر من حياته في الدبلوماسية والمؤاممات وكان ينظر إلى الاحتلال الانجليزي لمصر على أنه مشاركة بين الإنجليز وبينه في حكم البلاد . كان قد قبل تأليف الوزارة لإخلاء السودان ولكنه كان يريد أن يترك مسؤولية هذا الأمم على كاهل

الإنجليز . كان مستعداً لترك كل المشاكل المالية والدولية للانجليز على أن يحتفظ هو بشئون وزارة الداخلية التى خضمت فى غالب الأحيان لرئيس الوزراء ، وبشئون وزارة المدل التى كان يعتبر نفسه خبيراً فيها . أما من وجهة النظر الإنجليزية فإن نوبار باشا كان يمثل عدة من إيا ، فكان يرغب فى « التعاون » مع الإنجليز فى الشئون الهامة مثل المالية والسودان والأشغال العامة . وكان شخصية غير مم غوب فيها من جانب فرنسا مما يضمن لا نجلترا عدم قيام مؤامى التعليما ، وكان من أنصار المراقبة الأوربية على شئون مصر ، وكان أرمنياً يعرف كل دخائل البلاد ويبغض الدولة شمانية ، وهذه كلها ضمانات هامة لا نجلترا .

ما أن ألف نوبار باشا وزارته حتى أرسل بتعلیات فی یوم اینایر سنة ۱۸۸۶ إلی الجنرال بیکر فی سوا کن یلغی فیه السماح له باستخدام القوة إن لزم الأم لفتح الطریق إلی بربر وأصبح علیه أن یستخدم الدبلوماسیة فقط فی ذلك ، وألغی الأم الصادر فی ۲۰ ینایر سنة ۱۸۸۳ الذی ألحق إدارة شئون السودان وملحقاته برئاسة مجلس الوزراء وألحقها بوزارة الحربیة من تاریخ وملحقاته برئاسة مجلس الوزراء وألحقها بوزارة الحربیة من تاریخ السودان لعمل اللازم نحو ترحیل کل النساء والأطفال والأهالی السودان لعمل اللازم نحو ترحیل کل النساء والأطفال والأهالی الذین برغبون فی ترك الخرطوم و إرسالهم إلی بر ، ولإصدار أمره

إلى قائد حامية سنار بالانسحاب إلى الخرطوم مع كل الموظفين والأهالى الذين يرغبون فى ترك المديرية ، وأن يبلغ نفس هذه الأوامر لسلطات بحر الغزال وخط الاستواء .

انتهت بذلك مرحلة حاسمة من مراحل السياسة الإنجليزية في السودان ، وستبدأ مرحلة جديدة مع الرجل الذي سترسله انجلترا لإخلاء السودان .

## الفصت التارس تنفيذ سياسة الإخلاء

#### امُنیار غردودد :

بق على الحكومة الإنجليزية بعد أن أجبرت الحكومة المصرية على قبول « نصيحتها » أن تجد الرجل الذي يستطيع تنفيذ هذه السياسة ويجلى القوات المصرية عن السودان ويفصل نهائياً بين شطرى الوادى .

كانت انجلترا تأمل فى استخدام غردون فى مصر منذ أوائل الاحتلال البريطانى ، ولكن السير ادوارد ماليت أجاب بأن حكومة القاهرة لن تقبل تميينه فى السودان إلا إذا طلبت لندن تميينه رسمياً ، أى إلا إذا أجبرت على تميينه ، كما أن غردون لم يكن يفكر صراحة فى خدمة مصر . وفى نهاية شهر نوفبر سنة ١٨٨٣ سأل اللورد جرانقيل السير ايقيلين بارنج عما إذا كان غردون يلزم الحكومة الحديوية ، وفى أى مركز وبأى طريقة ، كانت الأخبار قد أكدت القضاء على حملة هيكس ، وأصبحت سلطة الخديو من عزعة . ولكن حكومة القاهرة لم تكن لتقبل فكرة تميين غردون خص ما بسبب الطابع الدينى الذى امتازت

به الثورة السودانية ، إذ أن وضعه على رأس الحكم في السودان سيكون معناه انضهام آخر قبيلة موالية لمصر إلى المهدى ، كا ذكر المسير ايقلين بارنج الذي نصح حكومته بعدم إجبار مصر على هذا التعيين (۱).

كان غردون يفكر فى بداية عام ١٨٨٤ فى ترك الجيش الإنجليزى والدخول فى خدمة الملك ليوبولد ملك البلجيك الذى كان قد طلب إليه إدارة الكنفو . ولقد استغلت جريدة التايمز هذه السألة وأعلنت أسفها من عدم استفادة الإمبراطورية من خدمات هذا الضابط النشط . ثم كتبت جريدة « البال مال جازيت » فى يوم ٩ يناير مقالة استندت فيها إلى آراء غردون كرجل يعرف الشئون السودانية وطلبت فيها من الحكومة تغيير سياستها والمحافظة على الخرطوم ومحاولة الاستفادة من وجوه الخلاف التي قد تنشب بين زعماء الثورة ، وفي صفوف الثوار .

كانت آراء غردون إذاً متعارضة تمام التعارض مع سياسة حكومة لندن ، إذ كان غردون معادياً لسياسة إخلاء السودان ، وكان يطالب باستخدام الوسائل الحربية إلى أبعد مدى . كان لا يمانع في إخلاء المدريات السودانية المتطرفة مثل دارفور وخط الاستواء ، ولكنه كان يصر على ضرورة المحافظة على الخرطوم

<sup>(1)</sup> FITZMAURICE, Lord Edmond; life of granville. London, 1905. Vol. II. p. 381.

بأى عن . وكان رى أن السماح للمهدى بدخول الخرطوم لا يعنى مجرد عودة السودان إلى الهمجية ، ولكن يعني تهديداً مباشراً لمصر نفسها . وكان يمتقد أن الدفاع غن مصر عن طريق بحصين الحدود الجنوبية سيكون عديم الجدوى ، لأن بلاد العرب وسوريا وكل العالم الإسلامي سيهتز نتيجة لرحف المهدية وانتصاراتها. ولذلك فإن غردون قد نصح بإرسال رجل قوى – مثل السير صامويل بيكر - إلى الخرطوم مع قوات عسكرية هندية وتركية . كافية ، وأن يُزُوَّد عليونين من الجنبهات الاسترلينية . وكان يعتقد في سهولة القضاء على قوات المهدى إذا ما واجهتها قوات أحد الجنرالات البريطانيين . وعكن بعد ذلك إعادة احتلال المناطق المتطرفة مثل دارفور وخط الاستواء وإعادتهما تحت حكم السلاطين القدماء ، ووضع مجموع الأقاليم السودانية تحت حكومة متمدينة تستطيع القضاء على تجارة الرقيق مهائياً (١).

ولقد تساءلت جريدة « البال مال جازيت » عن السبب في عدم إرسال غردون إلى الخرطوم منهوداً بسلطات مطلقة ، وذلك للمفاوضة مع المهدى ولإنقاذ الحاميات ، وليحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من حطام السودان . وتسارعت المسحف إلى الاقتباس من هذا المقال ، وأخذت تطالب بضرورة إرسال غردون للسودان .

<sup>(1)</sup> STRACHEY, Lytton; Eminent Victotians. London, 1948. p. 264.

كانت آراء غردون هذه هي آراء المسكريين البريطانيين في الندن ، أي اللورد ولسلى قائد الحملة على مصر واللورد هارتنجتون وزير الحربية ، وكانت في ذلك تختلف عن آراء السلطات البريطانية في مصر نفسها التي كانت تساند السير ايڤيلين بارنج في ضرورة سحب القوات المصرية من السودان في أقرب وقت والتي وافق عليها جرانڤيل في لندن ، دون أن يفصح عن الخطوة التالية عليها جرانڤيل في لندن ، دون أن يفصح عن الخطوة التالية وعلى أي حال ، فقد أبلغ السير ايڤيلين بارنج حكومته أن مصر تحتاج إلى ضابط كفء للذهاب إلى الخرطوم مزوداً بسلطات تعتاج إلى ضابط كفء للذهاب إلى الخرطوم مزوداً بسلطات لتنفيذ الانسحاب ، واستقر رأى حكومة لندن على أن يكون هذا الرجل هو غردون .

أوصى كل من ولسلى وهارتنجتون ، اللورد جرائفيل بإرسال غردون للسودان فقبل وحصل على موافقة جلادستون ، واستدى غردون إلى الماصمة لسكى يتسلم تعلياته في يوم ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ . وتذكر لنا جميع الروايات أن غردون حضر في صحبة اللورد ولسلى وأنهم أفهموه أن سياسة الحكومة البريطانية هي التصميم على إخلاء السودان لأنها لا ترغب في ضمان الحكومة الجديدة في البلاد – وان المقابلة كانت قصيرة ، وأن كل شيء قد رتب في الحال وكان على غردون أن يسافر في الساعة الثامنة من مساء مفس اليوم إلى كاليه . ولكن تعليات اللورد جرائفيل إلى غردون

كانت وانحة ومختصرة ، ولم تكن تنص على تكليف غردون. ياخلاء السودان — إذ أنها كلفته بالمهمات التالية :

١ - كتابة تقرير للحكومة الإنجليزية عن الموقف الحربي. في السودان وعن الوسائل الواجب انخاذها لضمان سلامة الحاميات المصرية الموجودة وسلامة المدنيين الأوربيين في الخرطوم.

٢ - دراسة أحسن الوسائل لتنفيذ الجلاء من داخلية السودان وكتابة تقرير عنها، وكذلك عن طريقة ضمان سلامة الموانئ المصرية في البحر الأحمر وحسن إدارتها.

٣ - تخويله حق قبول أى مهمة أخرى تعهد له بها الحكومة المصرية ، كا سيبلغه ذلك السير ايقيلين بارنج ، وأخيراً فقد كان على غردون أن يصطحب معه الكولونيل ستيوارت وأن يتبع القنصل العام البريطانى في القاهرة الذي سيكون حلقة الاتصال بينه في الخرطوم وبين الحكومة الإنجليزية في لندن (١) .

وهكذا نرى أن جراشيل لم يصدر أمره لفردون بتنفيذ سياسة إخلاء السودان، ولكن كان على غردون أن يدرس أحسن الوسائل لتنفيذ الجلاء وأن يكتب تقريراً عنها، أى أنه

<sup>(</sup>۱) جرانڤیل إلی غردون وجرانفیل إلی بارقج نی ۱۸ من بینایر سنة ۱۸۸۶

كان مكافأ بمجرد مهمة استطلاعية . معنى هذا أن لندن قد ترددت فى حمل كل مسؤولياتها الناتجة عن هذا الإخلاء وفضلت أن تتركها على عاتق الخديو ووزارته الجديدة ، وهذا هو ما يفسر توجيه غردون إلى قبول كل مهمة أخرى تعهد له بها الحكومة الصرية .

ولكن الحكومة البريطانية لم تقدر خطر إرسال رجل مثل غردون إلى السودان حق قدره . ذلك أن أعمال هذا الجنرال السابقة وأخلاقه لم تكن بما تؤهله للقيام بمثل هذه المهمة . فقد كان غردون يضيق بالإشراف الرسمي عليه ، وكان طموحا إلى أقصى درجات الطموح . ولقد اختارته الحكومة بسبب خدماته السابقة في الصين وفي السودان ، دون أن يعرفوا بتفاصيل تجربته الأخيرة كقائد لقوات مستعمرة رأس الرجاء الصالح في باسو تولاند التي أظهر فيها عدم احترامه للسياسة التي رسمها الحاكم المام، ودخل في مفاوضات مع رؤساء محليين بطريقة تتنافى مع السياسة العامة للحكومة وتتعارض تعارضاً صريحاً مع الخطط الموضوعة (١). ولقــد أسف اللورد كبرلى وزبر المستعمرات الذى كان يعرف تفاصيل هـ ذه التجربة الأخيرة لفردون على أنه لم يحضر جلسة مجلس الوزراء التي اختير فيها غردون السودان ، إذ أنه كان

<sup>(1)</sup> LAGDEN. godfrey; The Basutos. London, 1909. Vol. II. pp. 534-535

لابد سيمارض كل المارضة فى ذلك . ولكن غردون كان قد بدأ مهمته .

### غردود فی مصر:

ترك غردون لندن لآخر من ، حيث ساد اعتقاد عام بأنه هو الرجل المنقذ الذي سيعالج أخطاء الماضي ويحل المشاكل السودانية ويعيد النفوذ البريطاني المزعزع إلى ماكان عليه من قوة . وأخذ غردون وهو يسافر في القطار في فرنسا يمد البلاغات التي ستذاع في السودان باسم الخديو تمهيداً لعرضها على حكومة لندن للموافقة علمها . وقد أكد فيها مبدأ إعادة الاستقلال السودان . ولذلك فإن غردون قد طلب تعيينــه حاكماً عاماً ، لمجرد كسب الوقت اللازم لتنفيذ الإخلاء . ولقد وافقت الوزارة الإنجليزية على هذه الوثائق ولسكنها تركت لمثلها في القاهرة أم التفاهم في التفاصيل مع غردون والاتفاق سوياً لأنه كان أعرف منهم بالظروف المحلية . شعر السير إيڤيلين بارنج أن مهمة الجنرال غردون كانت تنفيذية علاوة على كونها استشارية . وطلب أن عر غردون بالقاهرة ويتباحث معه ثم يسافر للسودان عن طريق النيل ، خصوصاً وأن الثورة كانت منتشرة في شرق السودان . فا أن وصل غردون إلى بور سعيد حتى وجد تعليات من الخارجية البريطانية بالذهاب إلى القاهرة والتشاور مع القنصل العام البريطاني .

وصل غردون إلى القاهرة في نوم ٢٤ ينابر سنة ١٨٨٤ ، واصطحبه القنصل العام البريطاني في اليوم التالي لرؤية الخديو، وتقرر إعداد فرمانين خدىويين : الأول موجه إلى غردون يعينه . فيه حاكماً على السودان ويكلفه بإعادة النظام والأمن إلى نصابهما في السودان. والثاني عبارة عن بلاغ موجه إلى الحكام والرؤساء والتجار في السودان يشرح أن الخديو قد قرر إعادة الاستقلال للأسر القدعة ولملوك السودان، ولما كان الخديو يعرف أن غردون باشا قد فاز بحب الأهالي عند إقامته بينهم (!!) ولما كان الخدىو يثق فى حكمته ومقدرته وحسن عزيمته بالنسبة للسودانيين فإنه برسله كمثل له منهوداً بسلطات تامة لسحب الموظفين والجنود الصريين وكل من له صلة بالحكومة المصرية من السودان، وذلك بالطرق السلمية والودية . وطلب الخديو من كل من حمل السلاح أن يلقيه وأن يعملوا في هدوء وسكينة على إقامة حكومة من اختيارهم تضمن رخاء البلاد وأمن الطرق بشكل يسمح باستمرار العلاقات التجارية بين شتى الوادى مما سنزيد في ثروة أهلية ويعمل على مدنيتهم ، وحتى تستمر صلات الود حسيما تأمر القوانين الإنسانية . وكان على غردون أن ينشر أيا من هذين الفرمانين حسما تقتضي الظروف.

لم يكلف الخديو إذا غردون بإقامة حكومة قوية في السودان بل إنه دعا السودانيين إلى تكوين حكومة من اختيارهم دون أن يتحدث عن سلطة غردون في تكوين تلك الحكومة .

دار الحديث في أول مقابلة وقعت بين السير إيڤيلين بارنج وغردون أمام نوبار باشا والكولونيل ستيوارت والسير إيڤيلين وود سردار الجيش المصرى – حول مسألة في غابة الأهمية: ألا وهي تفاصيل التعلمات المطاة لغردون ، خصوصاً وأن حكومة لندن كانت قد تركتها غير محددة مستكفية بتوجيهه لقبول أى مهمة أخرى تعهدله بها الحكومة المصرية. ورأى القنصل المام البريطاني أنه من الضروري أن بذكر غردون بأن مهمته الأساسية هي إخلاء السودان ، وهي سياسة لم يكن من السهل إقناع الحكومة المصرية بها ، ولذلك فقد كان على غردون أن ينفذ هذه السياسة وألا يغيرها بأي حال من الأحوال. ولقد كان لنردون الحق في الاحتفاظ بالقوات المصرية في السودان الفترة محدودة ومعقولة حتى يتمكن من تنفيذ الجلاء دون أن يعرض الأرواح أو المتاكات للأخطار (١) . ووضع القنصل

<sup>(</sup>۱) بارنج إلى غردون فى ۲۵ من يناير سنة ۱۸۸٤ وبارنج إلى جرانڤيل فى ۲۸ من يناير سنة ۱۸۸٤

F.O. 141/192. No 100.

الإنجليزي تحت تصرفه ٢٠٠٠ جنيه ووعده بأن يرسل إليه أي مبلغ آخر قد يحتاج إليه .

ولقد بقيت مسألة أخرى تحتاج إلى تفكير ، إذ أنه لم يكن هناك أسر قوية يستطيع أفرادها أن يتقلدوا السلطة اللازمة في دنقلة أو كسلا أو الخرطوم، أى المناطق التي تـكوَّن قلب السودان بمد سحب القوات المصرية منه . كان حكم الثوار راسخ القدم في دارفور ، ولم يكن من المستطاع تطبيق سياسة إعادة الأسر القديمة إلى مناطق السودان إلا في دارفور . أما في الخرطوم وهي مفتاح السودان فكان غردون شديد الرغبة في عدم إرجاعها إلى إدارة الباشاوات المصريين، وكان يتردد بين التنازل عنها أو عمني أصبح إعادتها لتركيا وبين إقامة نظام حماية بريطانية شديد الرونة عليها . ولم يكن في استطاعته أن يجسم هذه الأفكار إلا بعد وصوله للخرطوم ، ولكنها كانت تشغله بدون شك وهو لا يزال في القاهرة . وعلى أي حال فقد فكر منذ وجودة في القاهرة في أنه محتاج لرجل يحل محله بعد إنمام الإخلاء، وذلك لسكي يتولى السلطة بأى شكل، فكان من الضروري أن يجد رجلا « له اسم ونفوذ يفرضانه على الأهالي (١) » . وكان من نتيجة ذلك أن طالب غردون بتعيين الزبير باشا رحمت لـكي يعاونه في مهمته .

<sup>(1)</sup> DELEBECQUE, Jacques; gordon et le drame de Khartoum. Paris, 1936. p. 100.

هذا على الرغم من أن الزبير كان لا ينسى لغردون قتل ابنه حيما كان حاكماً عاماً فى الخرطوم . كان الزبير رحمت من أصل شريف وينتسب إلى الساسيين ، وقد تمكن بشجاعته ومقدرته وحزمه وثروته من أن يصبح من رجال السودان المعدودين . ولكن غردون كان قد أوصى حكومة القاهرة منذ سنوات خلت بإبعاد الزبير عن السودان بدعوى خيانته للخديو واشتراكه فى تجارة الرقيق فاحتجزته السلطات فى القاهرة ومنع من العودة للسودان رغم إعطائه معاشاً من الحكومة التى صادرت أملاكه . وكان غردون من ناحية أخرى لا يثق فى الزبير بل إنه كان قد أشار أخيراً بسجنه فى قبرص ، ولكنه عاد وغير رأيه هذه المرة وطلب اصطحابه معه إلى الخرطوم .

أراد غردون أن يستفيد من وجود ألزبير معه لا لعملية سحب القوات المصرية من السودان بالذات ، ولكن لإقامه نوع من الحكومة المحلية في الخرطوم تحت رئاسته و تخضع لسيطرة البريطانيين ، فأعلن أن السودان محتاج إلى هذا الزعيم السوداني قبل احتياجه إليه هو الجندى الإنجليزى ، وذكر أن الزبير هو الرجل الوحيد الذي يستطيع نفوده أن يعادل نفوذ المهدى و يجمل الزعماء السودانيين المنضمين إليه يهجرونه ، وهو الرجل الوحيد

الذي تستطيع انجلترا أن تحاول استغلال تدخله للوصول إلى تسوية لشئون السودان .

طلب غردون من السير إيڤيلين بارنج أن يرتب له مقابلة مع الزبير وفي حضور نوبار . وكانت هذه المقابلة التي وقعت في حضور ستيوارت ووود وواطسون عنيفة . لم يستطيع غردون إن يظهر أو يذكر المكان الذي عمكن العثور فيه على الأوراق الرسمية أو الخطابات الأصلية بين الزبير وابنه سلمان وهي التي كان غردون قد ادعى الحصول عليها وبني على ذلك حكمه بأن طلب من حكومة القاهرة إبعاد الزبير وأنهم إبنه بالمصيان وما ترتب على ذلك من إعدامه بعد محاكمة عسكرية في البدان ومن مصادرة أملاك أسرة الزبير وأموالها . ولقد اضطر السير إيڤيلين بارنج بمد هذه المقابلة إلى أن يكتب إلى حكومة لندن مبلغاً إياها أن غردون كان معجب بنشاط الزبير وبقيمتة خصوصا وأن له نفوذ كبير في السودان ويمتقد أن الظروف تجمل رجوعه للسودان أمراً مفضلاً . وما أن انسحب الربير من المقابلة حتى اتفق الجميع على أن صدره كان لا يزال مليئاً بالغل والحقد ضد غردون وانضم القنصل المام البريطاني إليهم في هذا الرأى، وكتب إلى جرانفيل مَاسِماً بعدم إرسال الزبير إلى السودان في ذلك الوقت نظراً لأن

حقده على غردون كان واضحاً (١).

وهكذا حرمت هذه النصيحة غردون من الرجل الوحيد الذي كان في استطاعته أن ينقذه وربحاً ينقذ الخرطوم والسودان كله . وفي نفس اليوم سافر غردون إلى الخرطوم وقد قدر عليه ألا يعود منها .

# رحل: غردود، إلى الخركموم :

اصطحب غردون معه عند سفره إلى الخرطوم الكولونيل ستيوارت الذي سبق أن زار السودان مستطلعاً (٢) وإبراهيم فوزى ياوره المصرى ، والأمير عبد الشكور أحد أقرباء سلطان دارفور السابق الذي أراد غردون أن عنحه حكم هذه المديرية لكي يعمل على تخليصها من أيدى الثوار ، وأخيراً فإن الجنرال السير چيرالد جراهام أحد أصدقائه المخلصين قد سافر معه حتى كرسكو وأعطى لنا صورة حية عن غردون الذي كان شديد الاعتداد بنفسه وواثقاً من أنه سيرتب كل الأمور في مدى ستة أشهر .

<sup>(</sup>۱) المناقشة والمشاده بين غردون والزبير انظر تقرير الجلسه في ٢٦ من يناير سنة ١٨٨٤

ملحق برسالة بارتبج إلى جرانقيل في ٢٨ من يناير سنة ٢٨٨٤ . F.O. 141/192. No 99.

<sup>(</sup>٢) انظر فيما سبق عن بعثة ستيوارت ص ٥١

كان الأمير عبد الشكور يعيش في القاهرة ، فاستدعته الحكومة الخديوية وأعطته كسوة مزركشة وطلبت منه مصاحبة غردون إلى السودان لاحتلال دارفور ودفعت له ٢٠٠٠ جنيه . كانت رحلته إذا جزءا من سياسة إعادة الأسر الحاكمة القدعة إلى السودان ، الأسر التي تستطيع أن تحتفظ بنوع من الولاء للخديو ولحبه الجدد البريطانيين . ولكن غردون كان يحتقر عبد الشكور « فكان غير مهذب ممه على ظهر الباخرة . . . مما اضطره إلى النزول في أسوان وإعلان عزمه على عدم متابعة السفر . ولكنه سافر حتى دنقلة حيث انتظر بضمة أشهر شم عاد مع أسرته إلى القاهرة » (١) .

أبرق السير ايڤيلين بارنج إلى لندن بعد سفر غردون إلى السودان معلناً أن غردون قد فهم جيداً أنه ذاهب إلى الخرطوم لتنفيذ سياسة الإخلاء، وانه اعترف بحكة هذه السياسة . ولكن الحقيقة هي أن غردون لم يكن قد قرر بعد اتخاذ أي سياسة معينة ، فإنا نرى أن برقياته الأولى متضاربة وكان يرسلها من كل محطة للسكة الحديدية ، أو محطة نهرية تصل إليها السفينة . والظاهر أن السير ايڤيلين بارنج قد اعتبر هذه البرقيات أموراً شخصية وليس لها من قيمة إلا الدلالة على الآراء التي كانت تدور

<sup>(1)</sup> STRACHEY, Lytton; Eminant Victorians. London 1948. p. 271.

في رأس غردون ، إذ أنه امتنع عن مناقشتها رسمياً .

ما إن دخل غردون السودان حتى اقتنع بأن تجارة الرقيق لم تكن هي العامل الوحيد في قيام الثورة المهدية ، بل إنها كانت ثورة تعتمد على عوامل عديدة ومتباينة رغم تعقيدها . اقتنع بأن هذه الثورة هي ثورة الشعب السوداني وليست ثورة تجاد الرقيق رغم أن هؤلاء الأخيرين يشاركون فيها بطبيعة الحال . وكانت فكرة إعطاء جنوب السودان – أي مديريتي خط الاستواء وبحر الغزال إلى ملك البلجيك تدور في رأسه . وكان يأمل في أن يقوم ليوبولد بضمها للكنفو ، ويضم لحسابه القوات المصرية الموجودة فيها ويعين غردون لإدارة تلك المناطق .

أبرق غردون بهذه الفكرة للقنصل البريطاني في القاهرة الذي أظهر قلقه وخشى أن بذهب غردون رأساً إلى تلك المناطق وأصدرت الحكومة البريطانية أمهما لغردون بألا يذهب إلى أبعد من الخرطوم (۱).

ثم نبتت فكرة جديدة فى رأس غردون واقترح على بارنج أن يذهب لقابلة المهدى ، ولن يسمع أحد عن أخباره لمدة شهرين إذ أن فى استطاعة المهدى أن يحتفظ به كوديعة فى نظير الزبير ،

<sup>(</sup>۱) جرانڤيل إلى بارنج في ۱۱ من فبراير سنة ۱۸۸٤ F.O. 141/198. Tél. No 79.

وبطبيعة الحال اضطر القنصل الانجليزي أن يحذر غردون من القيام عثل هذه المنامرات .

وصل عردون إلى بربر يوم ١١ فبراير وكتب إلى المهدى لم يكن يمرض عليه السلم ولقب سلطان كردفان . ولكن المهدى لم يكن في حاجة إلى أن يتقبل ذلك الإنمام عليه من أى شخص كان ، خصوصاً بعد أن فتح الإقليم وضم أهله للثورة وقضى على حملة هيكس التي أرادت التوغل فيه . وكان المهدى ثائراً على خديو القاهرة وسلطان القسطنطينية لايمترف لهم بأى سلطة على السودان ، فكان أمن تميينه في سلطنة كردفان أو الإنمام عليه بهذا اللقب من أحد كبار موظنى الخديو أمراً لا يتمشى مع المنطق ولا مع طبيمة الأحوال . وأخيراً فإن السودانيين كانوا يعرفون غردون حيداً ويعرفون حكومته وأخلاقه وأساليبه ، فضلا عن أن المهدى لن يقبل ولاية الحكم من يد مسيحى .

علم غردون وهو فى بربر بهزيمة قوات الجنرال بيكر بالقرب سواكن على أيدى الثوار . كان هذا القائد قد قام بعملية حربية رغم تعليات الحكومة الصريحة إليه ، وقام بها على رأس جنود غير مدربين ، واستخدم تشكيلات لا تتمشى مع طبيعة الأرض فكانت النتيجة هزيمة نكراء وفراره وعودته لسواكن بعد أن عقد معظم رجال الحامية وكمية كبيرة من أسلحتها . وكان معنى

هذا انتشار الثورة وانضام الأهالي إليها . واعتقد غردون في ذلك الوقت أن أحسن سياسة تتبع هي أن يلمح للمشايخ السودانيين بالسلطة وما قد يستفيدونه منها ، وعمل على إغرائهم بالكفاح ضد الثورة ، وذلك بأن يعلن لهم أن البلاد ستصبح منذ ذلك الوقت ملكا لهم . وكان يعتقد أن رؤساء القبائل سيدافعون عن أملاكهم الخاصة أحسن من دفاعهم عن أملاك الحديو .

استدعی غردون حسین باشا خلیفة مدیر بربر و کبار الشیوخ فی المنطقة المجاورة ، وقرأ علیهم الفرمان السری الذی أعطاه له الخدیو والخاص بإخلاء السودان . و کانت هذه هی الطامة الکبری إذ أن رجال القبائل الذین کانوا مضطرین إلی استمرار إعلان ولائهم لحکومة مصر - لحایة مصالحهم أو لخوفهم منها - قد شعروا بأنهم لم ینتظروا منها بعد الیوم مکافأة ولا معاقبة . وأفقدهم غردون کل حجة قد یتذرعون بها لقاومة الثورة ،

وبالرغم من ذلك فإن غردون قد عمل على تأليف لجنة للدفاع عن بربر مع حسين خليفة فى نفس الوقت الذى أعلن فيه نية مصر على إخلاء السودان . وقد اجتمعت هذه اللجنة فى يوم ١٢ فبراير وأعلنت استلام غردون للسلطات العليا فى السودان (١) . كان هذا العمل يتضارب ويتعارض تعارضا تاما مع إبلاغه السودانيين

<sup>(</sup>۱) بارنج إلى جرانڤيل فى ۱۲ من قبر اير سنة ۱۸۸٤ F.O. 141/192. No 176.

حقهم فى اختيار شيوخهم ورؤسائهم ، ولم يكن لهذا البلاغ أى معنى فى الوقت الذى يحاول فيه خلق سلطة جديدة تحت إشرافه هو الرجل الأجنبى ، وإشراف رجال العهد القديم الذى قامت الثورة ضدهم .

ترك غردون بربر واصطحب معه عدداً من الشيوخ ذوى النفوذ وأعلن رغبته فى رؤية الأهالى فى كل محطة لكى يتحدث إليهم ، فعمل مأمورو المراكز على جمع الأهالى لرؤيته والتصفيق له ، حتى وصل إلى الخرطوم على ظهر الباخرة « التوفيقية » فى يوم ١٨ فبرابر .

حاول غردون أن يظهر للآهالي أنه جاء بعهد جديد سعيد للسودان ، فأمن بالإفراج عن المسجونين وبإشعال نار كبيرة أمام سراى الحاكم ، وبحرق سيجلات الضرائب التي لم تكن قد جمت و « الكرابيج » التي كانت تستخدم في جمعا . ثم قام بعد ذلك بعمل غير متزن ، وليست له أى سلطة في القيام به مما أغضب كل من حكومتي القاهرة ولندن عليه ، ذلك أنه أعلن الساح بمودة تجارة الرقيق في السودان ، وكان هذا العمل يتعارض مع المعاهدات التي وقمتها كل من مصر وتركيا وانجلترا ، والتي أصبحت قاعدة ثابتة في القانون الدولي لإجماع الدول على الاعتراف بها وعلى ضرورة تطبيقها . وعلى أي حال فإن غردون كان يحاول بهذا العمل تقليل حب السودانيين للمهدية ، ولكنه أثبت جهله بهذا العمل تقليل حب السودانيين للمهدية ، ولكنه أثبت جهله

بالأسس والموامل التي قامت عليها ثورة السودان، إذ أن من أراد إعادة تلك التجارة من بين السودانيين ، لم يكن إلا أقلية ضدَّلة .

ومع وصول غردون للخرطوم نجد أننا قد بلغنا حلقة جديدة من حلقات السياسة الإنجليزية في السودان ، وسنرى موقف الحكومة الإنجليزية في السودان ، في وقت وجود غردون في الخرطوم .

# الفصت لم التامج غردون في الخرطوم

# ممه: مراهام الأولى فى سواكى :

وصلت إلى سواكن في نفس الوقت الذي وصل فيه غردون الله الخرطوم عملة عسكرية إنجليزية بقيادة الجنرال جراهام . وكان كل من إعلان عودة حرية تجارة الرقيق في الخرطوم ونزول القوات البريطانية في سواكن افتئاتاً على سلامة أراضي الدولة الشانية والوضع القائم بها ارتكبته أنجلترا رغم أنها كانت إحدى الدول العظمي التي تمهدت بالمحافظة عليه بل وبضانه .

ذكرنا أن الحكومة الخديوية كانت قد قررت بعد هنيمة الجنرال هيكس إرسال قوات من بلوكات النظام بقيادة سرتوريوس باشا إلى سواكن ، وقوات من السودانيين بقيادة الربير رحمت على أن توضع كلها تحت قيادة الجنرال بيكر إرضاء للحكومة الإنجليزية . ولقد فتش الخديو شخصياً على القوات السود قبل سفرها ، ولكنها سافرت وحدها دون أن يصحبها الربير . كان رجال تلك القوة قد طالبوا بدفع مهتباتهم قبل سفره ، الربير . كان رجال تلك القوة قد طالبوا بدفع مهتباتهم قبل سفره ،

وقام الزبير رحمت بطلب مبلغ ٠٠٠٠ جنيه لصرف مه تبات رجاله فاتهمته وزارة الحربية بعدم إطاعة الأوام وأمه بالسفر فوراً ، وكان الإنجليز قد رتبوا أمم أسره على باخرة حربية بربطانية أقلعت إلى جبل طارق .

وكانت التعليات المطاة للجنرال بيكر تحرم عليه القيام بعمليات حربية ، ولكنه خرج من ترنكيتات في نوم ٤ فيراير على رأس ١٠٠ر٣ جِندى ومعه ستة مدافع . وكانت جنوده غير مدربين واستخدم تشكيلات لا تتمشى معطبيعة الأرض ، وانتهى الأمن بهزعة نكراء فقد فيها معظم رجاله وأسلحته ، خصوصاً أن معظم المصريين قد رفضوا إطاعة الأوام لإطلاق النيران على السور النين ، بل لقد انضم عدد منهم إلى قوات الثوار في أثناء المعركة نفسها (١) . عاد بيكر إلى سنواكن ليجدها في حالة من التُورة العامة وَكَان دُلكُ بسبب وجود القوات السودانية ، ولذلك فإن الأميرالية أمرت بإنزال فرق من مشاة الأسطول في سواكن وعملت على إرسال بعض الوحدات المصرية إلى السويس، والوحدات السودائية إلى مصوع . ثم أجتمع مجلس الوزراء البريطاني وقرر إرسال قوات بريطانية إلى البحر الأحمر وذلك

<sup>(1)</sup> JACKSON, H.C.; Osman Diguz. Lendon, 1926. p. 66

لإنقاذ طوكر ، وصدرت الأوامى برقياً إلى القائد العام لقوات الاحتلال البريطانية في مصر بإرسال قوات للدفاع عن سواكن تحت قيادة الجنرال جراهام . وقد وصلت إلى سواكن بين ١٩ و ٠٠٠ فبراير ، أى في نفس الوقت الذي وصل فيه غردون إلى الخرطوم .

# ترخل الحسلومة العمّانية :

اضطرت الحكومة النركية أمام هذا الموقف إلى أن تعلن أنها لا تقبل الساومة في مسئولياتها الخاصة بالدفاع عن سلامة ممتلكاتها الصرية ، والتي يدخل السودان وملحقاته ضمن نطاقها ويكون جزءًا لا يتجزأ مها . أشارت الحكومة التركية إلى أن الفوضي السائدة في السودان تعود إلى ضعف القوات المسكرية وإلى تضايق المصريين من استمرار الاحتلال البريطاني لبلادهم ، وأكدت أنه لا يمكن القضاء على هذه الفوضي الذي استفحلت والثورة التي انتشرت إلا باستخدام هيبة السلطان وسيادته . إن السودان في غابة الأهمية بالنسبة لمصنر ، وأعلنت تركيا أنها السؤولة عن رفاهية الأهالي في كل تلك الأقاليم وعن إعادة الحياة إلى نصابها الطبيعي باستخدام سلطة الدولة صاحبة السيادة .

شكا عربني باشا وزير الخارجية التركية من السياسة التي تقوم بها انجلترا في السودان وذكر أنها لم تعرض على حكومت - المبالي المعالي - قبل تنفيذها ، فقام غردون بإعادة مجارة الرقيق

فى تلك البلاد رغم أن القوانين العنائية تلفيها طبقاً للاتفاقات الدولية . كما أنه قد عهد إليه بإخلاء السودان من الإدارة والقوات والأهالى من المصريين . وأخيراً فإن تدخل بريطانيا المسكرى على سواحل البحر الأجر عفردها قد ظهر واضحاً فى حملة الجنرال جراهام . كما أن السفن الحربية البريطانية كانت لا تزال راسية فى موانى مصوع وزيلم وبربرة ، وأرسلت بعثة إنجليزية إلى يوحنا ملك الحبشة لفاوضته فى شئون الحدود المصرية — الحبشية . وقذلك عهد إلى السفير التركى فى لندن بأن يقدم مذكرة إلى اللورد جراشيل يبلغه فيها أن مسئولية المحافظة على النظام فى الأراضى المصرية تقع على كاهل الدولة صاحبة السيادة ويطلب الأراضى المصرية تقع على كاهل الدولة صاحبة السيادة ويطلب منه تفسيرات عن البلاغ الذى أصدره غردون فى الخرطوم بشأن إعادة تجارة الرقيق (١) .

كانت الدولة العبانية تهدد بأنها لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأمرى بأى الأبدى أمام هذا الموقف ، ولكنها لم تقم في حقيقة الأمرى بأى عمل إبجابي ولم يكن في مقدورها القيام به إذ أنها لم تحاول الاستفادة من التنافس الدولي القائم بين الدول العظمى . ولقد ادعت الحكومة البريطانية أن بقاء قواتها على سواحل البحر

را) عريق باشا إلى السفير التركي في لئدن في ١٩ \$ ٢ من فبر ار ١٨٨٤ منة ١٨٨٤ S.P. Vol. LXXXVIII, Egypt. No 12 (1884). [c. 3969]. No 128.

الأحر لا يستدعي قلق الباب العالى أكثر من بقاء حامياتها في الإسكندرية وفي القاهرة نفسها وعلاوة على ذلك فإن الأقاليم السودانية كانت ملحقات مصرية ، وكانت أنجلترا تعرف أنه يكني لإرضاء تركيا أن تقوم هي – أي انجلترا – بإصدار تصريح رسمي تعلن فيه أن بقاء القوات البريطانية في السودان عائل بقاء قواتها في مصر ، فهو مؤقت في الحالتين ولا يتعرض للسيادة العمانية أو يؤثر فيها . ادعى اللورد جراشيل أن هذه الممليات هي عمليات دفاعية أمام هجوم الثوار وأنها عمليات مؤقتة ، وأن الحكومة البريطانية مستعدة عجرد انتهائها منها لأن تتفاوض مع السلطان للوصول إلى حل أو اتفاق شامل لكل المسائل المصرية ، وأنها لا تهدف بها إلا الإسراع في تجدة الحاميات والواني المصرية بقصد المحافظة على سلطة الخدىو طبقاً لفرمانات السلطار وعاصرة المنطقة الثائرة منماً من امتداد الثورة إلى الضفة الأخرى الأحر (١).

### الفتال في السوداد الشرقي :

وفى أثناء هذه الفترة جمع الجنرال جراهام قوة تبلغ ٠٠٠ر٣ جندى فى ترنكيتات بقصد السير إلى طوكر وجهزها بالدافع

۱۸۸٤ من فبرابر سنة ۱۸۸٤ (۱) جرانفيل إلى دافرين في ۲۹ من فبرابر سنة ۱۸۸٤ (۱) S.P. Vol. LXXXVIII, Egypt No 12 (1884). [c. 3969]. No 174 and 175.

الرشاشة. وكان عنمان دقته قد سيطر على كل شرق السودان السيدلائه على طوكر، وساعده ذلك على السيطرة على كثير من القبائل. ولقد بلغ عدد الثوار في التب ٢٠٠٠ مقاتل تقريباً ، ولكنهم اضطروا إلى ترك ألفين منهم على أرض المركة وذلك أمام قوات جراهام البريطانية ، علاوة على أربعة مدافع كروب وكمية كبيرة من الأسلحة والذخائر . لم تكن شجاعة الثوار لتعوض كمية النيران التي صبتها عليهم المدافع الرشاشة الإنحليزية . ترك جراهام سرية من الجنود في التب ، ثم تقدم صوب طوكر في أول مارس (١) . وقد ساعد اقترابه الحامية القدعة التي كانت عاصرة منذ ستة أبام على الخروج ، والانضام للحملة في شرنكتات .

تمكن الإنجليز من احتلال تماى فى ١٢ مارس، وخسر عثمان دقنه الني مقاتل آخرين. ثم قام جراهام بمظاهرة عسكرية وابتعد عن سواكن لمسادة ١٢ ميلا، فبلغ هندوب على طريق يربر، ولكنه شعر باستحالة التقدم أكثر من ذلك فى مناطق صعبة ومعادية. وعلى أى حال فإن الحملة كانت قد انتقمت لهزيمة الجنرال بيكر كما يقول الإنجليز وكانت فى حقيقة الأمم قد مجحت

<sup>(1)</sup> JACKSON, H.C.; Osman Digna. London, 1926 pp. 71-73.

فى إبعاد الثوار عن الشاطئ لا لمينعوهم من العبور إلى بلاد العرب ولكن لمينعوهم من الاتصال بالأجانب ومن شراء الأسلحة ... بقيت هذه الحملة مدة قصيرة في سواكن ثم سحبت منها وتركتها في أيدى القوات المصرية والسودانية . أما في الجرطوم فإن غردون كان قد بدأ صفحة جديدة من صفحات السياسة البريطانية في وادى النيل .

# غردود ولملب الربير:

بدأ الجنرال غردون مهمته فى الخرطوم دون أن يظهر من بعد النظر مثل ما أظهره مساعده الكولونيل ستيوارت ، فاعتقد منذ وصوله إلى الخرطوم أنه جاء إلى السودان محرراً ، ولكن سرعان ما تباور شعور السودانيين محوه ، وشعر هو بالاتجاه الطبيعي لهذا التباور ، فاضطر إلى تغيير اتجاهه بشكل يجعل منه أكثر تطابقاً مع أوامره التي استلها من لندن .

سرعان ما شعر غردون بتلك الحمى التي سادت السودان في ذلك الوقت . حقيقة أن جنوده كانوا من المصريين والسودانيين ولكنه كان أجنبياً قبل كل شيء . وكان غردون يعتبر — بالنسبة لتلك الجماعة من الثوار الذين كانواياً سفون على إلغاء تجارة الرقيق — لتلك الجماعة من الثوار الذين كانواياً سفون على إلغاء تجارة الرقيق الكر عدو قديم ، وأخذ أنجاه الثورة الديني يزداد وضوحاً بعد وسؤل غردون المسيحي . شعر غردون إذن بنوع من العزلة

النفسية ، وشمر أنه لن يقدر على عمل أى شيء عفرده ، فأخذ يطلب من الحكومة الإنجليزية في كل يوم طلباً جديداً ويقترح عليها اقتراحاً خاصا .

وكان اقتراح غردون الخاص بإرسال الزبير هو أحكتر الاقتراحات التي ألح عليها ، ولم يكن يهدف من هذا إلا توكيد فصل السودان عن مصر ، وتوكيد سيطرة انجلترا على شئون السودان . ولقد استطاع في هذه المسألة أن يكسب تأييد السير ايفيلين بارنج وهو من اعتبرته انجلترا خبيراً في الشئون السودانية ، وكان هذا فأعة لتأييد آخرين من المسئولين البريطانيين في القاهرة . وهكذا نرى أن ستيوارت الذي كان متردداً في هذا الموضوع وهكذا نرى أن ستيوارت الذي كان متردداً في هذا الموضوع بصبح المنادي بتنفيذ هذه السياسة ، مثله في هذا مثل نوبار . وسيؤيد السير إيفيلين بارنج غردون في هذا المشروع كل التأبيد وسيؤيد السير إيفيلين بارنج غردون في هذا المربطانية له .

أبرق غردون يوم وصوله للخرطوم إلى السير إيڤيلين بارنج أن مجرد الإخلاء دون تنظيم سلطة من كزية تخلفه سيكون بداية للفوضى المامة في كل السودان ؛ كما أن تعيين حاكم لا يتمتع بتأييد الحكومة سيؤدى إلى نفس النتيجة ، ولذلك فإن غردون قد أوصى الحكومة الإنجليزية بأن تعيين حاكماً على السودان دون أن تأخذ على نفسها أى مسؤولية بخصوص الرجال أو الأموال وأصر غردون على ضرورة تعيين الزبير في هذا المنصب لأنه الرجل

الوحيد الذي يتمتع بالكفاية فمثلاً عن أنه عبوب في السودان (١) عزر ستبوارت فكرة غردون . أما السير إشبلين بارنج فقد وافق على هذا الاقتراح ولكنه أصر على ضرورة إعطاء تعليات كتابية للزبير تشرح له أن عليه الاعتاد على موارده وحدها للاحتفاظ عركزه . وذكر أن في استطاعة الحكومة المصرية أن تعطيه مبلغاً بسيطاً من المال لكي يبدأ به ، ولكنه أصر على أن تكون مماسلاته القبلة مع الحكومة المصرية عن طريق ممثل إنجلترا في القاهرة (١) . وهكذا نرى أن اقتراح غردون كان يهدف إلى إقامة حكومة وطنية في السودان تحت الحابة البريطانية ، وكان على مصر أن تدفع ميزانية تلك الحكومة الجديدة التي يرأسها سوداني والتي تشرف أنجلترا على علاقاتها الخارجية عافى ذلك علاقاتها مع مصر نفسها .

وكان غردون يصر على ضرورة إرسال الزبير حتى يضمن. نجاح مهمته هو لأن وجود هذا الرجل هو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن ينهى القطيعة الواضحة بين الرأى العام وبين غردون ولقد أكد الجنرال أنه ليس هناك أقل سبب للخوف من مصادمة

۱۸۸٤ من قبر ایر سنة ۱۸۸۶ جرانقیل فی ۱۸ من قبر ایر سنة ۱۸۸۶ F.O 141/192. No 208.

<sup>(</sup>۲) بارنج إلى جرانقيل في ۱۹ من فيراير سنة ۱۸۸٤ F.O. 141/199. Tél. No 155.

شخصية بينه وبين الزبير طالماكان هذا الأخير يعرف أن العولة المالية التي تصله تتوقف على سلامة غردون (١).

وجدت الحكومة الإنجليزية نفسها في موقف حرج ، وخاصة إزاء الرأى العام البريطاني واحتجاجات جمية منع تجارة الرقيق . وكان غردون قد بدأ بإعادة تجارة الرقيق في السودان ، وأخذ الآن يطالب بإرسال الرجل الذي كان أكبر تاجر للرقيق في الأقاليم السودانية . ولم تكن الحكومة الإنجليزية مستمدة في الأقاليم السودانية ، ولم تكن الحكومة الإنجليزية مستمدة طلتفكير في هذا الأمر ، وكانت ترفض كل مسؤولية تنتج غن إرساله .

وقد عزز السير إيڤيلين بارج مه جديدة طلب غردون، ولكن حكومة لندن أجابت بأن هذه الحجج ليست من القوة التي تسمح لها عمادلة الاعتراضات القديمة ضد تعيين الزبير، وعلى أى حال فإنها أعلنت قبولها لفكرة إرسال أى مساعد مسلم آخر، وكذلك إعطاء أى مبلغ معقول من المال يراه غردون ضرورياً لمكي ينفذ أهداف مهمته بنجاح (٢).

كتب غردون تقريراً جديداً ملحاً فيه على إرسال الزبير

ا) بارئج إلى جرانڤيل في ۽ من مارس سنة ١٨٨٤ (١) بارئج إلى جرانڤيل في ۽ من مارس سنة ٢٨٨٤ (١) F.O. 141/192. No 265.

۱۸۸٤ غيل إلى بارنج في ۱۱ من مارس سنة ۱۸۸٤ (۲) جرانڤيل إلى بارنج في ۱۱ من مارس سنة ۴.O. 141/189. No 149.

وتحدث في هذه المرة عن إمكان إرسال جميع الموظفين من الخرطوم إلى بربر مع ستيوارت ، أما هو فسيكتب استقالته من خدمة الحكومة البريطانية ثم يأخذ البواخر والمخازن إلى مديريات خط الاستواء وبحر الفزال ويعتبر أنها تتبع لملك البلجيك . وقد يكون هذا حلاً بالنسبة لفردون نفسه ، ولكنه لم يكن معقولاً بالنسبة للسودان ولمصر ولتركيا وللإمبراطورية البريطانية ، ولم يكن من السهل تنفيذ هذه السياسة فأمم السير إيڤيلين بارنج الجنرال غردون بالبقاء في الخرطوم طول الوقت اللازم لعرض الأمم على لندن ، وألا يقرر أي شيء بالنسبة لمديريات بحر الغزال وخط الاستواء .

واصل غردون طلب الزبير وطلب إرسال قواب بريطانية إلى بربر ، ولكن الحكومة البريطانية لم تكن لتقبل أياً من هذه الطلبات . وأمّا إذا رأى غردون أن الإسراع في تنفيذ عملية الجلاء سيمنعه من أن يقوم بمهته وأن مكوثه في الخرطوم لفترة أطول سيساعده على إقامة حكومة ثابتة ، فإن الحكومة الإنجليزية كانت مستعدة لكي تسمح له بحرية البقاء . أما في حالة صعوبة تنفيذ إقامة الحكومة (۱) ، فإن على غردون إخلاء الخرطوم وسحب حاميتها وإحضارها بنفسه دون تأخير . وعلى أي حال

ا) جرانقیل اِلی بارنج فی ۱۳ من مارس سنة ۱۸۸۶ F.O. 141/189. No 155.

فإن الحكومة الإنجلزة كانت تأمل أن لا يستقيل غردون وحددت مهمته بالوقت الضروري لإخلاء السودان بطريق سلمي ، وأخيراً فإن فكرة إرسال الزبير إلى الخرطوم قد رفضت نهائياً . وكان هذا الرفض البات سبباً في نشوب الخلاف بشكل نهاني -بين حكومة لندن ومبمونها في الخرطوم . فاعتقد غردون أن حكومته تربد فرض رأيها عليه وأن تحرمه من حربة الحركة وتقطع عليه خط التراجع . واعتقد أن رفضها الموافقة على إسال الزبير لإخلاء الحاميات من السودان يفرض عليها مسؤولية إنقاذه هو في وقت قريب . وإذا كان على الحكومة الإنجليزية أن تحدد مسؤوليتها ومسؤوليته هو ، فلم يكن عليها إلا أن تقبل استقالته من هذه المهمة . ولكن شيئًا من هذا لم يقع . وفقد غردون سيطرته على أعصابه والكنه بتى فى الخرطوم مدعياً بأن شرفه الشخصى يحرم عليه التخلي عن من عبهد بهم إليه .

#### طلب الامدادات :

كانت انجلترا تتوقع حدوث اضطرابات فى مصر وفى الصعيد بشكل خاص نتيجة لتنفيذ سياسة إخلاء السودان، ولذلك فإنها قررت إرسال قوات من جيش الاحتلال البريطاني إلى الصعيد لكى تحاول السيطرة على الموقف هناك فى أثناء قيام عملية الانسحاب من السودان، مع احتلال وتحصين كل من وادى حلفا

وكروسكو كحطات للحدود ، بيها نجمع بقية القوات في أسوان ، وكان على القيادة المحلية أن تقرر المكان الذي تقابل فيه قوات الثوار إذا شرعت في الهجوم على مصر (١) . ومعنى هذا أن تضمن أنجلترا بقاء النظام القائم في مصر وبقاء الإنجليز فيها .

وفى خلال ذلك انوقت طلب غردون القيام بمظاهرة عسكرية بريطانية تجاه بربر ، ولكن انجلترا رأت عدم إمكان تنفيذ ذلك فظراً لصحوبة المناخ فى ذلك الفصل ، ونظراً للأخطار الجسيمة التى قد تشرش لها الحلة من الناحية المسكرية (٢).

دفع ذلك القرار السير ايقيلين بارنج إلى طلب إرسال قوات بريطانية وهندية إلى سواكن بعد أن انسحبت منها حملة الجنرال جراهام ، ولكن رفض حكومة انجلترا كان نهائياً وادعت أن مهمة غردون مهمة سلمية ، وأن إرسال حملات إلى شرق السودان يتنافى مع هذه السياسة ، والواقع أن بعد المسافة وطبيعة الأرض ومناخ الإقليم وانتسارات الثوار ، كانت هذه الموامل أكر مشعط لمزائم الإنجليز عن تنفيذ هذه السياسة التي لن تكون إلا مفاصرة شديدة الخطورة .

<sup>(</sup>۱) جرانغيل إلى بارنج في ١٠ من أبريل سنة ١٨٨٤ F.O. 141/190. No 211.

۱۸۸۱ جرانفیل إلی بارئیج فی ۲۰ من مارس سنة ۱۸۸۱ (۲) F.O. 141/ 190. No 182 Secret.

اتسعت الهوة إذن بين الخرطوم والقاهرة من ناحية وبين القاهرة ولندن من ناحية أخرى . وشهدت المراسلات بذلك البردد الذي ساد في لندن في تلك الفترة بخصوص الخطة اللازم انخاذها للسودان. ولقد اقترح غردون على السير ايڤيلين بار بح فى خلال شهر أبريل إرسال قوة تركية مدعياً أن ٢٠٠٠ من المشاه وألفاً من الفرسان الأتراك يستطيعون أن ينهوا المسألة ويقضوا على المهدى نهائياً في أربعة أشهر . فاجتمع رؤساء السلطات البريطانية في القاهرة وقرروا أن استخدام الآتراك في السودان يتعارض مع السياسة التي دافع عنها غردون حتى ذلك الوقت . ولم يكن هناك من الوقت ما يسمح بتدريب أى قوة من الأتراك وإرسالها إلى غردون بسرعة . وكانت القوات التركية الوحيدة التي تصلح للقيام مبذه المهمة هي وحدات جيش السلطان ، وسيترتب على إرسال مثل هذه القوات للسودان كثير من التعقيدات السياسية (١٦) . ولقد عززت الحكومة الإنجلزية رأي سلطاتها في القاهرة وعارضت في إرسال قوات تركية قائلة: « إن هذا الإجراء سيتسبب في تعديل تام للسياسة الأصلية لحكومة صاحبة الحلالة، وهي السياسة التي تهدف إلى فصل

۱۱) بارنج إلى جرانفيل في ۱۱ من أبريل سنة ١٨٨٤ F.O. 141/193. No 411.

السودان عن مصر ، وإعادة الاستقلال السابق إلى أهاليه »(١) .

لم تكن السالة إذن من وجهة النظر البريطانية مجرد سحب السلطات المصرية من السودان وترك الباب مفتوحاً لعودتها مزة أخرى ، بل كان فصل جنوب الوادى عن شماله وقطع كل علاقة بين السودان والإمبر اطورية العمانية .

ولما كان إرسال إمدادات السودان قد يدفع غردون إلى إطالة مدة بقائه ، فقد رفعت انجلترا إرسال أى قوات إنجليزية أو هندية أو تركية . كا أن السير ايقيلين وود سردار الجيش المصرى الجديد قد رفض إرسال أى وحدات من الجيش الموضوع تحت قيادته المسودان مدعياً أنها لا تستطيع أن تنزل المركة إلا إذا كانت مؤيدة بقوات بريطانية (٢) . ، وقبل وؤد بذلك تحمل مسؤولية عدم كفاية تدريب ضباطه الانجليز الجيش المصرى الحديث بدلا من أن يتحمل مسؤولية إفساد السياسة البريطانية في السودان بإرساله جنود مصر إلى هذا الإقليم .

مهيار الجزيلوم: : ا

· بدأت قوات التوار تحاصر مدينة الخرطوم في خلال شهر

<sup>(</sup>١) جرانڤيل إلي ايجرتون في أول مايو سنة ١٨٨٤

S.P. Vol. LXXXIX, Egypt. No 20 (1884) No 1. P. 3. (2) Wood, Eyelyn; From midshipman to fieldmarshal. 10ndon, 1906. Vol. II. p. 165.

أريل، واقترح غردون على الحكومة البريطانية الانسحاب إلى مديرية خط الاستواء ويترك لها مسؤولية إخلاء الحاميات المعرية من سنار وكملا وبربر ودنقلة وأبلغها أنها ستضطر في يوم من الأيام إلى أن تحارب المهدى وتهزمه حتى يتسنى لها البقاء في مصر نفسها . ولكن حكومة لندن طلبت منه بيانات عما إذا كافت الخرطوم مهددة بالفعل، وعن نياته المقبلة وتحركاته في السودان وإن كان يرغب في قوات تساعده على عملية الانسحاب على أن تستخدم في عمليات دفاعية فقط، وعن عددها ووحداتها والوقت تستخدم في عمليات دفاعية فقط، وعن عددها ووحداتها والوقت ألذي ترسل فيه والطريق الذي تسلكه . لم تكن حكومة لندن برددا فلا يخني على الباحث المدقق أنها كانت تنتظر وقوع شيء ما بأعصاب باردة .

#### سفوط بربر:

بدأت الأحداث تتكاتف على عزل غردون فى الخرطوم، فأحاط الثوار بالماصمة السودانية واستولوا على بحر الغزال فى شهر أبريل وقطعوا مواصلاتها مع العالم الخارجى ، وفى ١٩ مايو بجح الثوار فى الاستيلاء على بربر التى كانت مفرق طرق كبير الأهمية والنقطة الوحيدة التى يمكن الارتكاز عليها لإنقاذ الخرطوم سواء عن طريق البحر الأحر أو عن طريق النيل . وفى ذلك الوقت

لم يقبل جلادستون أن يمترف بأن غردون كان محاصراً . وقام الستشار المالي الإنجليزي بإندار الحكومة المصرية أنها لن تتمكن من دفع رواتب موظفيها لو دفعت أى مبلغ من المال للسودان ، وقال جرائفيل إن الحكومة الإنجليزية كانت دأعًا مستمدة لنزويد الحكومة المصرية بالنصائح الخاصة بإخلاء السودان ، وكان هذا هو سبب قبولها لمهمة الجنرال غردون ، ولكن على الحكومة المصرية أن تتذكر جيداً أن وجود الحاميات المصرية في السودان ومديريات خط الاستواء وبحر الغزال ليست أصلاً من أعمال الحكومة الإنجازية التي لا عكن أن تمتير مسؤولة عن من أعمال الحكومة الإنجازية التي لا عكن أن تمتير مسؤولة عن الإجراءات التي يقوم بها المختصون ولا عن نتائج فشل هذه وترقب للاستفادة من الموقف .

كان الميجر هنتر في خلال ذلك الوقت يصر على ضرورة إخلاء موانى البحر الأحر وسحب القوات المصرية من بربرة وزيلع وتاجوره وهرر ونجد أن الأميرال هيويت يتفاوض من ناحية أخرى مع بوحنا الرابع ملك الحبشة في مسألة الحدود السودانية الحبشية وإقليم البوغوص . ولى طلب الباب العالى من الحكومة الإنجليزية تفسيرات رسمية عن هذا النشاط ردت

<sup>(</sup>۱) جرانڤیل إلی ایجرتون فی ۲۱ من مایو سنة ۱۸۸۴ F.O. 141/190. No 270.

وزارة الخارجية الإنجليزية بأنها لا تستطيع مناقشة المسائل المصرية مادامت المسألة السودانية بافية بغير تسوية . وكانت انجلترا تربد أن ترث هي والحبشة أملاك مصر والدولة العثمانية على البحر الأحر وطلبت من السلطان أن يوافق على منح ميناء مصوع ليوحنا الرابع . أما بقية المواني فقد وضعت انجلترا شروطاً لمودتها إلى تركيا يتنافي قبولها مع استقلال الدولة المثمانية ومع الماهدات التي تضمن سلامة أراضها .

أرسات السلطات البريطانية في القاهرة الميچر كتشنر القيام بأعمال الخابرات في شمال السودان علاوة على تعيينه همندوبا المخديو » للمفاوضة مع البشاريين والقبائل الأخرى المحلية ، وكان أول تقرير له في منتهى الأهمية ، إذ أنه أعلن في يوم ١٦ يونيو سقوط بربر في أبدى الثوار منذ تسعة أيام .

أصبح اتصال غردون مقطوعاً تماماً بالعالم الخارجي وازداد حصار الثوار للخرطوم نفسها .

قررت الحكومة البريطانية إرسال اللورد نور ثبروك إلى مصر لدراسة الحالة المالية فيها . وخشيت أنجلترا أن يعتقد الخديو أن لهذا المندوب سلطة مناقشة مسائل البحر الأحر وهرر فأسرعت وأبلغت مصر أن امتداد الحكم المصرى على المناطق البعيدة لا يتمشى مع مصلحة شعب مصر ذا كرة « أن مصر لم يكن لها ولن تكون لها الموارد المالية أو القوات الدسكرية

الكافية لتبرير توسع أراضيها فيا وراء حدودها التي هي الصحراء الكرى في الجنوب، ولذلك فإن حكومة صاحبة الجلالة (اللكة) تؤمن بأن النصيحة التي أعطمها لصاحب السمو (الخديو) بالانسحاب من السودان كانت معقولة وضرورية ، وأنه ليس لسها النية مطاقاً في إعادة التفكير في هذا القرار<sup>(١)</sup> » . أما سواحل البحر الأحمر وخليج عدن فإن بريطانيا كانت حريصة على أن تضع قدمها في تلك المناطق فكان الأميرال هيويت قد وقع مماهدته مع بوحنا ملك الحبشة وكان الماجور هنبر يجمع التوقيعات على مماهدات الحماية من رجال القبائل المحيطين بزيلع وبربرة ، وكان برتب الإخلاء الإجباري لحاميات مصر وسلطاتها من سواحل خليج عدن ومن هرر . أما فيما يخص سودان وادى النيل فإن حكومة لندن قد صممت أخيراً على إرسال حملة بقيادة اللورد ولسلى لإنقاذ غردون المحاصر في الخرطوم.

<sup>(</sup>۱) جرانفیل إلی ایجرتون نی ۱ من أفسطس سنة ۱۸۸۴ F.O. 141/191. No 379.

# ولفص ألثان

#### مناورات الأمزاب البريطانية :

كانت أنجلترا منذ إرسالها غردون إلى السودان تخشى تدخل فرنسا في الشئون المصرية ، الأمر الذي مهدد الموقف الدولي . ولقد كان من المكن استغلال أى كارثة عسكرية تقع في الخرطوم أو غيرها أو أي مذبحة نذهب ضحيتها بعض الأوروبيين لمهاجمة السياسة الإنجلزية في السودان خصوصاً بعد قرار الإنجلز الخاص بترك هذه البلاد للفوضي ولتجارة الرقيق . ولقد أنهم القنصل البريطاني في باريس المسيو بارير قنصل فرنسا العام في القاهرة بالعمل على حث دولته على أتخاذ موقف إيجابي في المسألة المصرية وبحث المصريين على الهام انجلرا بكل ما نزل عصر من مصائب، ناصحاً لهم طلب المعونة من فرنسا مذكراً إياهم في كل مناسبة بأن انجلترا كانت تجبر مصر على دفع تكاليف جيش الاحتلال حتى تمنعها من المحافظة على من كزها في السودان . وأخيراً فإنه كان قد فسر هزعة الجنرال بيكر على أنها مظهر من مظاهم ضعف

انجلترا الذي يسهل أي تدخل فرنسي في شئون مصر (١) .

وكان موقف الوزارة البريطانية سيئاً في انجلترا نفسها خصوصاً وأن المحافظين قد استغلوا مسألة غردون لمهاجمة وزارة حزب الأحرار . وكان الموقف من الدقة عكان خصوصاً وأن الجناح الراديكالي في حزب الأحرار نفسه كان معاديا لفكرة تحمل انجلترا لأية أعباء مالية أو مجهودات عسكرية . ورغم ذلك فإن وزارة جلادستون كانت هي التي اختارت غردون الذي هددت كل برقية من برقياته سياسة الحكومة ، وأعطت المحافظين أسلحة جديدة يحاربون مها حزب الأحرار . حقيقة إن الوزارة كانت قد أعلنت عند اختيارها لفردون عدم تحمل أى مسؤولية نانجة عن هذا العمل الجديد أو أي كارثة قد تقع أو يتسبب فيها ذلك القائد وهو في خدمة الحكومة الخديوية. ولكن الواقع أن هـنـــ المسؤولية بقيت ملقاة على عاتق الحكومة البريطانية . عمل المحافظون على الاستفادة من برقيات غردون لمهاجمة الوزارة ومحاولة إخراجها من الحكم . ولم تحاول المارضة بحث برقيات غردون ومعرفة ما إذا كانت تتضارب بمضها مع بمض، ولكنها ادعت أنها تؤيد الجنرال تأبيداً تاماً ، ونادت بإجابة طلباته كاملة بينا انتقده حزب الأحرار ، لأنه عمل على قلب سياسة الحكومة بعد

<sup>(1)</sup> NEWTON: Lord Lyons. London, 1913. p. 323.

أن قبل تنفيذ هذه السياسة . وهذا هو السبب الذي جعل المحافظين يدعون أن حزب الأحرار قد ضحى بغردون ، وعملوا بطبيمة الحال على الاستفادة من ذلك في مناوراتهم البرلمانية وأمام الرأى العام .

ما أن تأكد جرانڤيل أن غردون يتصرف بطريقة تتعارض تمام التمارض مع تعلياته ، حتى اقترح على الوزارة استدعاءه إلى لندن، وطالب على الأقل إبلاغ غردون أنه سيكون مســـؤولا شيخصياً عن كل امتداد لإقامته في الخرطوم. ولكن الوزارة رفضت الخاذ هذا الموقف. وكانت الوزارة نفسها تشهد تيارين وانجاهين مختلفين في داخلها : فكان البعض يعتقد بضرورة إرسال حملة إنقاذ للخرطوم خصوصاً بعد أن حرموا على غردون تركم السودان بطريق الجنوب، وكان البعض يشعر بأن غردون لم ينفذ التعليات الرسمية ، وأن الوزارة لا تستطيع أن تتحمل أى مسئولية تجاهه ، وكان هذا القسم الأخير يقول إن غردون قد أرسل لإخلاء حاميات السودان، وأنه قد يق هناك لتنفيذ سياسته الشخصية ، ولا ممكن لحكومة ما أن تضحى بالمال والرجال في سبيل إنقاذ أي ضابط مهما كان ممتازاً ، من الموقف الناتج عن عصيانه هو ، وعن عدم تنفيذه للأوامي(١) .

<sup>(1)</sup> FITZMAURICE, Lord Edmond; The life of Granville. London. 1905. Vol. II. p. 388.

ازداد القلق على غردون فى كل يوم وقام راندولف تشرشل باستجواب الحكومة عن الحالة فى السودان وموقف الحكومة من غردون وسياستها المقبلة تجاه تلك البلاد، ثم انتقد فشل الحكومة فى إقامة المواصلات بين سواكن وبربر، ولفت النظر إلى موقف غردون الخطير فى السودان، وسألها إذا كانت ستبقى غير مكترثة أمام مصير الرجل الذى عقدت عليه الآمال لكى يخرجها من مشكلاتها، وتتخلى عنه دون أن تحاول القيام بأى يجهود فى سبيله. وواصلت صحف المحافظين الهجوم وأصبح الهياج شاملا وازداد التوتر حتى بين صفوف المؤيدين للوزارة.

أخذت فكرة إنقاذ غردون بحملة عسكرية في الظهور خلال شهر أبريل سنة ١٨٨٤ ، حيما طلبت الحكومة رأى الخبراء العسكريين في هذه المسألة ، ولقد نصح ولسلى في ٨ أبريل باتباع طريق النيل – وأشار إلى وجوب وصول القوات إلى بربر قبل ٢٠ كتوبر لأن غردون لا يستطيع المقاومة إلا إلى ١٥ نوفبر ، ولكن الجنرال ستيفنسون اقترح في ٤ مايو طريق سواكن بربر ، ولقد فضل الجنرال وود من ناحيته صحراء كروسكو ذاكراً أنه لا يمكن استخدام طريق النيل قبل شهر اكتوبر ، ووافق ولسلى على هذا الرأى مقرراً إمكان السير إلى كروسكو في شهر أغسطس بينما لا يمكن استخدام طريق سواكن قبل شهر سبتمبر . ولم يمنع هذا الحكومة البريطانية من التفكير في استخدام الكباييش

لإنقاذ غردون ومحاولة بعض الرؤساء المسلمين فى المننى فى باديس. التدخل وإخراجه من الخرطوم على شرط ألا يعود للأراضى المصرية قبل عشر سنوات على الأقل.

وعلى أى حال فإن الحكومة البريطانية قد طلبت من البرلمان التصويت على مصروفات تسمح لها – إن لزم الأم ساخاذ الإجراءات اللازمة لإنقاذ غرودن . كان ذلك فى ١١ أغسطس سنة ١٨٨٤ ، وذكر اللورد هارتنجتون وزير الحربية أن الحكومة كانت فى سبيل اتخاذ الإجراءات الفعالة لمدم تحمل المسؤولية .

#### موقف السلطات العسكرية :

طالت فترة التردد في لندن نتيجة لمدم اتفاق رجال السياسة مع السلطات المسكرية على رأى في الموضوع ، وتفاهم اللورد هارتنجتون مع اللورد جرائفيل وذكر له أنه من المستحيل الوصول إلى قرار بخصوص دنقلة قبل أن تضع الحكومة سياسة واضحة لإرسال حملة تساعد غردون وحامية الخرطوم على الانسحاب إلى مصر . لم تكن لندن قد استلمت أى رسالة من غردون منذ ثلاثة أشهر ، وكان من الطبيعي أن يسود الاعتقاد بأن ممكز غردون قد أصبح خطيراً ، وأن قوات الثوار المحاصرة للماصحة السودانية كانت أكثر قوة مما أشيع عنها .

ولم يكن من السهل القيام بعملية حربية على الطريق الموصل من سواكن لبربر لأن إنشاء خط حديدى لا يمكن البدء فيه قبل نهاية فصل الصيف من ناحية ، ولأن قوات عثمان دقنه كانت قد ازدادت عدداً وعدداً ، بعد سحب قوات الجنرال جراهام من سواكن من ناحية أخرى ، ولكن وجود قوة عسكرية في سواكن سيكون له أثر على الحالة في جنوب مصر ، وسيساعد على عملية الإنقاذ التي ستسير مع النيل ، ورغم الصعاب التي كانت تعترض هذا الطريق الأخير فإن اللورد ولسلى كان يعتقد أن في استطاعة قوة تبلغ ٠٠٠ر٦ أو ٢٠٠٠ جندى - ترسل إلى وادى حلفا في أول اكتوبر - أن تصل إلى الخرطوم بعد ثلاثة أشهر .

کان غردون قد شرح فی إحدی برقیاته الصادرة فی ۲۸ من مارس أن لدیه ۱۶۰۰ قذیفة لمدافع السکروب . ف کتب ولسلی الی جرانفیل بمجرد استلامه لهذه البرقیة فی ۲۷ یولیو معلقاً بأنه إذا ما أطلق غردون عشرة قذائف فی کل یوم فلن یبتی لدیه فی المخازن إلا ۲۰۰ قذیفة فقط وهی احتیاطی غیر کاف و یمکن آن ینتهی علی هذا المنوال فی ۱۷ أغسطس ، ماذا سیممل غردون ینتهی علی هذا المنوال فی ۱۷ أغسطس ، ماذا سیممل غردون اذن ؟ . کانت داوریات النیل متوقفة علی وجود قذائف المدفعیة به وکانت آهم میزة لفردون علی الثوار هو تمکنه من «تنظیف» الجهات المحیطة بالخرطوم بنیران مدفعیته ، ولما کان من الصعب علی غردون .

صناعة هذه القذائف محلياً في الخرطوم فسيكون من شبه المؤكد أن يقتله الثوار أو يحتفظوا به أسيراً بمجرد انتهاء قذائف مدفعيته . سيضحى بغردون في الحالة الأولى ، وفي الحالة الثانية ستضطر انجلترا إلى تجهيز حملة بماثلة «لحلة الحبشة» لكي تفك أسره . وعلى العكس من ذلك فإن حملة صغيرة ترسل من الآن ستغنى عن كل مصاعب المستقبل .

ولم يكن معنى هذا بأى حال من الأحوال هو مجرد إخراج غردون من الخرطوم ، بل كان هدف الساسة البريطانيين والرجال العسكريين هو الوصول إلى الخرطوم ثم اتباع ما يترائى لهم بعد ذلك في هذا الإقليم وفي مديرية دنقلة وشرق السودان ، وكان يلزمهم لتنفيذ سياستهم وصول قواتهم إلى الخرطوم ، وسنلاحظ أن انجلترا ستتدخل بقوات « بريطانية » فقط في تلك الحلة القملة .

وعلى أى حال ، فإن الحسكومة البريطانية قررت أخيراً إرسال حملة إلى دنقلة ، مع نية السير حتى الخرطوم . ووافق البرلمان على الاعتمادات اللازمة (۱) ولكن السلطات المسكرية واصلت مناقشتها ، ووافق هار تنجتون على طريق النيل الذي كان

ر) مبلغ ٥٠٠و ٢٠٠٠ جنيه استرليني -- انظر : -- S.P. Army Estimates. Vol. XLVIII, (1884). Relief of Gen.- Gardon. p. 459.

ولسلى قد أوصى به ، واختار هذا القائد لقيادة الحملة . كان على هذه الحملة أن تزحف حتى دنقلة ، ثم تتقدم حسبا تقضى الظروف بذلك . وكان كل من كتشر والجثرال ستيفنسون قد أوصوا بمبور صحراء البيوضة بسرعة وبوحدة صغيرة حسنة التدريب والتنظيم ، ولكن وزارة الحربية رأت أن فرص نجاح هذه الخطة ضميفة ، وأن أخطارها قد تكون جسيمة وأن هزيمها قد تؤدى إلى نتائج في منتعى الخطورة . وهكذا تقرر إرسال حملة البواخر » التي تدل تكاليفها على أنها ليست لمجرد إخراج غردون من الخرطوم بل محاولة البقاء في الماصمة السودانية بعد الوصول إلها .

جاء قرار الحكومة البريطانية بعد تأخير ، ولكنه كان قراراً هاماً جسيم الماقبة ، خصوصاً في وقت توترت فيه العلاقات مع روسيا بشأن آسيا الوسطى ، وظهرت الحرب مع روسيا وكأنها على الأبواب ، وساءت فيه علاقات انجلترا مع ألمانيا ، وتعقدت المسألة الإيرلندية .

كان إرسال حملة للسودان يشتمل ضمناً على قرار بإعادة فتح هذه البلاد مع كل ما يدل عليه ذلك من مسؤولية ، ولم يكن الوقت ملاعًا لكى ترحب حكومة لندن بهذه المسؤولية الجديدة وفى ذلك الجومن العلاقات الدولية .

#### حمد: الجنرال ولدلي:

عينت أنجلترا الجنرال اللورد ولسلى قائداً عاما فى مصر ، وأصدرت تعلياتها إلى الجنرال ستيفنسون قائد عام جيش الاحتلال البريطانى بإعطائه كل معونة ممكنة . وصل اللورد ولسلى إلى القاهرة فى ٩ سبتمبر ، وكانت معظم القوات المصرية فى ذلك الوقت على الحدود ، عاملة على تحصين أسوان وكرو سكو ووادى حلفا . فأصدر ولسلى أمره إلى الجنرال وود سردار الجيش المصرى . بالاضطلاع مع رجاله بعب التشهيلات للحملة الجديدة .

وصل ولسلى إلى وادى حلفا مصحوباً بأركان حربه فى يوم، اكتوبر وقرر البقاء فيها لمدة شهر قبل سفره إلى دنقله ، وفى يوم وصوله استلم تقريراً من الميجر كتشنر ، يذكر فيه أن الكولونيل ستيوارت مساعد غردون فى الخرطوم قد ضرب بربر بقنابل مدفعية إحدى بواخره التي كانت تحمل أربعين جندياً وأن البواخر الأخرى المصاحبة لها قد اضطرت إلى المودة إلى الحرطوم ، أما هذه الباخرة فإنها اصطدمت بالشاطئ على بعد بومين من مروى واضطر راكبوها للزول منها عما نتج عنه قتل ستيوارت وصحبه بعد مهاجمة الأهالى لهم . وكان من نتيجة ذلك أن وصلت تمليات برقية من لندن بعد ثلاثة أيام إلى ولسلى تشرح له أن هدف حاته الرئيسي هو مساعدة الجنرال غهدون على ترك

الخرطوم ، فعليه أن يتجنب كل عملية هجومية بعد ذلك . ولقد أصرت هذه التعليات على ضرورة تحديد ولسلى لعملياته إلى أقصى درجة ممكنة . وكان عليه أن يتذكر جيداً أن سياسة الحكومة البريطانية هي العمل على إنهاء سلطة مصر على السودان . كما أنها تقبل تعيين أحد الرؤساء الوطنيين — غير الزبير — للمحافظة على النظام وضمان حسنسير الملاحة في النيل ، والمحافظة على السلم مع مصر ، ودفع المحجات الموجهة ضدها من الثوار ، وعدم مصر ، ودفع المحجات الموجهة ضدها من الثوار ، وعدم تشجيع تجارة الرقيق (۱).

أمر ولسلى مدير دنقلة بالسير فى أقرب وقت ممكن صوب مروى وبعمل كل ما فى وسعه لسكى يصل إلى تحرير الأوروبيين الذين قد يكونون قد وقموا أسرى فى أيدى الأهالى هناك . وكان على هذا المدير أن يحاول إغراء رجل القبائل على افتداء الأسرى الأوربيين بمبلغ من المال . ولسكن وقت العمل كان قد انقضى وأبرق ويلسون فى يوم ٢٠ أكتوبر أن الأهالى قد رأوا جثمًا تعوم فى النيل منذ ثلاثة أسابيع (٢) . وهكذا لم يكن فى استطاعة أى عملية حربية أن تعيد هؤلاء الأوربيين .

<sup>(1)</sup> MACMICHAEL. Sir Harold; The Sudan. London, 1954. p. 46.

۱۸۸٤ من اکتوبر سنة ۱۸۸٤ F.D. 141/200. Tél. No 647.

ولقد اعترضت عقبات كثيرة وجسيمة طريق النيل هذا فكانت الحملة تحتاج إلى ٨٠٠ سفينة ذات غاطس مسطح لنقل
الجنود حتى مهوى وكانت تحتاج إلى عدد كبير من الجمال للنقل
ولهمات الاستطلاع فى الصحراء صوب الخرطوم ثم كان على الرجال
(المصريين) أن يقوموا بجرها فوق الشلال . بدأ ركوب الجند
فى السفن فى أول نوفبر(۱) ولكن سرعان ما ظهرت مصاعب
جديدة وهى نقص كمية الفحم اللازم لتسيير هذه السفن مما تسبب
فى تعطيل جديد لمدة ثلاثة أسابيع .

وفى أثناء ذلك الوقت وصل الجنرال ولسلى إلى دنقلة فى يوم الوفير وقرأ فى اجتماع رسمى فرماناً صادراً من الخديو وموجها إلى الديرين والعلماء والقضاة والوجهاء والتجار وشيوخ القبائل فى السودان يعلنهم فيه أنه قد عين قائداً عاماً للتوات البريطانية المرسلة للسودان وأنه قد حصل على تعليات من الخديو وصار من الواجب عليهم إطاعة أواص ().

وصلت القوات متتابعة إلى كورتى ثم أصدر ولسلى أمره إلى الجنرال ستيوارت في يوم ٣٠ ديسمبر بالتقدم في الصحراء ضوب

<sup>(1)</sup> COLVILLE; Official history of the Soudan Campaign. Vol. I. p. 182.

<sup>-</sup> ابارئیج إلی جرانشیل فی ۱۸ من نوایتر سنة ۱۸۸۹ و نشخانها (۲) F.O. 141/195. No 1047

شندى ثم صوب المتمة على النيل حيث كان يأمل أن يصل بعد أسبوع. ولكنه اشتبك وهو على بعد ٢٣ ميلاً من هذه القرية في قتال مع قوة من الثوار من بربر والمتمة وأم درمان تبلغ حوالى. ولكن هذه المركة الساة أبو طليع لم تمنع الإنجليز من التقدم صوب الخرطوم.

تسلم السكولونيل ويلسون قيادة هذه القوة البريطانية المتجمعة قرب النيل وشاهد في يوم ٢١ يناير سغن غردون الأربعة التي كانت قد حضرت لطلب الإنقاذ والنجدة ، ولكن الإنجليز أضاعوا ثلاثة أيام في سحب هذه السغن فوق الصخور في الشلال السادس وما أن وصلوا إلى قرب جزيرة توتى حتى تأكدوا من عدم وجود أي علم يرفرف على سراى الحاكم المام في الخرطوم ، وبعد قليل هاجت نيران مدفعية الثوار السغن المساحبة القوة الإنجليزية ، كانت الخرطوم قد سقطت في أيدى الثوار في يوم ٢٦ يناير — وهكذا وصلت النجدة متأخرة .

أما الجنرال السير ايقيلين وود الذي كان قد استلم أواص. ولسلى - بعد قتل استيوارت وقبل وصول أنباء سقوط الخرطوم - لتنظيم انسحاب الجنود، فإنه قابل القوة الإنجليزية في منتصف الطريق عائدة من الخرطوم مؤكدة سقوطها في أبدى.

السودانيين . لم يكن هناك أى مجال للقيام بأى عملية هجومية خصوصاً وأنه لم يبق للإنجليز إلا ٣٢ جملا من ٢٥٢٠٠ . وكان على الجنرال وود أن يعتنى بالجرحى وبمخازن الإمداد والتموين بين رجال منهوكى القوى وفى حالة لا يحسدون عليها من الروح المعنوية .

# الفصل التاسي سقوط الخرطوم

#### ثبات الحامية المحصورة :

ازدادت حاسة الثوار أثناء عاصرتهم للخرطوم عندما بلغتهم أنباء غزو شرق السودان في شهر مارس سنة ١٨٨٤، وتقدم حملة الإنقاذ صوب الخرطوم في نهاية ذلك العام، وكان هذا الهجوم المضاد من جانب القوات البريطانية في شرق السودان وشماله علاوة على تأخير إعدادات حملة الإنقاذ نما ساعد على تقوية روح الكفاح عند أنصار الهدى ومما أدى إلى سقوط الخرطوم في أيديهم كرحلة نهائية في انتصارات الثورة ،

ولقد كان الثوار يعرفون أخبار مصر وحالما وأخبار عمر كات القوات البريطانية والتغيرات في الموقف الدولي عن طريق وكلائم الخصوصيين . وكان هؤلاء الوكلاء براساون الثوار بانتظام من مصر ومن فرنسا وإنجلترا وذلك عن طريق القاهرة وبنفازي . كما أن عدداً من شيوخ السودان الذين أعطوا معاومات وبيانات عن « العصاة » إلى الميجر كتشنر لم يكونوا معاومات وبيانات عن « العصاة » إلى الميجر كتشنر لم يكونوا

أكثر من وكلاء معتمدين من زعيم الثورة السودانية ، وكانوا يقومورث بذلك لضمان وصول معاومات معينة إلى السلطات الإنجلزية . وكان شيوخ شمال السودان قد تسلموا توجهات معينة لمواصلة اللعب على الطرفين ، فكان عليهم أن يتركوا قوات ولسلى تتقدم في داخلية البلاد حيث أنهم كانوا برغبون في أن يوقعوا بها نفس المصير الذي أوقموه بحملة هيكس. ويذكر أحد الخطابات التي كتمها أحد هؤلاء الوكلاء أن عرب طرابلس والبحيرة الشرقية كانوا كلهم مع المهدية ، وأن رياض باشا وشريف باشا ومصطنى فهمي باشا وسلمان أباظه باشا وعددا كبيراً من رجال الدولة كانوا متفقين على خلق المصاعب أمام الإنجليز ، ولم يكونوا ينتظرون إلا اللحظة المواتية لكي يعلنوا تأييدهم للثورة السودانية . وأخيراً فإن الموقف الدولي في ذلك الوقت لم يكن على خير ما تشتعي

تنتهى مذكرات غردون فى يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ ، ولذلك فإن المصدر الوحيد الذى علمك عن الأيام الأخيرة للحصار وعن سقوط الخرطوم هو الكتاب الأزرق الذى نشرته انجلترا

<sup>(</sup>۱) انظر محفوظات حايدين : السودان ۱ / ۲ - ۲ خطاب مفصل في غاية الأهمية وقع عفواً في أيدى السلطات المصرية الإنجليزية على الحدود ولا يعرف كاتبه ويظهر أنه صادر من شخصية مسلمة تعيش في إحدى دول الغزب.

فى عام ١٨٨٦ والذى قام الميجر كتشنر بجمع معظم مادته ، مما لا يعطى كبير الثقة فى نقط معينة . أما دقائق المقاومة التى قامت بها الحامية فإننا نستطيع أن نعرفها من محاضر جاسات محاكمة الكولونيل حسن بك بهنساوى .

إن تقرير الماجور كتشنر رغم صدقه في المجموع مخطئ في دقائق وتفاصيل كثيرة ، ويرجع ذلك إلى أنه قائم على شهادات تتفاوت درجة معرفة القائمين بها أو درجة حيادهم . ولم يكن في مقدور كتشنر إلا أن يكتب ما سمع أو ما أراد هو أن يكتبه ، وكانت وسائل استعلاماته ضحلة وغير متينة بشكل يلفت النظر . وعلاوة على ذلك فإن شخصية كاتبه تظهر فيه بوضوح فلا نجد فيه مثلاً أي كلة ثناء أو شكر أو كلة مخلصة للمدافعين عن الحرطوم سواء من المصريين أو السودانيين ، والذي كان ولاؤهم وإخلاصهم يشهدان لهم بالبطولة . وعلى المكس من ذلك نجد كتشنر يكتب في نهاية تقريره بفصاحة (بريطانية) ظاهرة أن حصار الخرطوم الشهير قد دام ثلاثمائة وسبعة عشر يوماً ، وكانت هذه المقاومة النبيلة نتيجة ثبات أحد الإنجلز وقوة شخصيته (١) .

أما المصدر الآخر عن سقوط الخرطوم فهو عبارة عن الوثائق المجموعة للحاكات الضباط الذين نجوا من عاصمة السودان. فكان

<sup>(1)</sup> DUJARRIC, Caston; L'Etat Mahdiste du Soudan. Paris, 1901. p. 158

على هؤلاء الضباط والجنود بمجرد وصولهم إلى القاهرة أن بمروا بوزارة المالية لتسوية معاشاتهم أو لدفع رواتيهم المتأخرة « وهناك أنشئت إدارة لبؤساء السودان، وكان على كل فرد أن عربها . . وكان على كل منهم قبل تسوية حالته أن بذكر كل ما يعرف عن سقوط الخرطوم وعن ساوك الواحد والآخر، وعن خيانة فرج باشا أو حسن بك . . وكان كل من هذين الضابطين يقود نصف خط الدفاع المقام إلى الجنوب من الخرطوم والذي كان استيلاء الثوار عليه فجأة قد تسبب في سقوط المدينة (١) » . كتبت هذه الإدارة ١٩٥ تقريراً . ولم يصل حسن بك بهنساؤى إلى القاهرة إلا بمد فترة وذلك في إبريل سنة ١٨٨٧ . كان هذا الضابط قائداً للآلای الخامس المصری فی الخرطوم ، وحضر إلی مصر بعد أن أمصى ٢٤ سنة في السودان وعشرين شهراً أسيراً لدى الثوار . فوجد نفسه عجرد وصوله يقدم إلى الحكمة المسكرية متهماً بالخيانة. الهموه بتسليم مدينة الخرطوم للمهدى . وكانت هذه المحاكة (٢) مجالاً للإدلاء بشهادات متفرقة عن سقوط الخرطوم . وأظهرت أنه بينها كانت الحامية المريضة العليلة باقية على ولاتها ولم يكن لسها ما تقتات به إلا الصمغ العربي كان المهدى يفتح معسكره ومخازن

<sup>(</sup>١) المراجع السابق - ص ١٦١ .

<sup>(2)</sup> BORELLI, Octave Bey; le chute de Khartoum, 26 Janvier, 1885; procès du Colonel Hassan Bey Benhassaoui, Juin-Juillet 1887. Paris, 1893.

تموينه للهاربين من الحامية . ورغم أنه كان يجبرهم على إعلان اعتقادهم في الهدية فإنه كان يتركهم أحياء . وبالرغم من ذلك لم يقبل على الهرب منهم إلا القليل . ولقد كان في استطاعة الميجر كتشنر أن يعترف لهم بذلك خصوصاً وأن مسألة الواجب هنا كانت مسألة معقدة لأنها كانت نجبر الجندي على إطلاق النار على قريب أو زميل له ، ونجبره على تنفيذ أمن قائد أجني لا يتورع عن إهانة مصر والمصريين وأخيراً فلم يكن هناك أي أمل فعلى عن إهانة مصر والمصريين وأخيراً فلم يكن هناك أي أمل فعلى في جدوى القاومة التي أصبحت في ذلك الوقت نوعاً من الانتحار ليس له أي داع .

وعلى أى حال فقد اشترك عدد من كبار الضباط الإنجليز فى الحاكة ثم حكوا بأنه إذا كانت قد وقعت حوادث إخلال فردية داخل حوائط الخرطوم فإنه لم تكن هناك أى خيانة وأن رجال غردون البسطاء من المصريين والسودانيين الموالين لمصر قد قاسوا معه أشد أنواع المقاساة دون أن يثوروا . « وسواء منهم الأحياء أو الأموات فكلهم جدير بالانتساب إليه (١) » . وإنا لنتساءل هنا صراحة عما إذا كان هو جديراً بالانتساب إليهم .

#### سفوط المدينة :

كانت وسائل الدفاع الطبيعية لمدينة الخرطوم هي النيلين

<sup>(1)</sup> DUJARRIC, Gaston; L'Etat Mahdiste du Soudan. Paris, 1901. p. 159.

الأبيض والأزرق من الشمال الغربي والشمال الشرقي . أما الجبهة الجنوبية ، فكانت مفطاة فيا بين هذين النهرين ولمسافة تسعة أميال تقريباً بخط دفاع يتألف من خندق ثم جسر إلى الداخل منه عمل بالأثرية التي استخرجت من الخندق الذي وصل بين فرعي النيل وأسبح مملوءاً بالمياه والأوحال . وكان مجموع هذا الخط الدفاعي يلتف حول المدينة في شكل نصف قوس ينبعج نحو الجنوب. وكانت تحيط بالمدينة أربع طوابى وأخرى على الخط الدفاعي . ولم يكن من بين الـ ٢٤٠ره رجلا الذين يكونون قوة الحامية في آخر أيام الحصار إلا أربعة آلاف من الجنود النظاميين، وكان هناك أربعة آلاف رجل على خط الدفاع الجنوبي وحده بما في ذلك ألف من الأهالي المتطوعين . ﴿ كَانَ الجميع منهوكي القوى من التعب والجوع والأمهاض ، إذ لم يكن هنـاك ما يصلح للا كل في الخرطوم منذ أسابيع عديدة » . ولقـــد أعلن أحد الضباط أنهم كانوا يأكلون الماشية التي أخذوها من أعمالها في الزراعة ، وذلك قبل سقوط المدينة بشهرين ، ثم أخذوا يأكلون الجلد والصمغ . وكان هذا الصمغ يتسبب في الإمساك للبعض، وأصاب البعض الآخر عرض الدوسنتاريا . وانتعى الأمر بغليه قبل الأكل . وقد اعترف هذا الضابط أن نصيبه كان الدوسنتاريا . وكانت السلطات توهم الرجال أن الجيش الإنجليزي سيسل من يوم إلى آخر ، وكان الضباط ينشرون هذه

الأخباركى برفعوا الروح المنوية بين الجنود. وكان غردون نفسه بيندل كل مجهود ممكن حتى يقنع رجاله بذلك . فكثيراً ما تحدث الرجال عن برقيات تعلن قرب وصول الإنجليز ، وفي بعض الأحيان كان البعض يدعى أنه قد رأى دخائ البواخر التى تقلهم (١).

كتب غردون فى هذا الجو الغريب إلى السير ايفيلين بارنج مذكراً إباه أن وزير الخارجية البريطانية قد أرسله للخرطوم لكى يكتب تقريراً عن الحالة السائدة فى السودان طبقاً لتعليات ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ ، وأنه قد عهد للكولونيل ستيوارت بحمل هذا التقرير بعد أن انتهى من كتابته ، وذكر أن علاقته مع كل من وزير الخارجية البريطانية ومع القنصل العام فى القاهرة قد أصبحت منتهية فلن يعتبر نفسه خاصغاً لها بعد الآن وأظهر رغبته فى إعادة البالغ التى استلمها من وزارة الخارجية البريطانية ، وأخلى نفسه من كل مسئولية فى حالة ضياع التقرير ذاكراً أن ليس لديه ضورة منه ، وأبحر ستيوارت وباور فى الباخرة «عباس» حاملين تقرير غردون ، وكان نصيب المندوبين أن قتلهما الثوار وأتلفوا بإخرتهم ، وكان وقوع تقرير غردون وأوراقه التى تعطى تفاصيل

<sup>(</sup>١) شهادة السهد افندى أمين - بكباشي - انظر

BORELLI, Octave; La chute de Khartonm. Paris, 1893. p. 45 et 58.

عن جالة التموين والإمداد والذخائر بالخرطوم فى أيدى المثوار أكبر مساعد لهم على حساب الفترة التى تستطيع العاصمة أن تقاوم فيها .

ولقد نشر غردون بلاغا في ٦ يناير يسمح فيه لكل من يرغب في ترك الخرطوم من الأهالي بحرية الخروج منها . فقرر كثير من الأهالي رغبتهم في الخروج . وكتب غردون خطاباً للمهدى يطلب منه فيه رعاية هؤلاء الأهالي وإطمامهم . لم يبق في العاصمة السودانية إلا ١٠٠٠ من ١٤٠٠ سمة وكان قد خرج منها ١٥٠٠ ومات ٥٠٠٠ من الجوع والمرض .

ولم يكن الجوع وحده هو الذى قضى على قوة رجال الحامية ، إذ أنهم كانوا منهكين من التعب . كان عدده ١٦٦٥ في شهر اكتوبر سنة ١٨٨٤ عا في ذلك الأهالي المتطوعون والقوات غير النظامية ، ولسكن عددهم أخذ في التناقص حتى وصل إلى ٢٤٠٥ في شهر يناير سنة ١٨٨٥ . كانت الأمراض قد قضت على الكثيرين منهم . أما رجال حامية أم درمان فإنهم كانوا قد اضطروا للتسليم للثوار . وكان استمرار ضرب المدينة والطوابي المدفعية نما أسهم في زعزعة الروح المنوية في ظل الجوع والتعب أما الثوار فكانوا يمسكرون في ثلاث نقط حول المدينة ، وكان أما الثوار فكانوا يمسكرون في ثلاث نقط حول المدينة ، وكان الغرب المدينة ، وكان استمراء مدفعيتهم المقامة إلى الغرب المدينة ، وكان وحدات مدفعيتهم المقامة إلى الغرب

وإلى الجنوب من المدينة تشتمل على ١٦ مدفعاً على الأقل بينها عدد من مدافع الكروب. وأصبح ضرب المدينة بقنابل المدفعية أمراً يتكرر يومياً فى خلال شهرى ديسمبر ويناير. ورغم ذلك فإن الضباط كانوا يواصلون التفتيش على الخط الدفاعى ليلا ونهاراً لأنه كان مهدداً تهديداً واضحاً. ولكن القوة أخذت تموز الرجال من جنود ومتطوعين للذهاب إلى مواقعهم ، وكان من الطبيعي ألا تستمر المقاومة بهذا الشكل المة طويلة.

أخذت هجات الثوار تزداد شدة وبأساً في نفس الوقت الذي وهنت فيه قوى الحامية . وكان المهدى يعرف سوء الحالة في الخرطوم فعرض على غردون شروط التسليم . ولكن الجنرال رفض هذا العرض لاعتقاده بقرب وصول حملة الإنقاذ البريطانية . وأخيراً نجد أن عدداً كبيراً من الرجال قد وهنت قواهم في ليلة واخيراً نجد أن عدداً كبيراً من الرجال قد وهنت قواهم في ليلة مح يناير ، ولم يستطيعوا الذهاب إلى مواقعهم عما اضطر بعض الأهالي إلى حمل السلاح ، وأخذ أما كنهم على الاستحكامات . وكانت هذه هي حال العاصمة السودانية وحاميتها وأهاليها عندما وكانت هذه هي حال العاصمة السودانية وحاميتها وأهاليها عندما المحوم شديداً ومركزاً على خط الدفاع الجنوبي خصوصاً على طرفيه غير الحصنين وعلى نقطة ثالثة كان الثوار قد ردموا الخندق فيها وألقوا عليها السقالات ، وكانت تواجه الباب الوحيد الذي فيها وألقوا عليها السقالات ، وكانت تواجه الباب الوحيد الذي

عكن الدخول منه من هذه الناحية (١).

وعندما دقت نوبة « كبسة » قام من كان فى قدرته القيام ، أما الباقون فقد بقوا فى أما كنهم ممددين (٢) .

أسرع النوار وهم يصرخون مارين فوق الجنود الذين كانوا يحرسون النيل الأبيض، ثم طرقوا الألاى الخامس من الخلف. كان جنود هذا الألاى يطلقون النار فى أول الأمر إلى ناحية النيل الأبيض على يمينهم ولكن سرعان ما وجدوا أن المدو الذى كان يسير مع هذا الخط قد أخذ فى مهاجتهم من الخلف، فاضطرت السريتان الثالثة والرابعة إلى تشكيل مربع « وقاوموا حتى النهاية » ، أى إلى أن دخل الثوار بين جنود هذا المربع ، فتجمع الجنود وأخذوا يتقهقرون صوب مكان الألاى الرابع ، وعلى أى حال ، فإن ذلك لم يستغرق وقتاً طويلا ، لأنه سرعان ما اندمج الثوار بين الجنود والأهالى وسادت الفوضى ثم تلها ما اندمج الثوار بين الجنود والأهالى وسادت الفوضى ثم تلها مذبحة ، وقبض الثوار على من بق حياً (٢) .

<sup>(1)</sup> DUJARRIC, gaston; L'Etat Maldiste du Saudan. Paris, 1901. pp. 166-168.

<sup>(</sup>۲) شهادة اساعيل اغا حسن الطويجي – بكباشي ياشبورق باشنجي BORELLI, Octave; La chute de Khartoum. Paria انظر 1893. p. 132.

 <sup>(</sup>۳) شهادة سيد أحمد افندى عبد الرازق – ملازم أول – ٤ جى
 بلوك – باشنجى آلاى . المرجع السابق ص ١٠٥

وقام الثوار بقتل غردون مع عدد كبير من رجال الحامية . و تحدث الإنجليز عن غردون ووصفوه بأنه «شهيد»! وذلك تميداً للثار له من السودانيين ، ولم تكن هذه الحركة إلا لتهيئة الرأى العام لكي يسمح للحكومة في يوم من الأيام بإرسال جنودها البريطانيين إلى الخرطوم والاستيلاء على السودان .

#### رد الفعل فی بریطانیا :

خشيت وزارة الخارجية البريطانية أن يتسبب عن سقوط الخرطوم زعزعة سلطة الخديو في مصر ، فطلبت من قنصلها العام في القاهرة أن يبلغ الخديو أنه يستطيع الاعتباد على تأييد الحكومة البريطانية له ، وأن هذه الحكومة قد منحت اللورد ولسلى جميع السلطات اللازمة لمواصلة النمليات الحربية ، وأنها سترسل إليه كل ما يطلبه من مدد سواء أكان ذلك لإرسال قوات عسكرية إلى سواكن وبربر أو لأبي غرض آخر يطلبه ، وأعلنت حكومة لندن كذلك أنها لن تدخر وسعاً لإنقاذ غردون في حالة ما إذاكان حياً . وما كان من الخديو إلا أن قدم شكره إلى الحكومة البريطانية على تأييدها له في تلك الأزمة الوطنية التي كانت تدل على قرب وقوع كارثة .

أما فى لندن فإن مسؤولية الوزارة قد ظهرت بشكل واضح

بهد وصول أنباء سقوط الخرطوم وبدأ رجل الشارع يحتقر السؤولين ويتهم الحكومة ، وخصوصاً جلادستون الذي لم تكن مسؤوليته في حقيقة الأمر أكبر من مسؤولية غيره . ولقد فقد جلادستون جزء كبيراً من حب الجهور له بسبب سقوط الخرطوم ، وانتهزت الملكة في تقريق الني كانت تنهمه بالإسراع في تفريق إمبراطوريتها هذه الفرصة وانهمته علناً بأنه قد قتل غردون .

حاول جلادستون الدفاع عن نفسه وإبعاد مسؤولية سقوط الخرطوم عن كاهل الوزارة فذكر أن سير جزء كبير من قوات ولسلي بجوار النيل لكي تحتل بربر حسب توجيهات غردون نفسه قد تسبب في تأخير وصولها . وقد كان من الستحيل حتى إذا سارت بسرعة أكبر معرفة تاريخ محدد قاطع لوصولها للخرطوم ، وذلك بسبب الأحوال المحلية للملاحة في النيل . وهكذا نرى أن جلادستون قد وضع مسؤولية سقوط الخرطوم على ﴿ الستشارين العسكريين » للملكة، وهم الذين كانوا قد فشاوا في الاتفاق على اختيار طريق تسير فيه الحملة سواء مع النيل أو من سواكن إلى بربر ، مما تسبب في تأخير أتخاذ قرار في الأمن بشكل واضح . وعلى أي حال فإن ظروف السودان المناخية في تلك الفترة من فترات السنة كانت ستممل حبًا على تأخير تنفيذ الشروع . ولكن كل ذلك لم يمنع القوات البريطابية من تنفيذ الأوام الصادرة إليها. أما فى مسألة سقوط مدينة الخرطوم بالنات فإن جلادستون قد رفض أن ينسب ذلك إلى انتهاء وسائل الدفاع ، ورجع فى تلك المسألة إلى ما أشيع عن وقوع خيانة بين رجال الحامية المصرية هادفاً بذلك إلى رفع المسؤولية عن كاهل القوات والسلطات البريطانية . وأخيراً فإن جلادستون قد أعلن أن المسؤولية البريطانية الوحيدة الحقيقية هى حماية مصر نفسها عند الحدود مع عدم التدخل فيا وراء الصحراء الجنوبية (۱).

ولقد حاول جلادستون في وم ١٩ فبراير سنة ١٨٨٥ أن يخلى الحكومة من مسؤوليها أمام البرلان ولكنه لم ينجح في دفع مشروع القرار الذي تقدم به المحافظون إلا بـ ٢٠٢ سوتاً ضد ٢٧٣، أي أن الأغلبية الحكومية قد نقصت إلى ١٩ سوتاً فقط. وعلى أي حال فإن سقوط الحرطوم كان هو السبب الأسامي والرئيسي لسقوط وزارة جلادستون الثانية ، وأكبر مجهد لحزب المحافظين الذي تولى الحكم للبقاء في الوزارة مدى عشرين عاماً مستمرة تقريباً .

<sup>(1)</sup> MORLEY, Sir John; The life of Gladstone. London, 1903. Vol. III. pp. 167—168.

# الفصل الفاثر عاولة الاحتفاظ بدنقلة

#### مهمة الأمير حسن :

بينها كان اللورد ولسلى في طريقه لنجدة غردون سنحت فرصة للسير ايڤيلين بارنج لكي يظهر هـ فد الحملة أمام كل من المصريين والإنجليز على أنها تخدم مصالح الخديو قبل كل شيء ، ولكي يحاول إحياء مشروع غردون ومشروعــه هو الخاص بإقامة «عمية» بريطانية في الخرطوم وشمال|السودان، أو على الأقل فى مدىرية دنقلة وخاصة بعد أن رفضت وزارة الخارجية البريطانية الاستفادة من الزبير في هذا الشأن . فلقد زاره الأمير حسن أخو الخديو في يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وعرض عليه أمن تعيينه حاكما عاماً في الخرطوم . ومعنى هذا أن الخديو ووزارته كانوا برغبون في الاحتفاظ بسلطتهم على الخرطوم بعد أن قبلوا تنفيذ النصيحة الإجبارية الإنجليزية . وكانت هنـاك حجج كثيرة ومتضاربة بخصوص هـ ذا التميين ولكن السير ايڤيلين بارىج لم يجد مانماً من تنفيذ هذه الفكرة ، خصوصاً وأن العثور على من

يصلح لمثل هذا المنصب لم يكن أصماً هيئاً . أى أن القنصل العام البريطاني في القاهرة كان يوافق على أن يكون لمصر امتداد في الأقاليم السودانية تستطيع انجلترا أن تستفيد منه مثل استفادتها من احتلالها لمصر .

ولقد سألت الحكومة البريطانية اللورد ولسلى رأيه فى هذا الشأن ، ولكن رد القائد العام البريطاني لم يصل إلى لندن إلا بعد وصول أبناء سقوط الخرطوم فى أيدى الثوار . أجاب ولسلى فى ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥ معدداً المزايا التى تمود على أنجلترا من هذه الفكرة وتنفيذها وخاصة أن الأمير كان قد تعلم فى أنجترا . وقد ذكر ولسلى أنه إذا ما أرسله الخديو لكى يبقى مع مدير دنقله لمدة شهر فإن هذا سيكون له نتيجة طيبة جداً . واقترح تعيين الأمير حسن « مندوباً سامياً للخديو لدى القوات البريطانية » ، الأمير حسن « مندوباً سامياً للخديو لدى القوات البريطانية فى السودان ، على أن « يتعهد بتنفيذ جميع المدين والسلطات المدنية فى السودان ، على أن « يتعهد بتنفيذ جميع الرغبات البريطانية قبل تعيينه فى هذا المنصب » (١) .

وهَكذا كان هذا القائد الإنجليزى في شمال السودان يرغب في أن تظل السلطات من كزة في يديه على أن يستفيد من البقاء الشكلي لمثل الخديو معه .

<sup>(</sup>۱) بارنج إلى جرانقيل في ۱۱ و ۱۲ من قبر ابر سنة ه ۱۸۸ (۲) F.O. 141/218. No. 136 and 139.

لم يجد اللورد جرائفيل مانماً من إرسال الأمير حسن إلى دنقلة حسب الشروط التى وضعها كل من السير إيڤيلين بارنج واللورد ولسلى ولكنه أضاف آنه من اللازم أن يشرح له جيداً الا يعمل على تقييد الحكومة الإنجليزية بأى خطة تسمى إلى إعادة السيادة المصرية على السودان (() . وكان من تقيخة ذلك أن طالب اللورد ولسلى — وهو الذي كان على انصال دائم بالأمير وبالحديو — بسرعة إرسال الأمير للسودان لأسباب عسكرية » (()).

أما الخديو فقد تظاهر في بداية الأمر بعدائه للفكرة دون أن يعلن أسباب ذلك ، فرعا كان يخشى من أن تنهمه أسرته بإرساله للسودان للتخلص منه ، ولكن الأمر انتهى بأن وافق الخديو على الفكرة وكذلك فعل نوبار . وأما الأمير فإنه قد رغب في فوض شروطه فصرح للسير إيفيلين بارنج بأنه لن يسافر إلى السودان قبل أن يصدر أمر تعبينه لمنصب الحاكم العام أو حكمدار السودان . وبالاختصار فإنه طالب بأن تركز في يديه جميع السلطات المدنية والمسكرية ، وذلك في كل المديريات والأقاليم

<sup>(</sup>١) جرانڤيل إلى بارنج في ١٢ من فير اير سنة ١٨٨٥

F.O. 141/ 220. Tél. No 50 Chiffré

۱۸۸۰ بارنج إلى جرانفيل في ۱۷ من فبراير سنة ۱۸۸۰ (۲) F.O. 141/221. Tél No 81.

السودانية ، مع ما يتضمن ذلك من معنى بقاء السودان تحت حكم مصر . ولكنه أراد أن يترك الباب مفتوحاً ، فذكر للسير إيفيلين بارنج في نهاية مقابلته معه أنه سيسافر على أي حال إلى السودان، ولكن تعيينه لذلك المنصب سيجعل مهمته أكثر نفعاً . ولم تخف هذه الساومة عن أعين الإنجليز ، وأرادوا الاستفادة منها لبلادهم قبل أى شيء آخر . فشرح القنصل العام البريطاني في القاهرة للاَمير حسن أن جمع السلطات المدنية والعسكرية في يد اللورد ولسلى أمر ضرورى فى تلك الظروف . وكان ولسلى قد أبرق من شمال السودان يمرب عن أمله في أن يقبل الأمير حسن منصب « مندوب سمو الخدو » لدى قيادته المامة ، إذ أنه يعتقد أن وجود الأمير في هذا النصب سيكون كثير النفع . وأخيراً قبل الأمير رغبة البريطانيين في الاحتفاظ بحرية العمل في موضوع سياستهم السودانية وتمهد بأن يتبع تعليات اللورد ولسلى في جميع الشئون ، خصوصاً وأن السير إيڤيلين بارنج كان يشك في حكمة إرساله ما لم بذهب بوصفه مندوبا ساميا فقط ومالم يعلن رسميا انه خاضع لأوامر القائد العام الريطاني (١).

قبل الأمير حسن إذن هذه المهمة بالشكل والشروط التي

۱۸۸۵ من فبرابر سنة ه۱۸۸۵ F.O. 141/213. Secret.

<sup>(</sup> ۱۲ – ثورة )

عرضها اللورد ولسلى ، فترك القاهرة إلى أسسيوط يوم ٢ مارس سنة ١٨٨٥ ، ثم وصل إلى الحدود بعد ذلك بعشرة أيام .

والحقيقة هي أن هذه المهمة كانت قليلة القيمة ، فلم يكن في . استطاعة الأمير أن يفعل أي شيء في السودان، ولم يسمع أحد عنه حتى في أقل الأمور أهمية . ذلك أن الحكومة الإنجليزية كانت قد قررت بعد قتل غردون تنفيذ توصية اللورد ولسلى الخاصة بالاحتفاظ بالنفوذ الإنجلزي في السودان . وكانت هـ نم التوسية تقوم على أساس استمرار احتلال مديرية دنقلة وشمال السودان، وإرسال حملة عسكرية إلى سواكن تحت قيادة الجنرال جراهام، وذلك للاحتفاظ سهذا الميناء ومحاولة فتح الطريق الموصل منه إلى بربر تمهيداً للاتصال مع حملة اللورد ولسلى في سيرها نحو الخرطوم . ولكن مصاعب جمة كانت تمترض هذه العملية المركبة كاأن تهديد الروسيا للأفغان والهندكان واضجأ مما عمل على سحب هذه الحملة من سواكن وسحب حملة ولسلى نفسها من دنقلة . وانتهى الأمر بإخلاء هـنده المديرية الإخيرة وتركها للثوار، بما ألغي كل مبرر للإبقاء على مهمة الأمير حسن -

## أقتراح الزبير باستا :

كان الإنجليز قد الهموا الزبير باشا رحمت بالسمى لإحداث القلاب في مصر وفي السودان، وذلك عرب طريق قواته

التى أرسلت المخدمة مع الجنرال بيكر فى سواكن ، فنفوه إلى جبل طارق كما ذكرنا . ولكن الزبير كان رجلا يضع نفسه فى خدمة بلاده ، فاقترح من منفاه أن يذهب لزيارة المهدى فى أم درمان ويعمل معه لمرفة آرائه ونياته (١). وكان يعتقسأن مثل هذه الحاولة للمفاوضة مع المهدى قد تؤدى على الأقل إلى نتيجة لابأس بها ، وهى منع الأنصار من الهجوم على مصر . وعلاوة على ذلك فقد كان من المكن أن تكون هذه المحاولة نائمة « للمخارات » خصوصا إذا قام بها أحد الاخصائيين فى شئون السودان .

ولكن كلا من حكومتى لندن والقاهرة كانت ترفض الاعتراف باستيلاء الثوار على مقاليد الأمور في السودان وسيسود شعور بالعداء والحقد بينهما وبين السودانيين في خلاله السنوات التالية . وعلى أى حال فإن استمرار هذا الموقف كان في ضالح انجلترا ، إذ أنه كان يعطيها حججاً لكى تبتى في مصر بدعوى حمايتها للخديو ، وخاصة أن الثوار السودانيين كانوا يتهمونه بالعمل ضد عمايى ، وبإحضار « الكفار » إلى بلاد أسلامية والاحتفاظ بهم فيها . وفي حقيقة الأمم كان تهديد ثوار السودان للنظام القائم في مصر تهديداً فعلياً . وهكذا أخذت

<sup>(</sup>۱) بارنج إلى جرانفيل في ه من مارس سنة ه ۱۸۸۵ F.O. 141/221. Tél. No 134

الأمور تدور في حلقة مفرغة وعمل الإنجليز على الاحتفاظ بها في هذا الشكل لأنها كانت تخدم مصالحهم . فما أن تسلم السير إيقيلين باربج اقتراح الزبير حتى أحاله على ولسلى عدو الزبير الأول . ولقد رفض ولسلى بطبيعة الحال هذا الاقتراح بشكل يمنع إعادة فتح الموضوع ، فوصف هذه الفكرة بأنها « جنون مطبق » ، وادعى أن جماعة الزبير قد فعلت أكثر من غيرها للوصول بالحالة في السودان إلى ما وصات إليه (۱) .

انتهت إذن تلك المحاولة للاستمائة بأحد كبار المصريين أو الزعماء المسلمين في الاحتفاظ بالنفوذ المصرى في الخرطوم أو شمال السودان ، وانتهى معها ضمناً ذلك المشروع الإنجليزي الخاص بإقامة محمية بريطانية في ذلك الإقليم . وكان السبب المباشر للمذا هو سقوط الخرطوم في أيدى الثوار ومحاولة اللورد ولسلى الاحتفاظ بحرية العمل العسكرية في ذلك الإقليم وما قد يهيئ له ذلك من فرص جديدة للاستفادة منها في النواحي السياسية فما بعد .

### تأمين سواكن :

فى الوقت الذى سقطت فيه الخرطوم كان السودان الشرقى

<sup>(</sup>۱) بارنج إلى جرانڤيل في ٦ من مارس سنة ه١٨٨٥ F.O. 141/221. Tél. No 136 Secret.

بأكله، فيا عدا ميناء سواكن، تحت سيطرة الثوار بقيادة عمان دقنه . وكان الطريق من سواكن إلى بربر مقطوعاً ومغلقاً أمام السلطات والقوات المصرية – الإنجليزية .

وكانت أنباء حملة اللورد ولسلى قد وصلت إلى الثوار منذشهر نوفير ، فعمل عمان دقنه على الاحتفاظ ععظم قواته حول سواكن لكي يمنع القوات المصرية من الخروج من هذه المدينة والأنجاه صوب بربر . وكذلك أرسل بعض قطع المدفعية إلى قائد الثوار فى بربر لسكى يحاول منع ولسلى من الوصول إلى الخرطوم. وكانت هذه هي المدافع التي أطلق منها الثوار القنابل على بواخر غردون عند وصولها لبربر بقيادة ستبوارت . وقبل نهاية المام صدمت قوات سواكن عوت على بك بخيت وعلى شوجالى رؤساء قبائل بني عام والحلابجه . كانت هاتان القبيلتان قد أدمًا خدمات فائقة في الدفاع عن كسلا ، وكان وجودها على جانب هذه المدينة وعلى طريق عقيق قد منع الثوار من احتلال أى من هذين المركزين الاستراتيجيين . وكان موت شيخهما أكر عامل على حرمان رجال القبيلتين من قيادتهما العسكرية وستصبح قواتهما المحارية قليلة الأهمية بعد ذلك (١) . ومن ناحية أخرى نجد أن سقوط الخرطوم قد وفر كثيراً من الثوار ووجههم صوب شرق السودان حول

<sup>(1)</sup> JACKSON, H. C.; Osman Digua. London, 1926. pp. 86-87.

سواكن وصوب الشمال حول دنقلة لمحاولة وقف القوات الأحنبية الزاحفة .

لم يكن في استطاعة اللورد ولسلى أن يبدأ أي عملية عسكرية قبل نهامة فصل العميف ، ولكنه أراد أن يكسر قوات عثمان دقنه في شرق السودان قبل أن يقوم بأى عجوم على دنقلة . كان هذا تأميناً لجناحه الأيسر عند تقدمه جنوباً ، وقد يمدل انتصار الإنجليز في شرق السودان استيلاء الهدى على الخرطوم ويخفف من حدة وقمه كانت سواكن مفتوحة للقوات الإنجلزية من جانب البحر، كما أن احتلال مواقع طوكر وسنكات كان أمراً سهلاً ويضمنه بناء الخط الحديدى في أنجاه بربر . حقيقة أن ولسلى لم يكن يفكر في بناء سكة حديدية طولها ٢٥٠ ميلاً قبل قيامه بعملية حربية في الخريف صوب الخرطوم ، ولكنه كان يأمل فى أن يكون البدء فى إنشاء هذا الخط كافياً لكي يقدم للثوار الدليل على أن انجلترا لا ترغب في ترك السودان قبل أن تميد النظام وتقيم حكومة ثابتة فى الخرطوم .

كانت السيطرة على بلاد الهدندو. تضمن للبريطانيين مواقع تتمتع بمناخ لطيف نوعاً ويمكن ترك الخيول والجمال فيها لتمضية فصل الصيف.

كما أن هذا الخط الحديدى سيكون له نفوذ سياسي وأهمية

استرانيجية كبيرة علاوة على أهميته التجارية . فقد كان من الصعب جداً ومما يكلف كثيراً إرسال قوات السودان لكي تساعد أي ما كم يقيمه الإنجليز في الخرطوم في عالة احتياجه إلى معونة خارجية مباشرة ، وذلك لأن الصحراوات كانت تفصل السودان عن العالم الخارجي . ولذلك فإن إنشاء خط للسكة الحديدية سينهى عزله السودان . وإذا كانت سواكن قد اتصلت مع بربر بخط حديدي منذ بدء الثورة السودانية لما تمكن المهدى من الوصول إلى ما وصل إليه - أو لوصل إليه ولكن في وقت أطول. . هكذا فكر ولسلى الذي كان يرى في إنشاء هذا الخط خرورة لإرسال الإمدادات ولسحب المرضى والجرحي غند اللزوم . وستكون سواكن وهي نهاية الخط والقاعدة البحرية يحت سيطرة الأسطول الإنجلزي . وأخيراً فإن هذه الفكرة كانت بهدف إلى إظهار العمليات الحربية البريطانية على أنها متينة قوية ، ولا يمكن مقاومتها أكثر مما لو كانت هذه العمليات لا تستند إلا إلى خط مواصلات واحد يسير مع النيل جنوباً . والحقيقة هي أن ولسلي لم يفعل شيئًا أكثر من اقتباس فكرة غردون القدعة الخاصة بالقضاء على المهدية مستنداً إلى دنقلة وسواكن والقاضية بتجميع القوات في بربر قبل الهجوم ، ولَـكنه أظهرها في ثوب جديد .

ولقد وافقت الحكومة البريطانية على هذه الفكرة الموجهة

قبل أى شيء ضد قوات عنمان دقنه فى نفس الوقت الذى ستقوم فيه الحلة الأخرى بالهجوم ابتداء من دنقلة . أنحذت الوزارة البريطانية هذا القرار بعد ١٢ يوماً من نزول القوات الإيطالية فى مصوع (٥ فبراير سنة ١٨٨٥) وبعد ١٣ يوماً من وصول أنباء سقوط الخرطوم . وكان من الواضح أن الحكومة البريطانية كانت علاوة على رغبتها فى الانتقام لمقتل غردون — لا ترغب فى ترك حربة العمل التامة للإيطاليين على سواحل البحر الأحمر . ولكن ليس هناك فى دور المحفوظات ما يظهر خوف الإنجليز من الأطاع الإيطالية فى سواكن بنوع خاص .

وعلى أى حال فقد وقع اللورد هارتنجتون وزير الحربية البريطانية اتفاقاً مع شركة لوكاس وأيرد Lucas & Aird في البريطانية اتفاقاً مع شركة لوكاس وأيرد Lucas & من سواكن الا من فبراير سنة ١٨٨٥ لبناء خط سكة حديدية من سواكن وفي اتجاه بربر، وذلك على مماحل تحدد فيا بعد، وخط آخر في داخل سواكن نفسها . وفي نفس اليوم أصدر وزير الحربية أمما بتجميع ١٢٥٣٠ جندياً بريطانياً في سواكن، وذلك في الفترة بين بتجميع ١٢٥٣٠ جندياً بريطانياً في سواكن، وذلك في الفترة بين برواهام (١) . وهكذا ظهر جلياً أن انجلترا كانت ترغب في القيام جراهام (١) . وهكذا ظهر جلياً أن انجلترا كانت ترغب في القيام

<sup>(</sup>۱) اللورد هارتنجتون إلى الجنرال السيرج . جراهام في ۱۷ من فيراير سنة ۱۸۸۵ - انظر :

S.P. Vol. LXXXIX, Egypt. No 9 (1885). (c. 4345). No 9. p. 3.

بعملية مشتركة من النيل ومن سواكن صوب الخرطوم ممتكنة فى ذلك على خط سكة حديدية لمداومة الانصال بالحاكم الجديد الذى ستنصبه فى الخرطوم . ولم يكن فى استطاعة جلادستون أن يذكر فى هذا الوقت أن هذه العملية تنسجم مع كفاح الشعب السودانى للحصول على حريته كما ادعى من قبل! ذلك أن المناصر المسكرية فى الوزارة البريطانية كانت قد نجحت فى فرض سياستها على الحكومة ، ولهذا فإنا لا نجد أى فرق بين سياسة حزب الأحرار وسياسة حزب المحافظين فى هذه المسألة . وأصبح المدف هو الوصول للخرطوم . وكانت انجلترا قد تركت الثورة تقضى على الإدارة الحديوية ، ثم فكرت انجلترا فى مهاجمة الثورة قبل أن تضمد جراحها وتستفيد من الموقف .

## الجنرال جراهام في سواكه :

ما أن وصل الجنرال جراهام إلى سواكن لقيادة القوات البريطانية في تلك المنطقة حتى تسلم تعليات وزارة الحربية البريطانية توجهه فيها إلى تنظيم القوات الموضوعة تحت قيادته للعمليات قبل أن يبدأ فصل الصيف الشديد الحرارة ، وأن يعمل على توفير وسائل النقل اللازمة لتحقيق الهدف الأول للحملة وهو القضاء على قوات عثمان دقنه . ثم كان على الجنرال بعد ذلك ألا يضيع الوقت في مهاجة جميع النقط التي تحتلها قوات الثوار في شرق

السودان . وكان عليه أيضاً أن يهتم اهماماً جدياً عسالة بناء خط السكة الحديدية من سواكن إلى بربر . وفي حالة عدم عكن اللورد ولسلى من احتلال بربر فى ذلك الصيف ، فلم بكن من الحكمة مد السكة الحديدية من سواكن إلى أبعد من أرياب ، بل كان على الجنرال جراهام أن يخزن فى أرياب جميع المواد اللازمة لبناء الجزء الآخر من الخط الحديدي بين أرياب وبربر — وتبلغ مائة ميل — وذلك فى انتظار استئناف الأشغال بمجرد بدء الفصل المعتدل المناخ ، وبمجرد استيلاء قوات اللورد ولسلى على بربر . وأخيراً فقد كان الجنرال جراهام تحت قيادة وأوامي الجنرال اللورد ولسلى القائد المام ، وعليه أن يتصل به برقياً بطريق مباشر (۱) .

تسلم الجنرال جراهام قيادته في سواكن في يوم ١٢ مارس سنة ١٨٨٥ . وكان ممسكر الحلة من الاتساع بشكل يساعد الثوار على مهاجته كل ليلة وفي مناطق متعددة منه مما منع الرجال من الراحة وتذوق طعم النوم . وكانت قوات عثمان دقنه تبلغ حوالي مها ألف في هاشين و ٢٠٠٠٠ في تماى وهو مركز القيادة العامة ، بينما بقيت وحدة أخرى في طوكر للدفاع

<sup>(</sup>۱) هارتنجتُون إلى جراهام في ۴۰ من فير اير سة ۱۸۸۵ – المرجع السابق – وثيقة رقم ۱۹. ص ۹ .

عنها . وهكذا نرى أن قوات الثوار كانت مركزة على طول خط عتد من هندوب إلى هاشين إلى تماى . ولما كانت القوات الموجودة في هاشين تهدد تقدم البريطانيين صوب تماى وهي هدف الحلة ، فإن الجنرال جراهام قد صمم على أن يقوم بعملية استكشاف صوب هاشين . ولقد تحركت القوأت البريطانية من سواكن في صبيحة يوم ٢٠ مارس مما اضطر قوات الثوار إلى التقهقر أمام تقدمها محافظة بذلك على مسافة كيلو مترىن بينها وبين البريطانيين . ولقد تمـكن البريطانيون من بناء زريبة وتركوا فيها إحدى الكتائب وأربعة مدافع بينما عادت بقية القولمت إلى سواكن . كانت هذه الزريبة تتحكم فى وادى هاشين مما يساعد على حماية الجناح الأيمن لقوات جراهام ولخط المواصلات اللازم للممليات المقبلة مع تماى . وفي صبيحة يوم ٢٢ مارس خرج البريطانيون في قوة تبلغ لوائين تؤيدها مدافع « جاردبر » الرشاشة وذلك لبناء ثلاث زرائب إحداها تكنى لحماية ألني جمل والآخرين إلى جانبها وكل منها لأجل كتيبة . وبدأ العمل عند توفريك على بعد ستة أميال من الزريبة الأولى وقام به أحد اللواءات بينما قال اللواء الآخر بحاية الجال ودواب الحل . ولقد هاجم الثوار إحدى الزرائب في وقت العصر وقبل أن يتم العمل تم بدءوا في مهاجمة الزريبة الثانية ، ولكن نيران المدافع الرشاشة كانت قد اعدت لاستقبالهم ، واضطرتهم إلى الانسحاب () . ولم تستمر هذه المركة في حقيقة الأمن أكثر من عشرين دقيقة انتهت بتكبيد الثوار خسارة تصل إلى ألف قتيل بينا كانت خسارة البريطانيين جسيمة جداً في الجال والخيول ودواب النقل ، ولقد اثبتت هذه المركة أهمية استخدام المدافع الرشاشة في العمليات الحربية في السودان ، وكانت هي أهم معركة يخوضها البريطانيون في شرق السودان ، وكانت هي أهم معركة يخوضها البريطانيون في شرق السودان ، ولقد تمكن الإنجليز من بناء الزرائب ولم يتم الثوار عهاجتها بل إنهم اضطروا إلى سحب قيادتهم من تماى ،

حاولت القوات البريطانية الاستيلاء على تماى فى أول إبريل ولكن الثوار قاوموها مقاومة باسلة واضطروها إلى الرجوع إلى زرائبها فأصدر جراهام أص، بوقف العمل فى إنشاء السكة الحديدية حتى يضع كل قوته فى المركة . وفى اليوم التالى خرجت القوة البريطانية فى شكل صبع ، وصعد الجنرال جراهام فى أحد الناطيد للاستكشاف ، ولم يكن عدد الثوار كبيراً مما سمح لتلك القوة البريطانية ( ١٣٠٠ جندى ) باحتلال القرية والسيطرة على الخور المجاور دون أن تلقى مقاومة تذكر . وتقهقر الثوار إلى داخل التلال وأرادوا استدراج البريطانيين وراءهم فى هذه الأرض

<sup>(1)</sup> JACKSON, H.C.; Osman Digna. London, 1926. pp. 94-97.

الصعبة وإبعادهم عن قاعدة عملياتهم . ولكن جراهام رأى خطورة ابتعاده كثيراً عن قاعدته . وعلى أى حال فإن جراهام قد احتل « هندوب » في يوم ٨ أبريل حتى بهيمن منها على الطريق الذي قد يستخدمه الثوار في الرجوع لمهاجمة سواكن نفسها .

وقد ابتعد كل خطر عن سواكن بعــد معركة توفريك واحتلال تمای وهندوب ، وأصبح فی مقدور جراهام أن ببدأ في تنفيذ الحزء الثاني من تعلياته ، وهو بناء الخط الحديدي في أتجاه بربر، فبدأ محادثاته مع رجال القبائل المجاورة لكي يكسب , ودهم ومعاونتهم اللازمة لضمان سلامة الخط بعــد بنائه . وكان هؤلاء الأهالي في حالة بؤس اقتصادي لا يحسدون عليه . فاقترح عليهم جراهام إعطاءهم بعض الإعانات لكي يكسبهم إلى جانب السلطات المصرية « البريطانية » . ثم اقترح على لندن بعد دلك في ١٢ إبريل أن يؤكد لهؤلاء الأهالي أنهم يستطيعون داعاً أن يطلبوا المعونة البريطانية التي ستضمنها بقاء القوات البريطانية بشكل دائم في سواكن . ولكن اللورد ولسلى تسلم بعد ثلاثة أيام أمراً وقف إنشاء خط السكة الحديدية . ولقيد كان من الضرورى لأنجلترا أن تحتفظ بسواكن ، ولـكن الوزارة لم تسمح لجراهام بأن يعطى مثل هذا التعهد لرجال القبائل بشكل قد يتعارض مع سياسة الحكومة البريطانية .

# الفصت لي المحادي عشر الإخلاء التام

## انسحاب حمد: مراهام :

كان السير إيقيلين بارنج قد كتب خطاباً شخصياً إلى اللورد جراشيل في أوائل شهر إبريل سنة ١٨٨٥ يطلب فيه من الحكومة البريطانية تقرير سياسة خاصة محددة في السودان وينصح فيه بعدم إقامة أي نوع من الحكومة في السودان في ذلك الوقت . وقد ساعد هذا الخطاب على أن تفكر الوزارة البريطانية في المسألة السودانية في داخل محيط السياسة العامة البريطانية .

كان الموقف على حدود الهند ينذر بالحرب ولم يخف الروس نيهم فى الهجوم على أفغانستان . وإن هجوماً روسياً على الهند مصحوباً بورة القوات السلحة فى هذه البلاد الأخيرة سينتهى بلا شك إلى أن تفقد انجلترا سيطرتها على تلك الإمبراطورية . ولذلك فقد كان من الصواب أن تتخلى انجلترا عن مواصلة حملتها ضد الخرطوم ، وأن تعمل على سحب قواتها إلى مصر نفسها . وكان هذا هو السبب الذي دفع اللورد هار تنجتون إلى إرسال

رقيته إلى اللورد ولسلى فى ١٣ إبريل، يطلب منه فيها بحث الإجراءات اللازمة نسحب القوات من السودان فى أقرب وقت ممكن . وكان من الطبيعى أن يوقف تقدم القوات البريطانية الزاحفة من سواكن فى نفس الوقت .

ولكن ولسلى طلب إلى حكومته أن نحيطه علماً بنياتها وخصوصاً فى مسألة دنقلة ووادى حلفا وكروسكو وأسوان، مدعياً أنه لايمرف أى واحدة من هذه النقط الاستراتيجية ستصبح نقطة الحدود فى حالة سحب جميع القوات من السودان؟ وطلب الإذن بالاحتفاظ بوادى حلفا وكروسكو بصفة نقط أمامية، وطلب وضع لواء من الجنود كامية فى أسوان، وأوصى بمراقبة النيل ببواخر مسلحة ومجهزة برجال من البحرية البريطانية أمام الشلال الأول وخلفه، وبضرورة نشر بلاغ رسمى من لندن يشرح أن الحكومة البريطانية مصممة كل التصميم على إبقاء حامياتها فى مصر، وذلك فى نفس الوقت الذي يذاع فيه خبر الانسحاب ولضان سلامة القوات التى ستنسحب لمصر ().

لم یکن لدی ولسلی إلی الجنوب من أسوان إلا ٥٠٠٠٧ جندی بریطانی محارب ، وکان من الضروری أن محتفظ فی حالة

۱۸۸۵ (۱) ولسلى إلى هار تنجتون في ١ من أبريل سنة ه ١٨٨٥ (١) S.P. Vol. LXXXIX, Egypt. No 13 (1885). [c. 4392]. No 29. p. 22.

الإخلاء بـ ٢٥٠٠ جندي على الحدود مما لا يوفر للإمبراطورية إلا ٥٠٠٠ جندى فقط للخدمة في المادين الأخرى . تم إن الانسحاب من دنقلة سيعطى هـ ذا الإقليم للثوار، ويضمن لهم انضام العبايدة والقبائل الأخرى التي كانت تسكن بالقرب من الحدود ، والتي كانت لا تزال تتردد بين الولاء لمصر ، والولاء للمهدى . وكارت بقاء الإنجليز في دنقلة يهدد الثوار لدرجة ما وبحول بينهم وبين التوسع في ناحية الشمال، ويشجع خصومهم على الاستمرار في مناوأتهم. وكان وجود البريطانيين في دنقلة بسهل عليهم أمن الزحف في السودان ، خصوصاً إذا ما سنحت الفرسة ، أو في حالة اختفاء المهدى من مسرح السياسة . ولذلك فإن ولسلى أوصى بالاحتفاظ بدنقلة لأنها تتفق مع ﴿ الـكرامة الوطنية » البريطانية ، وتتمشى مع السياسة الإنجليزية في مصر وقبل جلاء قوات جراهام عن سواكن إذا لرم الآمن . وشدد فى توصيته بالاحتفاظ عديرية دنقلة لـكى عنع الثورة من الوصول لمصر ، ولكي يضمن ولاء القبائل المجاورة للحدود ، وعنم قيام . الاضطرابات والثورات المحلية المتفرقة ، التي قد تنتج عن إخلاء السودان وتضطر انجلترا إلى زيادة حامياتها البريطانية في مصر وإلى احتلال المدن الكبيرة في الصعيد احتلالا عسكريا(١).

<sup>(</sup>۱) ولسل إلى هارتنجتون في ۱۵ من أبريل سنة ۱۸۸۵ – المرجع السابق – وثيقة رقم ۳۲ مس ۲۳ .

شرح ولسلى لحكومته أنه من وجهة النظر المالية والمسكرية وفيا يتملق برفاهية مضر نفسها ، يجب حصر ازدياد قوة الهدى بهزيمته هند الخرطوم وليس بمجرد اتباع سياسة دفاعية بحتة عند الحدود في أسوان أو وادى حلفا . كانت معظم الاستعدادات لهذا الزحف قد تمت ، ومعظم المساريف اللازمة قد أنفقت بالفعل . أرسل ولسلى من مصر بهذا التحذير إلى لندن : « إذا تركنا دنقلة فإن أحوال هدفه المنطقة ستصبح مماثلة لأحوال الخرطوم الحاضرة . سيكون هذا هو ما جلبناه على حليفنا الخديو في إحدى مديريانه الرئيسية ، وكل ما جلبناه على هذه المديرية نفسها . لقد وجدناها في حالة سلم وأمن — نسبياً — وسنتركها فريسة للنهب والقتل »(١) .

ولكن حكومة لندن لم تكن تفكر إلا في تجميع جميع الموارد العسكرية للإمبراطورية ووضعها في خدمة استعارها في الهند . وكانت ترغب في أن تتحاشى كل عمل قد يؤدى حتى إلى رد فعل معاد مثل تنظيم أسطول من السفن الصغيرة على النيل أو بناء خط السكة الحديدية في وادى حلفا . وبطبيعة الحال كانت حكومة لندن تحتفظ لنفسها بكل حرية للعمل في الستقبل .

 <sup>(</sup>۱) ولسلى إلى هارتنجتون فى ۱۱ من ابريل سنة ۱۸۸۵ – ألمرجع
 السابق – وثيقة رقم ۵۲ ص ۳۵ .

أما فيما يخص سواكن فإن البرقية التالية تلخص موقف هذه الحكومة تلخيصاً عاماً: ﴿ يجب وقف مد خط السكة الحديدية من سواكن إلى بربر مع وقف العمليات الفعلية على النيل ؛ ولكن نظراً لضرورة الاحتفاظ بسواكن في الوقت الحاضر فقد يكون من الضروري احتلال محطة أو محطات قريبة منها ، ويجب استشارة السلطات المسكرية في هذا الشأن ، وكذلك في أمن. اختيار نقطة معينة تصبح نهامة خط السكة الحديدية. وستبحث فيا بعد مسألة الخط الحديدي الذي سيبني في المستقبل. وستحتفظ الحكومة بحامياتها في مصر للدفاع عن الحدود(١) ». وهكذا نرى أن وزارة جلادستون قد عادت وقررت الانسحاب من السودان وتحديد الحدود الجنوبية لمصر عند خط ستقف عنده لمدة اثنى عشر عاماً . وفي يوم ٢١ من إبريل سنة ١٨٨٥ أعلنت الحكومة البريطانية رسمياً في كل من مجلس العموم ومجلس اللوردات أنه ليس لسها أي نية للزحف على الخرطوم أو للقيام بأبة عملية هجومية أخرى في السودان وأن اللورد ولسلى قد تسلم الأوام، الخاصة بذلك في أسر ع وقت ممكن .

ذهب ولسلى إلى سواكن لدراسة الحالة وخاول الاحتفاظ بقواته في دنقلة إلى أطول وقت ممكن . وكان الجنرال جراهام

<sup>(</sup>۱) هارتنجتون إلى ولسلى ق ٢٠ من أبريل سنة ١٨٨٥ – المرجع السابق – وثيقة رقم ٤٠ ص ٢٥ .

يطالب من سواكن بضرورة الساح له بالقضاء على قوات عمان دقنه قبل انسحاب حملته من شرق السودان . ولقد تلكا ً الجنرال ولر Buller الذي خلف ولسلى في فيادة قوات دنقلة بعد سفره إلى سواكن في ترحيل الجنود للشمال وانتهزت السلطات البريطانية هذا التلكؤ وادعت أن النية كانت متجهة إلى الاحتفاظ باحتلال دنقلة . وكان السير إيقيلين بارنج يتفق في هذه المألة مع الجنرال تشارات ويلسون والميجر كتشنر فادعى أن إخلاء دنقلة لن يوفر إلى عدداً بسيطاً من الجنود البريطانيين ، وذلك بسبب ضرورة الاحتفاظ بقوة للدفاع عن الحدود بشكل دائم وبسبب ضرورة زيادة عدد جنود الحاميات البريطانية في مصر . وأشار إلى أن التقارر الآتية من الصعيد مثيرة للقلق، وطلب إلى حكومة لندن أن تميد النظر في هذا الجزء الخاص من سياستها ، وأوصاها بترك القوات البريطانية في دنقلة لمدة ستة أشهر أو حتى إلى نهاية العام . ولقد عزز السير إيڤيلين بارنج فكرة ويلسون الخاصة بإعطاء إقليم دنقلة لعبد القادر حلمي باشا والإسراع في تنظيم قوات من الجنود السود وسحب القوات المصرية منه في أقرب وقت ممكن (١) . وهكذا كانت هذه الفكرة تهدف إلى إخراج الجنود المصريين وإبدالهم بجنود سودانيين تحت إمهة

<sup>(</sup>۱) بارنج إلى جرانڤيل في ٣ من مايو سنة ه ١٨٨٥ F.O. 141/214. No 378.

عبد القادر حلمى الذى مسيحكم هذا الإقليم باسم الخديو ولكن تحت المراقبة المباشرة للسلطات البريطانية في القاهرة، فكرة في ثوب جديد، وإن كانت تدور في رأس السلطات البريطانية في القاهرة منذ زمن.

وعلى أى حال فإن أم جلاء قوات جراهام عن سواكن قد أصبح مقرراً وترك معظم الجند البريطانيين هذه الميناء قبل نهاية شهر مايو تاركين فيها الوحدات الهندية . وهكذا تركت الجملة البريطانية الثانية في شرق السودان هذا الإقليم بمد أن بلغت تكاليفها أكتر من ٧٥٠ ألف جنيه استرليني أنفقت دون الحصول على أية نتيجة . كان البريطانيون قد نجحوا في قتل بضعة مئات من الثوار في هذا الإقليم ، ولكنهم لم ينجحوا في القضاء على قوات عثمان دقنه ، وظل الطريق إلى بربر مقطوعاً ومقفلاً وأوقف الممل في إنشاء الحط الحديدي . وقد عاد عثمان دقنه إلى كسلا قرب ثهاية المام وأصبح يسيطر على كل السودان الشرق فيا عدا ميناء سواكن .

#### اخمر و نفلہ :

بينما كان اللورد ولسلى في سواكن طلبت وزارة الخارجية البريطانية — وهي التي كات ترغب دائمــاً في الاحتفاظ بالجزء

الذي تم إنشاؤه من السكة الحديدية من سواكن لعملية أخرى مقبلة - من السير إيڤيلين بارنج أن يسأل حكومة القاهرة عن « إمكان إقامة إدارة في جزء من مدرية دنقلة » (١) . ولكن بار بج لم يكن برغب في إدخال مصر في هذه السألة بطريق مباشر ، فذكر أن أمله في إنشاء إدارة ثابتة الأركان في هذه المنطقة ضميفاً ما دامت الحكومة البريطانية ترفض ترك القوات اللازمة فيها ريَّما يتم إنشاء قوات وطنية تقوم بالدفاع عن هذه الإدارة . وأصر السير إيڤيلين بار بح على أن مسألة إقامة إدارة في منطقة دنقلة هي مسألة عسكرية ، أي أنه كان يسى إلى ترك هذه النطقة محت سلطة القوات العسكرية البريطائية حتى يبعد احتمال العود بها إلى مصر أو حتى الاستمانة بإحدى الشخصيات المصربة في هذا المشروع ما لم نسكن الشخصية ستاراً تعمل نحت إمرة السلطات العسكرية البريطانية الباشرة وبطريقة مستقلة عن الحكومة الخدوية في مصر نفسها . ولقد أظهر ولسلى أنه عكن الاحتفاظ عدرية دنقلة عن طريق مدالسكة الحديدية حتى حنك وإقامة قوة عسكرية بريطانية فيها مؤيدة بقوات مصرية في وادى حلفا، وتعتمد على أربع بواخر مسلحة في النيل ووحدات من الجنود السود .

<sup>(</sup>۱) جرانڤيل إلى بارنج في ۹ من مايو سنة ه۱۸۸۵ F.O. 141/220. Tél. No 135.

ثم تشاور السير إيڤيلين بارنج مع نوبار وعبد القادر حلمي والكولونيل واطسون ثم كتب إلى وزارة الخارجية البريطانية: لا إننا متفقون في الرأى على أن محاولة إقامة حكومة في دنقلة ستكون عدمة القدمة في حالة ما إذا جلت القوات البريطانية في الحال » . وأشار إلى أن السلطات المصرية لم تـكن قد وافقت على قرار أنجلترا الخاص بسحب قواتها من دنقلة . ذلك أن نوبار باشا كان قد طلب من السير إيڤيلين بارنج أن يرسل نداء أخيراً باسم الحكومة المصرية إلى الحكومة الإنجليزية ، وذلك لكي تؤجل جلاء القوات البريطانية عن دنقلة لمدة ستة أشهر ، وأن تترك لما بهذه الطريقة الوقت اللازم لإقامة حكومة محلية . وكان نوبار باشا يحشى أن يؤثر جلاء القوات البريطانية عن دنقلة في الحالة في مصر نفسها خصوصاً في مديريات الصعيد. وكان يعرف أنه سيضطر في حالة اضطراب الأمن والنظام إلى أن يستنجد بالحكومة البريطانية .

ولكن وزارة حزب الأحرار كانت تعيش آخر أيامها في الحكم فأصدرت أمهها بإخلاء دنقلة . ثم جاءت وزارة المحافظين وأعلنت أن أحداً ان يتحدث عن الجلاء عن مصر قبل أن نقوم انجلترا بالمهمة الموكول بها إليها هناك . وأراد اللورد ولسلى الاستفادة من وصول المحافظين إلى الحكم للاحتفاظ باحتلال مديرية دنقلة بل وبرسم سياسة الهجوم على الخرطوم من جديد .

فذكر ف ٢٧ يونيو أنه ليست هناك قوة حدود تستطيع وقف الهدية خارج حدود مصر ، وأن على انجلترا أن تقضى على الهدى إذا كانت لا تريد أن يقضى هو على قواتها في مصر . وكان يرى أن الرحف في وقت الخريف على الخرطوم وإذافة قوات الهديين طعم الهزيمة في بلادهم سيعمل على تقصير عمر إمبراطوريتهم . وكانت هذه العملية بسيطة ونتيجتها مضمونة في رأى ولسلى (١) .

ولكن الوزارة البريطانية الجديدة لم تشارك ولسلى في قبول هذه الفكرة وإرسال حملة ضد الخوطوم ، ولكنها أظهرت رغبتها في الاحتفاظ عدرية دنقلة واستمرار احتلالها ، فطلبت من ولسلى إبقاء جنوده هناك وإرسال تقرير عن القوات اللازمة لمثل هذا الاحتلال . ولكن بولركتب من الحدود يظهر خوفه من عدم تمكنه من العثور على القمح والمواد الغذائية للجنود في دنقلة ، وطلب الساح له بالانسحاب إلى عكاشة والمودة إلى احتلال دنقلة بعد وصول التموينات اللازمة . كان إعادة احتلال دنقلة أمراً سهلاً ولكنه كان يتطلب حملة جديدة على أي حال . ولذلك فإن ولسلى قد اقترح إرسال كتائب جديدة لاحتلال دنقلة تأخذ مكان الكتائب الموجودة فها والتي ستحضر إلى مصر للراحة . ولكن الجنرال بولر أشار إلى عدم إمكان الاحتفاظ بدنقلة بالجنود الوطنيين الموجودين هناك ، ثما اضطر وزارة المحافظين إلى تقرير

۱۸۸۵ ولسل إلى وزير الحربية في ۲۷ من يونيو سنة ه ۱۸۸۵ (۱) S.P. Vol. XLVI (84-85). ARMY. (c. 4472). No 3. pp. 3-4.

وتأكيد أمن الانستحاب الذي أعطته الوزارة السابقة لها . وأصبح من الضروري أن يستمر هذا الانسحاب إلى النقطة التي يحكم اللورد ولسلى بأنها الأصلح للدفاع عن مصر . ولكن حكومة لندن رفضت التخلى عن خط السكة الحديدية وأظهرت رغبتها في مده .

وهكذا نرى أن آخر القوات البريطانية في دنقلة تخليها في يوم ٥ من يوليو سنة ١٨٨٥ ، وتمود بكل ما استطاعت أن تمود به من سفن وتموين ، وتمت هذه الخطة الخاصة بالتقهقر طبقاً لترتيبات الحكومة الإنجليزية حتى المواقع الدفاعية القريبة من السكة الحديدية عند وادى حلفا . وكان على اللورد ولسلى نفسه أن يترك مصر إلى أنجلترا .

ولقد انتشرت الأخبار في منتصف شهر يوليو عن موت الإمام الهدى ثم تأكدت وخلفه عبد الله التعايشي ، وكان مشهوراً بنشاطه ، ورأى الإنجليز أنه سيتمكن من المحافظة على الدولة الهدية . كانت فرصة موت الإمام المهدى تشجع انجلترا على التفكير في معاودة الهجوم . ولكن جلاء قواتها عن السودان من ناحية والخوف من مهاجمة الثورة من ناحية أخرى أجبرا انجلترا على التريث .

#### ففر کسمو :

بقيت تسوية مسألة الحاميات المصرية الموجودة بين مصوع والخرطوم بعد جلاء القوات البريطانية عن سواكن وعن دنقلة . كانت الحكومة البريطانية قد وقعت في بداية شهر يونيو سنة ١٨٨٤ على معاهدة مع ملك الحبشة تسمح له فيها بحرية المرور من مصوع وتعطيه إقليم بوغوص ، وقد وعد ملك الحبشة فى نظير ذلك بنجدة الحاميات المصرية الموجودة في إقليم كسلا وإنقاذها ، وكانت الأوام التي أصدرتها سلطات القاهرة اقائد الحدود الحبشية مطابقة للمعاهدة . فكان على المصريين قبل ترك معسكراتهم أن يسلموا الأبنية الحكومية للأحباش أو ينسفوها في حالة عدم وجود قوات حبشية منعاً من وقوعها في أبدى الثوار . وكانت سلطات القاهرة تخشى من أن يقوم عــدد من جنودها وخصوصاً من كان منهم من أبناء الإقليم أو من المنزوجين بنساء من الإقليم رفض الانسحاب أو إعطاء أسلحتهم للاحباش، فاختارت ماسون بك ( وكيل محافظة مصوع )، وأعطته كل السلطات اللازمة لإغراء الجنود على الانسحاب، وتنفذ الأمن الخاص بتسليم أسلحتهم للأحباش حتى ولو اقتضى الأمر الاتفاق مع رؤساء الأحباش بهذا الخصوص(١).

<sup>(</sup>۱) ایجرترن إلی جرانفیل قی ۱۱ من یولیو سنة ۱۸۸٤ F.O. 141/194. No 708.

ولقد أظهر يوحنا الرابع ملك الحبشة رغبته فى خلال شهر نوفير فى إرسال حملة إلى كسلا وفى إنقاذ القلابات ، وطلب حضور أحد الضباط المصريين للتفاوض معه ، وجاءت الأخبار تدل على أن حامية كسلا قد أصبحت فى موقف يأس ، ورغما من ذلك فإن ملك الحبشة لم يفعل أى شىء أكثر من إعلان نيته لإنقاذ هذه الحاميات ، ولكنه بتى ساكتا منتظراً سير الحوادث وتطورها فى السودان .

سقطت الخرطوم كما نعرف في يوم ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ في أيدى الثوار، وفي أول فبراير حضرت السفن الإيطالية محملة بالجنود أمام مصوع، ولقد اعتقد الكولونيل شيرمسيد حاكم سواحل البحر الأحمر ان الاحتلال الإيطالي لمصوع سيعطى فرصا جديدة لكل من العرب والأحباش في شرق السودان، ولكن السير إيڤيلين بارنج أبلغه بأن جزءاً من قوات ولسلى قد تصل إلى سواكن ولكن ليست هناك أي حملة مصرية أو انجليزية ذاهبة إلى كسلا التي كان على حاميها أن تقرر الخروج والسير صوب البحر الأحمر أو مفاوضة المهديين.

ثم بدأ تموين كسلا في النقصان وحاول بمض الإنجليز الاستفادة من وجود الايطاليين في مصوع لإنقاذ حامية كسلا ولكما لم تكن سياسة رشيدة أو في صالح انحلترا . وعلى أي حال ، فقد تمكنت حامية اماديب من الانسحاب وسافر بعض

جنودها إلى السويس وصار رفت الباقين محلياً، ثم تم إخلاء القلابات في ظروف حسنة إذ أن الصاغ سعد افندى قد تمكن بالخروج بجنوده وأحضر معه ألف شخص من الأهالى علاوة على النساء والأطفال واتجه بهم صوب البحر . ولكن النفوس كانت قلقة بالنسبة لما يحدث في كسلا.

ولقد اقترح شيرمسيد إعطاء مساعدات للحبشة تشجيعاً لها على إنقاذ حامية كسلا وأوصى بإعطائها ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ جنيه وكمية من الأسلحة لحضها على القيام بهذه العملية (١١ ثم وصل ماركو بولو بك ، وكيل محافظة مصوع في يوم ١١ أغسطس إلى أسمره لكي يطلب من الرأس علولا نجدة حامية كسلا طبقاً للمعاهدة المعقودة في ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ مع مصر وأنجلترا ، وذكر له أن الحكومة الخديوية مستعدة لإعطائه أي مساعدة يطلبها في هذا السبيل . ثم أعطاه مبلغاً من المال وطلب من عزت بك محافظ مصوع إرسال ألف بندقية رمنجتون و ٢٠٠٠ و يلل للرأس الحبشي (١٥ ولكن ما أن وصل هدذا الموظف إلى ريال للرأس الحبشي (١٥ ولكن ما أن وصل هدذا الموظف إلى

<sup>(</sup>۱) ایجرٹون إلی سالسبری فی ۲۹ من یولو سنة ۱۸۸۵ F.O. 141/221. Tél, No. 376.

<sup>(</sup>۲) خطاب ماركوبولو بك إلى الكولونيل شير مسيد – أسمره في اول من اغسطس ۱۸۸۵ ملحق بتقرير ايجرتون إلى سالمبرى في أول سبتمبر ستة ۱۸۸۵

F.O. 141/215. No 621.

سواكن حتى أعلن سقوط كسلا في أيدى الثوار .

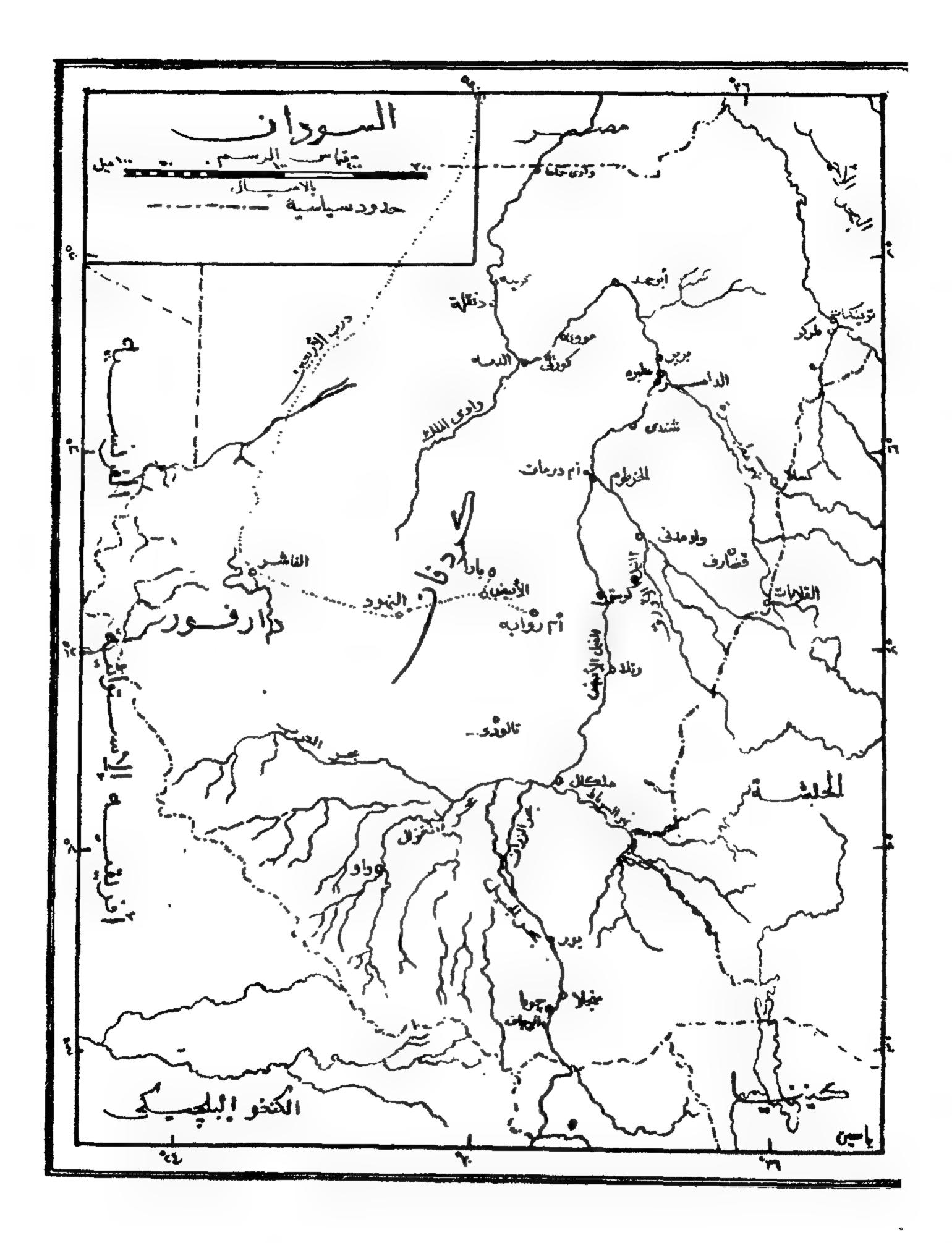
كان الأهالى قد أنوا فى أثناء فترة الحصار على كل ما لديهم من مواد التموين ومن الحيوانات حتى الكلاب ، وأكلوا العشب فى الأيام الأخيرة . ثم وصل بعض المشايخ من الخرطوم وأخذوا يتفاوضون مع المدير . ثم قطع المدير هذه المفاوضات نتيجة وصول أخبار قرب وصول الراس علولا . ولكن سرعان ما انتشرت أخبار ابتماد الأحباش عن كسلا فاضطر المدير إلى نسليم المدينة للثوار .

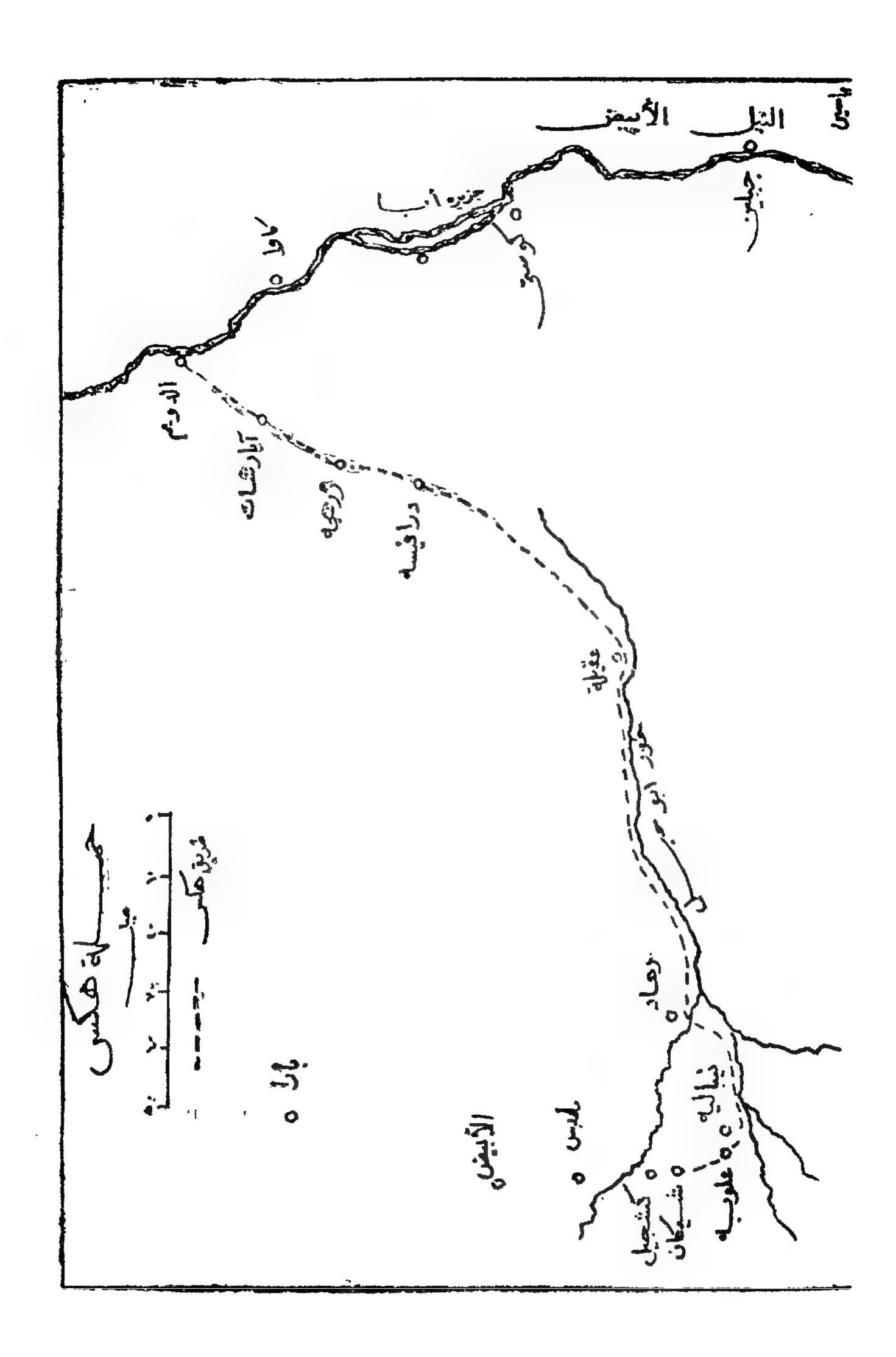
دخل عبان دقنه مدينة كسلا وحيته المدفعية بوسفه الحاكم العام وقائد قوات الثوار في شرق السودان . ولكنه ترك المدينة بعد أيام على رأس رجاله متجها صوب كوفيت حيث وقعت موقعة حاسمة بينهم وبين الأحباش . وأخبار هذه الموقعة وتفصيلاتها غير ثابتة ومتضاربة . والحقيقة هي أن الخسارة كانت فادحة على الطرفين ولكن المعركة قد انتهت على أي حال برجوع الراس علولا إلى اسمرة وهكذا أصبح شرق السودان كله تحت سيطرة عبان دقنه (۱) .

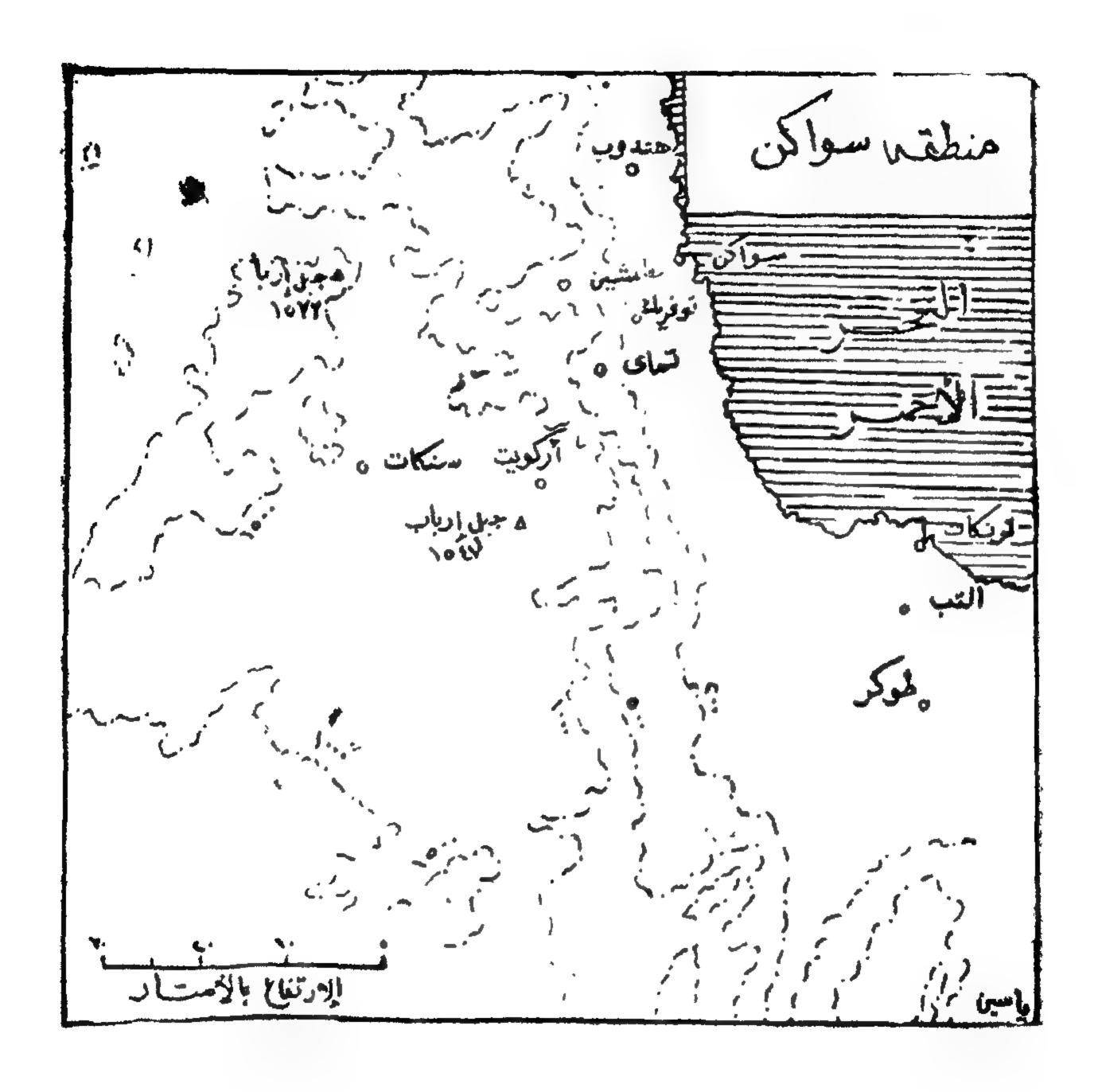
وهكذا انتهت صفحة خاصة من تاريخ السودان الذي أصبح مهدياً بينا ظلت مصر - رغم كونها جزءًا لا يتجزأ من

۱۰ مذكرة شرمسيد ملحقة بتقرير ايجرتون إلى سالسبرى في ١٠
 من نوفبر سنة ١٨٨٥

الإمبراطورية المثانية - تأن تحت الاحتلال البريطاني وستكون المهدية هي الحجة الأولى التي ستتذرع بها انجلنرا أمام الدول العظمي لتبرير مد إقامة حامياتها على ضفاف النيل وليكن وجود الإنجليز في مصر كان لا يستند إلى أي سند قانوني ويتمارض مع مبدأ سلامة أراضي الدولة المثانية ومع المعاهدات الدولية التي كفلته . كما أن وصول المحافظين إلى الحكم مع اللورد سالسبرى في يونيو سنة ١٨٨٥ لم يغير شيئاً من عناصر السياسة البريطانية في السودان فواصلوا ادعاءاتهم كسابقيهم من رجال حزب الأحرار بأنهم يدافعون عن إمبراطورية السلطان المهددة . ولكنهم سيسعون إلى الحصول على اعتراف رسمي من الدول ولكنهم سيسعون إلى الحصول على اعتراف رسمي من الدول أخرى من تاريخ السودان وتاريخ السياسة البريطانية .







# ثبت الوثائق والمراجع

أولا — الونائق

المحفوظات الإنجليزية:

١ - محفوظات وزارة الخارجية البريطانية (.F.O)

حفوظات وزارة الحربية البريطانية (.W.O)

٣ - محفوظات الأميرالية الريطانية

وكلها موجودة في دار المحفوظات العامة في لندن.

المحفوظات التاريخية المصرية – المحفوظة بعابدين.

ح - الطبوعات الرسمية - الأوراق الرسمية S.P.: State Papers - الأوراق الرسمية الرسمية - الأوراق الرسمية عبوعه السكتب الزرقاء الإنجلزية .

### تانيا -- بعض المراجع لزيادة الالملاع:

ALFORD, Henry S.L. and SWORD, W.D.; The Egyptian Soudan, its Loss and recovery. London, 1898.

ALLEN, B.M.; gordon and the Sudan. London, 1931.

BIOVES, Achille; Français et Anglais en Egypte 1881—1882. Paris, 1910.

- BLUNT, W.S.; Secret history of the British occupation of Egypt. London, 1907.
- BORELLI, Octave Bey; La chute de Khartoum, 26 janvier 1885; procès du Colonel Hassan Benhassaoui, juin—juillet 1884. Paris, 1893.
- Choses politiques d'Egypte 1883—1895. Paris (S.D).
- CHURCHILL, Winston S.; The River War. London, 1949.
- COLVIN, Sir Auckland; The making of modern Egypt- London, 1906.
- CRABITES, P.; gordon, the Sudan and the slavery. London, 1931-
- CROMER; Modern Egypt. London, 1908. (2 Vols).
- DELEBECQUE, Jacques; gordon et le drame de Khartoum. Paris, 1935.
- DUJARRIC, gaston; L'Etat Mahdiste du Soudan. Paris, 1901.
- FITZMAURICE, lord Edmond; The life of granville, 1815—1892. London, 1905. (2 Vols).
- GLEICHEN, (Lieut-Col. Count); Ed.; The Anglo-Egyptian Soudan. London, H.M.S.O., 1905. (2 Vols).
- GORDON; journal, siège de Khartoum. Paris 1886.
- HOLYNSKI, Alexandre; Nubar Pacha devant L'histoire. Paris, 1885.
- JACKSON, H.C.; Osman Digna. London, 1926'

- MACMICHAEL, Sir Harold; The Anglo—Egyptian Soudan. London, 1934.
- The Soudan London, 1954.
- MILNER, Viscount; England in Egypt- London, 1904.
- MORLEY, Sir john; The life of William Ewart, Gladstone London, 1903. (3. Vols).
- SABRY, M.; Le Soudan Egyptian 1821—1898. Le Caire, 1947.
- THEOBALD, A.B.; The Mahdiya, a history of the Anglo Egyptian Soudan, 1881 1899. London, 1951.
- WILSON, Sir Charles; From Korti to Khartoum. Edinburgh, 1886.
- WINGATE, Françis R. (Major); Mahdiisme and the Egyptian Soudan. London, 1891.
- WOOD, Evelyn; From midshipman to field marshal. London, 1906 (2 Vols).
- ZETLAND, The Marquess of; Lord Cromer-London, 1931.

# المكتبة التاريخية

صدر منها:

١ - المجمل في تاريخ الأندلس:
 للمرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي

٢ - الإسلام في إسبانيا:

للدكتور لطني عبد البديع

٣ -- التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر:
 اللائستاذ الدكتور جمال الدين الشيال

عائفة الإسماعيلية. تاريخها ونظمها وعقائدها:
 للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين

الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان:
 للدكتور جلال يحبى

يصدر قربيا :

١ - تاريخ السلاجقة:

للدكتور عبد النعيم حسنين .

٣ - موجز تاريخ الاشتراكية: تأليف نورمان ماكنزى
 ٣ - موجز الديخة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطنى وزميليه

- ٣ أوغندا بين الاستمار البريطاني والكفاح الوطني :
   اللاستاذ محمد عبد المنعم محمود
  - ٤ المغول في التاريخ:

للدكتور فؤاد عبد العطى الصياد

الجامعات الأوربية في العصور الوسطى:
 تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

٦ -- تطور السألة المصرية:
 للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطنى

- اريخ إمبراطورية الروم: تأليف شارل ديل:
   ترجمة الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة
  - حاود باشا آخر الماليك:
     للأستاذ عبد العزيز سليان نوار
    - عان ماضیها وحاضرها:
       للأستاذ جمال زكریا قاسم
- ١٠ صصر كما صورها هيرودوت:
   تحقيق الأسـتاذ الدكتور أحمد بدوى والدكتور
   صقر خفاجة .
  - ١١ غرب أفريقية بين العروبة والاستعار :
     للأستاذ الشاطر بصيلي عبد الجليل .

١٢ -- الجبرتي وعصره:

للأستاذ عبد القادر طليات

۱۳ - مدخل للحضارة الإسلامية: للدكتور محد الملائي

١٤ - ثورة إفريقية:

للدكتور محمد أنيس

١٥ - القاهرة والحياة الاجماعية فيها في عصر الأتراك الممانيين :
 للأستاذ حسن عبد الوهاب

١٦ - قناة السويس:

للدكتور عبد العزيز الشناوى

۱۷ - الإقطاع في أوربا: تأليف جيزتهوف
 ترجمة الدكتور حسن حبشي

١٨ - فتح العرب فارس:

للأستاذ أحد إبراهم الشريف

١٩ - سيف الدولة الحداني :

للأستاذ مصطني الشكعة

٢٠ نظم الحكم عند اليونان والزومان:
 للدكتور لطنى عبد الوهاب

٢١ - صور من الحياة في مصر في عصر الرومان:
 للدكتور عبد اللطيف أحمد على

٢٢ - قصة التصوير في الإسلام:

للدكتور جمال محرز

٣٣ – التاريخ . فلسفته وأهدافه :

. للأستاذ الدكتور أبو الفتوح رضوان

۲۶ – ماتزيني:

للأستاذ محمود الخفيف

٢٥ - مصر وأفريقية في المصور القدعة :

للدكتور أحمد فخرى

٢٦ – مصر وأفريقية في العصور الوسطى :

للدكتور حامد مصطنى عمار

٧٧ — مصر وأفريقية في العصر الحديث :

للدكتور على إبراهيم عبده

٧٨ - أوليقر كرمويل والثورة الإنجليزية:

للأستاذ أحمد خاكى

٢٩ -- كفاح مسلمي القوقاز ضد الاستعار الروسي :

للأستاذ : ابرهيم عبد التواب وزميله

٣٠ - العبومال:

للدكتور خلال يحيى

٣١ - باكستان دولة جديدة وشعب قديم :

للدكتور حسن حبشي

الكتاب التالى: تاريخ السلاجقة للدكتور عبد النعيم مسنين

Bibliotheca Alexandrina displication of the sandrina displication of the s

)3

ملتزمة النشد والعامنية مكت بترالخصف ترالمصت ربتر المسايع مدني بإشاء العنيامة

40